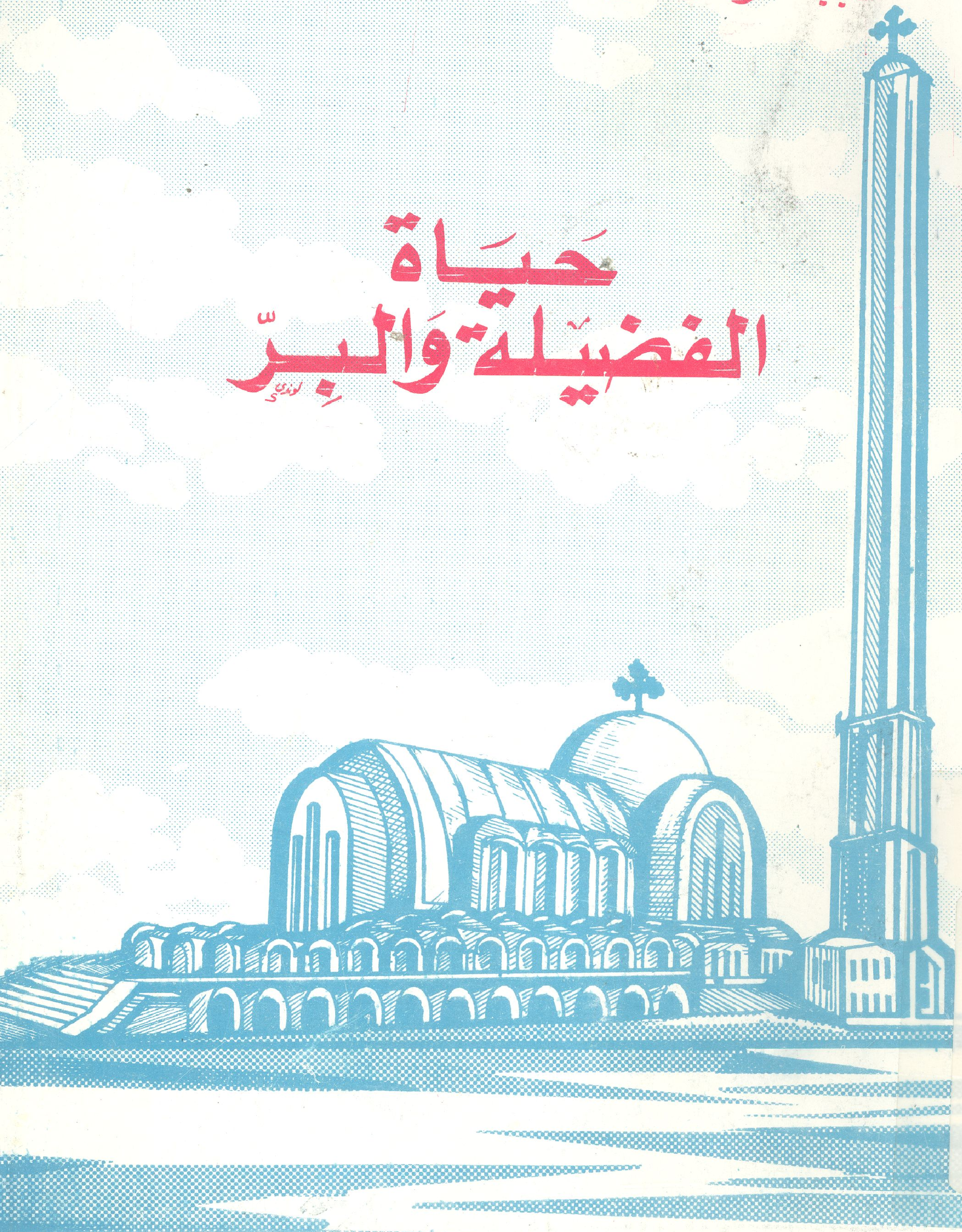
البابا شنوده الثالث

حياة الفضيلة والبر



البابا شنوده الثالث

حياة الفضيلة والبر

Life of Righteousness

by H.H. Pope Shenouda III

1st Print
Oct. 1994
Cairo

الطبعة الأولى
أكتوبر ١٩٩٤
القاهرة

الكتاب : حياة الفضيلة والبر .
المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث .
الناشر : الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس .
الطبعة : الأولى سنة ١٩٩٤م .
المطبعة : الأنبا رويس الأوفست - العباسية - القاهرة .
رقم الأيداع بدار الكتب : ٩٢٤٨/١٩٩٤م
I.S.B.N. 977 - 5345 - 20 - 0



قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية (١١٧)

مقدمة الكتاب

يسرنى أن أقدم لك أيها القارئ العزيز هذا الكتاب عن حياة الفضيلة والبر ، الذى يضم ٣١ مقالاً فى الموضوع :

ذلك لكى تعرف ما هى حياة الفضيلة ؟ وكيف تكون ؟ وما مصادرها ؟ وما نوعياتها ؟ وما مستوياتها ؟ وما هو الفرق بين المستوى الجسدانى ، والمستوى النفسانى ، والمستوى الروحانى .

وتقرأ أيضاً عن حياة الفضيلة بين الهدف والوسيلة ، ومقاييس الفضيلة من حيث التعريف والهدف والوسيلة . كما أنها تقاس بنوع اهتمامات الإنسان ... وتتأثر الفضيلة بالقراءة والسمع وباقى الحواس ...

وأحدثك فى هذا الكتاب أن البر الداخلى هو المعنى الحقيقى للفضيلة ، وليس المظهر الخارجى . وأن الفضيلة لابد أن يكون لها ثمر يدل عليها ... والفضيلة هى الحياة بالروح، وهى البعد عن الإثنينية ...

ولابد من التكامل فى حياة الفضيلة والبر . ففضيلة واحدة لا تكفى ، ومن اللازم أن ترتبط بفضائل أخرى ، ولا تتناقض مع فضيلة أخرى ...

والفضيلة لها اختبارات تُمتحن بها ، كما يلزمها ضبط النفس . وإن نجح الإنسان فى إختبارات الفضيلة ، ينال أكاليل خاصة بها . وأبرز إكليل فى الأبدية هو إكليل البر .

وبعد حديث طويل عن حياة الفضيلة ، أفردنا لك باباً هاماً عن عوائق الفضيلة .

نعم إنها عوائق ، ولكنها ليست موانع ، إذ يمكن الإنتصار عليها .

وأوردنا لك من هذه العوائق ، الذات ، والتساهل مع الخطية . والطرق التى تبدو للإنسان مستقيمة ، وعاقبتها طرق الموت . كذلك من عوائق الفضيلة المحبة الخاطئة للنفس . وبحثنا أيضاً موضوع الجسد ، وهل هو عائق للفضيلة ؟ ومتى يكون عائقاً .

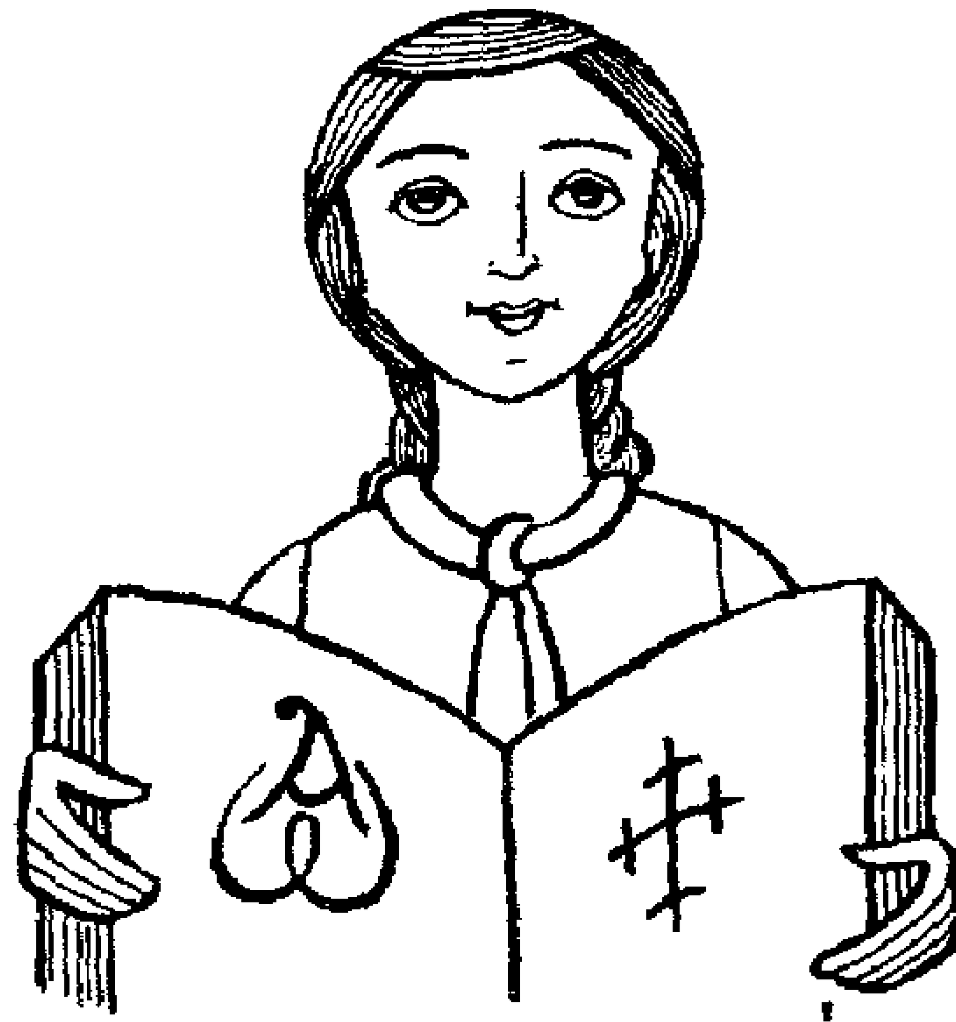
وتحدثنا عن طرق الإنتصار ليصل الإنسان إلى حياة الفضيلة ، وكيف يجب أن يقاوم حتى الموت ، مجاهداً ضد الخطية ، ولا يحب ذاته المحبة التى تهلكها ...

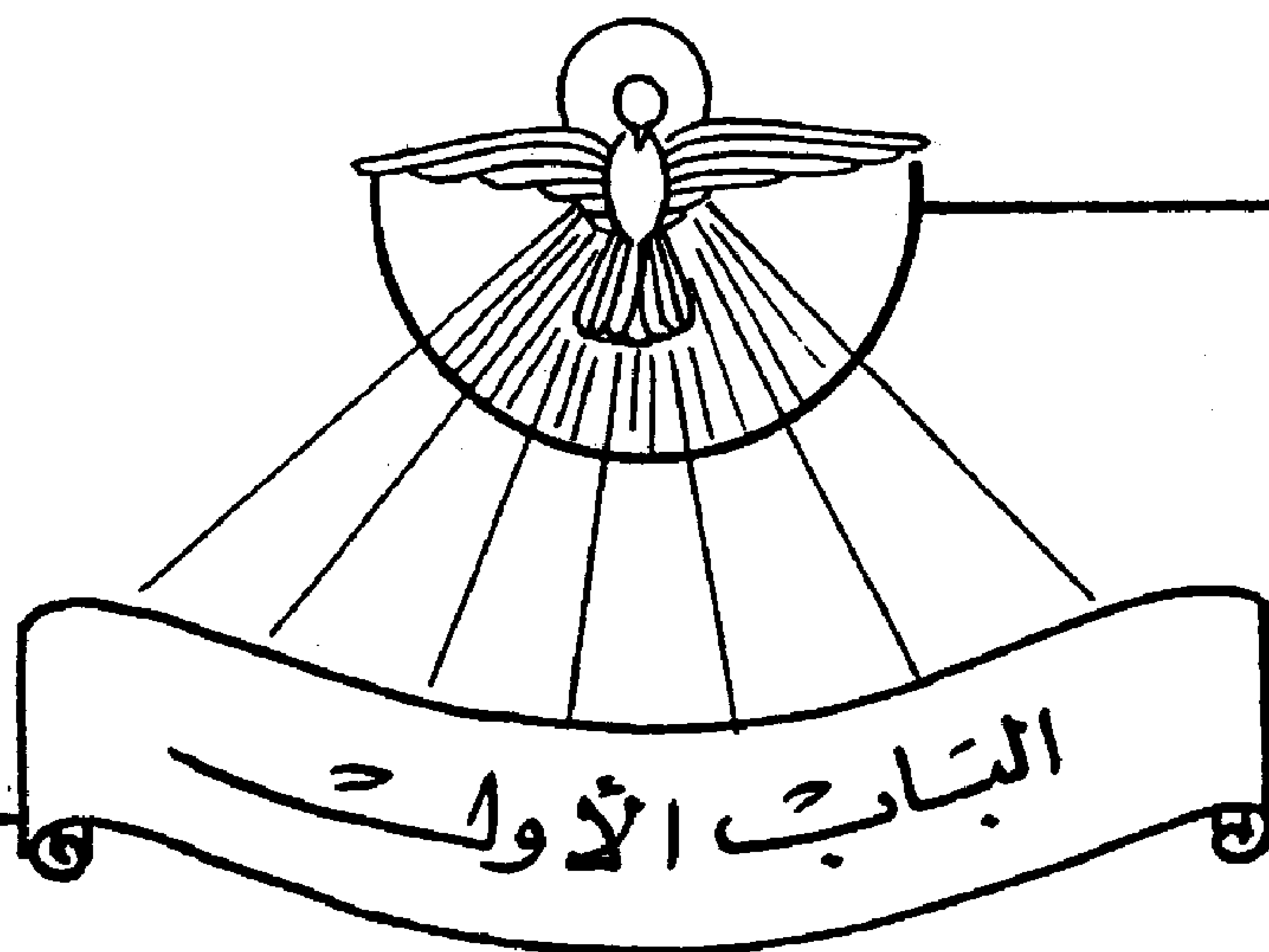
ختاماً ، لا أريد أن أطيل عليك فى هذه المقدمة ، فأمامك الكتاب إقرأ منه كما تشاء....

إنه مجموعة محاضرات ألقيناها متفرقة على مدى سنوات عديدة ، وفى مناسبات مختلفة . ثم جمعناها لك معاً ، لكى تكوّن موضوعاً واحداً ، ذا هدف واحد ، هو وضع حياة البر أمامك ، لكى تعيشها .

اسأل الله أن يعطيك نعمة وإرادة ، لكى تحيا هذه الحياة .

أكتوبر ١٩٩٤ **البابا شنوده الثالث**





ما هى الفضيلة ؟
ما تعريفها ؟
وما نوعياتها
وروحياتها

الفضيــــلة

مَاهى؟ كيف تكون؟

ومَا مصَادرها؟

تعـريفـات

ما هى الفضيلة ؟ وما معنى عبارة " إنسان فاضل " ؟

✧ ربما عبارة " إنسان فاضل " تعنى أنه إنسان خيّر ، يحب الخير ويعمله . ويحب البرّ .

✧ والفضيلة قد تعنى النقاوة ، أو السير فى طريق الله .

✧ وقد تعنى قوة فى النفس ، تمكنها من الإنتصار على كل نوازع الشر وإغراءاته .. وتمارس الحياة البارة .

* * *

✧ **وربما تعنى الفضيلة الإرتفاع فوق مستوى الذات .**

بحيث يخرج الإنسان عن دائرة ذاته ، ويعيش لغيره .

يخرج من الإهتمام بنفسه ، أو التركيز على نفسه ، للإهتمام بالآخرين ... من محبته لنفسه إلى محبته لله وللناس .

نقول هذا لأن الخطيئة كثيراً ما تكون إنحصاراً حول الذات .. إنسان يريد أن يرفع ذاته ، يمتّع ذاته ، يشبع رغبات ذاته .

* * *

✧ **الفضيلة أيضاً هى إرتفاع فوق مستوى اللذة :**

لأن غالبية الخطايا قد تكون مصحوبة بلذة حسية ، أو لذة نفسية. فتدور حول ملاذ الجسد أو الفكر أو النفس ، وتصبح لوناً من إشباع الذات ، وبطريقة خاطئة .

فالذى يحب المال أو المقتنيات ، إنما يجد لذة فى المال وفى المقتنيات. وكذلك من

يحب الزينة، ومن يحب الطعام. ومن يحب المناصب أو الشهرة، إنما يجد لذة في كل هذا.

* * *

ومن يحب الجسد، يجد لذته في الجسد ، ومن يحب الإنتقام لنفسه، يجد لذة في ذلك .

الخطيئة إذن هي سعي وراء اللذة . والفضيلة هي إرتفاع فوق مستوى اللذة ، إلى أن تجد إشباعاً لها في السعادة الروحية .

والسعادة غير اللذة ، والفرح غير اللذة .

اللذة غالباً مرتبطة بالحس ، بالجسد والمادة ، أما السعادة والفرح فيرتبطان بالروح .. ولذلك الفضيلة إذن تكون إرتفاعاً فوق مستوى المادة أيضاً ...

مصـــادر الفضيلـة

١ - أول مصدر هو الحكمة والإفراز والمعرفة :

وهكذا علّمنا أبونا القديس الأنبا أنطونيوس .

والعلماء والفلاسفة يركزون على كلمة (المعرفة) . والمقصود بها المعرفة الحقيقية . وهي المعرفة التي تميز بين الخير والشر ، و يسميها البعض Gnosticism (الغنوسية) . وهكذا يقول الكتاب :

" الحكيم عيناه في رأسه. أما الجاهل فيسلك في الظلام " (جا٢: ١٤) .

وهكذا نرى في مثل العذارى الحكيمات والجاهلات (مت٢٥) ، أن الحكيمات كن يرمزن إلى حياة البر ، بعكس الجاهلات ...

لأن الحكيم الحقيقي بالضرورة يسلك في حياة الفضيلة . بينما لابد أن نصف الخاطئ بأنه جاهل ، مهما كان من العلماء !

* * *

إنه جاهل بطبيعة الأشياء ، جاهل بطبيعة الخير والشر، جاهل بمصيره الأبدي، جاهل بما تجلبه الخطيئة من نتائج .

جاهل لا يعرف خيره من شرّه ، ولا نفعه من ضره !

ولا نقصد المعنى السطحي من كلمة (جاهل) ، التي تعني أنه لم يتعلم في مدارس أو على أساتذة .. إنما هو جاهل من جهة الحكمة الإلهية ، وجاهل من جهة المعرفة

الحقيقية.. ومثل هذا الإنسان يحتاج إلى توعية وإلى إرشاد ...

وقد قال السيد المسيح عن الذين صلبوه ، إنهم " لا يدرون ماذا يفعلون" (لو٢٣: ٣٤). وهكذا وصفهم بالجهل .. وقال الرسول عنهم .. " لأنهم لو عرفوا ، لما صلبوا رب المجد" (١كو٢: ٨) .

* * *

حتى الإلحاد ، يصفه الكتاب بالجهل ، فيقول :

" قال الجاهل فى قلبه ليس إله " (مز١٤: ١) .

حتى لو كان هذا الإنسان من فلاسفة عصره . إنه جاهل !

* * *

الحكمة تدعو الإنسان إلى ا لسير فى الطريق السوّى ..

فتاة مثلاً تحب شاباً من غير دينها ، محبة تؤدى بها إلى (الزواج) منه .. فيأتى مرشد ليقول لها : أنت تسيرين فى طريق مسدود ، لا تعرفين إلى أين ينتهى بك.. إنك تضيعين نفسك ، وعائلتك ، وإخواتك البنات، وربما الأولاد أيضاً !! المسألة تحتاج إلى معرفة وحكمة . معرفة بنوع الحياة، وبالنتائج ...

وكلما يتعمق الإنسان فى الحكمة ، على هذا القدر يتعمق فى فهم الأمور . ويعرف ما ينبغى أن يكون .

* * *

غير أن مصادر الفضيلة ، ليست هى مجرد الحكمة والمعرفة . فقد يعرف الإنسان الخير ولا يسلك فيه ! هنا نتعرض للمصدر الثانى من الفضيلة ، وهو :

٢ - قوة الإرادة والعزيمة :

قد لا يستطيع إنسان أن يسلك فى طريق الفضيلة ، لأنه مغلوب من نفسه ، لأنه ضعيف الإرادة . وكما يقول الكتاب " لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده ، بل الشر الذى لست أريده ، إياه أفعل " (رو٧: ١٩) .

ولهذا فإن كثيرين - لكى يحيوا فى الفضيلة - يسلكون فى تداريب روحية لتقوية إرادتهم .

إن الضعف يسبب الوقوع فى الخطية .

والوقوع فى الخطية يؤدى إلى مزيد من الضعف .

كل منهما يكون سبباً ونتيجة للآخر ..

ولذلك نقول عن الإنسان الفاضل ، إنه إنسان قوى .. قوى فى الروح ، وفى الفكر ، وفى العزيمة ، وفى التنفيذ ، وفى التدريب . إنه قوى فى الإنتصار على الحروب الخارجية ، وفى الإنتصار على النزعات الداخلية .

الذى تستعبده عادة رديئة ، هو إنسان ضعيف .

والذى لا يستطيع التحكم فى لسانه ، ولا التحكم فى أعصابه ، ولا التحكم فى فكره ، هو إنسان ضعيف . وبسبب هذا الضعف يبعد عن الفضيلة .. حتى إن تاب عن الخطية ، يعود إليها مرة أخرى .

* * *

٣ - من مصادر الفضيلة أيضاً : المبادئ والقيم :

الإنسان الروحى المتمسك بالمبادئ والقيم ، يحيا حياة الفضيلة . لأن القيم التى يؤمن بها تحصنه، فلا يستطيع أن يخطئ ، مهما حورب بالخطية . يقول لك : لا أستطيع أن افعل هذا الشئ، ولو كان السيف على رقبتى . لا استطيع أن أكسر مبادئى .

أما الإنسان الخاطئ ، فلا قيم عنده .

أى أن الفضائل لا قيمة حقيقية لها فى نظره ، حتى يحافظ عليها!! إنه يكذب لأن الصدق لا قيمة له فى نظره . ويزنى لأن العفة لا قيمة لها فى نظره . ويخون لأن الأمانة لا قيمة لها فى نظره .. وهكذا مع باقى الفضائل .

وبسبب ضياع القيم ، يقع فى الإستهتار واللامبالاة ...

لا الوقت له قيمة ، ولا المواعيد لها قيمة ، ولا الواجبات لها قيمة، ولا النظام العام، ولا القانون ، ولا التقاليد .. ولا شئ على الإطلاق ..!

* * *

٤ - من مصادر الفضيلة أيضاً مخافة الله :

الإنسان الذى توجد مخافة الله فى قلبه ، لا يخطئ .. ولهذا قال الكتاب " بدء الحكمة مخافة الرب " (أم٩: ١٠) . ونجد فى هذه الآية الحكمة والمخافة معاً ..

الإنسان الروحى ، يخاف أن يكسر وصايا الله . ويخاف اليوم الذى يقف فيه أمام

الديان العادل (عب١٠: ٣١) . ويخاف العقوبة.. بل يخاف أن يفقد طهارته، وأن يفقد الصورة الإلهية . ويخاف أيضاً على سمعته ، ويخاف أن يكون عثرة لغيره .

وبالمخافة ، يسلك فى طريق الفضيلة . وبممارسة الفضيلة يحبها. وهكذا يسلك فيها حباً لا خوفاً .

غير أن البعض من الذين لا يفهمون الترتيب الطبيعى للفضائل، يبعدون عن المخافة بفهم خاطئ للآية التى تقول " لا خوف فى المحبة. بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج" (١يو٤: ١٨) .

فمن من الناس قد وصل إلى هذه المحبة الكاملة لله، التى تطرح الخوف إلى خارج ؟! علينا أن نبدأ بالمخافة أولاً. والكتاب يقول "سيروا زمان غربتكم بخوف" (١بط١: ١٧) . ويقول أيضاً تمموا خلاصكم بخوف ورعدة" (فى٢: ١٢) .

ولنثق أن هذه المخافة هى التى ستوصلنا إلى المحبة .

* * *

٥ - مصدر آخر للفضيلة هو الموهبة الإلهية :

فالفضيلة على نوعين ، نوع يولد الإنسان به ، بطبع هادئ طيب .. ونوع يجاهد الإنسان لكى يصل إليه .

أما عن النوع الذى يولد الإنسان به ، فهو كمثال يوحنا المعمدان، الذى قيل عنه إنه "من بطن أمه يمتلئ من الروح القدس " (لو١: ١٥) . ومثال أرميا النبى الذى قال له الله "قبلما صورتك في البطن عرفتك . وقبلما خرجت من الرحم قدستك . جعلتك نبياً للشعوب" (أر١: ٥) . وكما يقول المثل العامى " مالك متربى؟ قال من عند ربى " ...

ومن الذين جاهدوا حتى يصلوا إلى الفضيلة، القديس موسى الأسود. والذى يجاهد..، ينال بلاشك أجراً سماوياً عن جهاده، وإنتصاره. وهؤلاء وضعهم السيد الرب فى سفر الرؤيا تحت عنوان " من يغلب .. " (رؤ٢: ٣) .

* * *

حتى الذى يولد بالفضيلة ، يحتاج أيضاً إلى جهاد ، لكى يغلب..

لأن عدو الخير لا يشاء أن يتركه فى راحة . بل يحاربه محاولاً أن يفقده فضائله. فالذى ولد بالفضيلة، يلزمه أن يثبت فيها، ويصمد أمام حروب العدو. وكما قال الرب

لملاك كنيسة فيلادلفيا " تمسك بما عندك، لئلا يأخذ أحد إكليلك" (رؤ٣: ١١) ...

وأيضاً يجاهد حتى يصل إلى الكمال في فضيلته .

إنه جهاد للنمو . وجهاد يدخل به من الباب الضيق حسب وصية الرب (مت٧: ١٣) .

* * *

٦ - من مصادر الفضيلة ، النعمة :

نعمة الله التي تساعد الإنسان وتقويه ، لكي يسلك ويثبت في طريق الله . كما قال بولس الرسول " بنعمة الله أنا ما أنا. ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة . بل أنا تعبت أكثر من جميعهم . ولكن لا أنا، بل نعمة الله التي معي " (١كو١٥: ١٠) . ولأهمية هذه النعمة، فإن الكنيسة المقدسة تطلبها لنا في كل إجتماع قائلة " نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله وشركة الروح القدس، تكون مع جميعكم آمين " (٢كو١٣: ١٤) .

على أننا يجب أن نتجاوب مع عمل النعمة . ونشترك مع الروح القدس في العمل .

ذلك لأن نعمة الله العاملة معنا ، لا تهبنا الفضيلة إلا باشتراكنا معها، وقبولنا لها . ولذلك يقول الرسول " النعمة العاملة معي" . وليست العاملة وحدها .

الروح القدس يعمل فينا ، ونحن نعمل معه . نشترك معه في العمل.

* * *

٧ - قال بعض الآباء :

الفضيلة بطبيعتها مغروسة في النفس :

وهكذا تكون الخطية مجرد مقاومة لهذا الغرس الإلهي ..

ولهذا تجد ضمير أي إنسان أياً كان، من أي دين من الأديان، بوذي، براهمي، كنفوشيوسي .. من أي دين، تجد الفضيلة مغروسة فيه .. إنها الشريعة الطبيعية غير المكتوبة ، التي وضعها الله فينا. توضح لنا الخير ، وتدفعنا إليه ، وتبكتنا إن لم نسلك في طريق الفضيلة ...

* * *

لذلك نجد أن الذي يخطئ ، يشعر بالخجل والخوف والإرتباك ..

هذا هو الذي يحدث للطفل ، حينما يخطف شيئاً ليس له ، أو حينما يرتكب خطأ لا توافق عليه القيم المغروسة فيه بالفطرة .. وهذا ما يحدث للكبار أيضاً . لهذا يحبون أن

يرتكبوا الخطية فى الخفاء، فى الظلمة ، دون أن يلاحظهم أحد .. لأنهم يقاومون شيئاً مغروساً فى أعماقهم ، ولذلك قيل عنهم :

" أحب الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة " (يو٣: ١٩) .

بقى أن أحدثك عن نوعية الفضائل : السلبية والإيجابية ، الداخلية والخارجية ، وكذلك تكامل الفضائل وأموراً أخرى .

* * *

تحدثنا عن تعريف الفضيلة، وعن مصادرها ونضيف هنا : فنقول عنها إنها :

شركة الروح القدس

الروح القدس يسكن فينا (١كو٣: ١٦) . وهو يعمل فينا. وفى نفس الوقت يعمل بنا . ولذلك لابد أن نشترك معه فى العمل . ولا يمكن أن نأخذ من عمل الروح فينا موقفاً سلبياً.

لذلك فالفضيلة هى شركة مع الروح القدس .

هى نتيجة لقوة عمل الله. الذى يقابله تجاوب من إرادة الإنسان. لأنه إن كان الإنسان لا يريد ، فلا يمكن أن تتم الفضيلة. وهكذا وبخ الرب مرة شعب أورشليم ، وقال لهم " كم مرة أردت .. ولم تريدوا . هوذا بيتكم يترك لكم خراباً " (مت٢٣: ٣٧، ٣٨) .

محبة الخير

الفضيلة ليست مجرد عمل الخير ، إنما هى بالأكثر محبة الخير.

لأن بعض الناس قد يعملون الخير خوفاً من العقوبة، أو من أجل السمعة وتجنباً لكلام الناس . أو يعملون الخير حباً فى المديح، أو رغبة فى نوال مكافأة، أو مجاراة لجو معين... ولكن ليس فى كل ذلك فضيلة ...

إنما الفضيلة هى حب الخير ، حتى إن لم تفعله لسبب خارج عن إرادتك . ولذلك نقول فى أوشية القرابين ، ضمن من نطلب لهم بركة العطاء " والذين يريدون أن يقدموا وليس لهم " .

ولكن إن وجدت إمكانية لعمل الخير ، لابد أن تعمله .

وهكذا تجتمع نية القلب ، مع الإرادة، مع العمل . لأن النية وحدها، لا تفيد الآخرين .

والعمل هو التعبير عما فى القلب من مشاعر طيبة .

الفضيلة لا تقف عند حد ، إنما هى سعى نحو الكمال .

سعى نحو الكمال

فالذى يعمل الفضيلة يود أن ينمو فيها . ويستمر فى النمو حتى يصل إلى الكمال الممكن له كإنسان ، أعنى الكمال النسبى . وذلك كما قال الرب فى العظة على الجبل "فكونوا كاملين، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل " (مت٥: ٤٨) .

والسعى إلى الكمال ، قد يحتاج إلى التدرج .

والآباء الروحيون كثيراً ما يدربون أولادهم فى نطاق هذا التدرج. لأن الطفرات السريعة كثيراً ما تؤدى إلى المجد الباطل والإفتخار، وأحياناً تكون لها نتائج عكسية . لكن الآباء الروحيين يحبون أن يثبت أولادهم جداً فى كل خطوة يخطونها، حتى إذا ما صارت طبيعية عندهم، يتدرجون منها إلى خطوة أخرى ، ولا يصبحون فى خطر من نكسة ترجعهم إلى الوراء ...

أما إذا أرادت النعمة أن ترفع الإنسان مرة واحدة إلى فوق، فهذه هبة إلهية غير عادية .

وتأتى هذه الفضيلة بالممارسة فى الحياة . وإنما يتحدث الكاب عن السلوك فيقول "لا دينونة على الذين هم فى المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد، إنما حسب الروح" (رو٨: ١). وأيضاً "من قال إنه ثابت فيه، ينبغى أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضاً " (١يو٢: ٦) ...

إذن الفضيلة هى سلوك بالروح .

قد يبدأ بالحب . وقد يبدأ بالمخافة ، ويتحول إلى الحب . ولكنه فى كلتا الحالتين. حب لله ، وحب للخير ، وحب للغير ، يظهر فى سلوك الإنسان وفى حياته العملية .

والحياة فى الفضيلة هى حياة جهاد :

حياة جهاد

لأنه كما أن النعمة تحب أن ترفعك إلى فوق ، كذلك قوى الشر لا تريد أن تتركك فى

راحة، إنما تحاول أن تجذبك إلى أسفل. وكما قال الرسول إن " إبليس خصمكم كأسد يزأر، يجول ملتمساً من يبتلعه هو . فقاوموه راسخين في الإيمان " (١بط٥: ٨، ٩) .

من هنا كانت الفضيلة صراعاً ضد الخطية .

ولذلك قال القديس بولس الرسول " البسوا سلاح الله الكامل، لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس . فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية ... " (أف٦: ١٠- ١٢).

وبمناسبة هذا الصراع ، يمكن أن نقسم الفضيلة إلى نوعين :

نوعان من الفضيلة

وذلك من الناحية السلبية ، ومن الناحية الإيجابية :

فمن الناحية السلبية مقاومة الخطية ورفضها ، ومن الناحية الإيجابية السلوك الطيب في عمل الخير . فليست الفضيلة هي فقط البعد عن الخطية ، إنما أيضاً حياة البر .

لا يكفي فقط إنك لا تكره إنساناً ، إنما يجب أن تحب الكل .

لا يكفي أنك لا تقول كلمة شريرة ، إنما يجب أن تقول كلاماً للبنيان ينفع الآخرين . ليست الفضيلة هي إنك لا تضر الناس، بل هي بالأكثر أن تخدمهم وتعينهم وتتعب لأجلهم.

* * *

يعرف البعض الفضيلة بأنها وضع متوسط بين رذيلتين :

فالشجاعة مثلاً هي الوضع المتوسط بين الخوف والتهور .

والتربية السليمة هي الوضع المتوسط بين القسوة والتدليل .

والتدبير الحكيم في مالك هو الوضع المتوسط بين البخل والتبذير .

ويمكننا أن نضرب أمثلة عديدة لهذا الوضع المتوسط .

* * *

الفضيلة لها مستويات في حياة الإنسان :

مستويات

مستويات في الحسّ ، والفكر ، والقلب ، والعمل ...

المستوى الجسدي للفضيلة ، والمستوى النفسي ، والمستوى الروحي .

وعلى الإنسان أن يحفظ نفسه فى كل مستوى ، ويحترس من السقوط فى غيره . فمثلاً الحواس هى أبواب الفكر . فما تراه وتسمعه وتلمسه ، قد يجلب لك أفكاراً. فلكى تحفظ فكرك، احفظ حواسك. وإن أخطأت بالحواس، لا تجعل الخطأ يتطور بك إلى فكرك. فإن وصل إلى الفكر أطرده بسرعة .

وإن وصل الخطأ إلى الفكر ، لا تجعله يتحول إلى مشاعر فى قلبك . وإن تحول إلى مشاعر لا تجعله يتطور إلى الفعل والعمل .

* * *

واعلم أن جميع المستويات تتجاوب مع بعضها البعض . وربما يصير البعض منها سبباً ونتيجة ...

فخطأ القلب يسبب خطأ الفكر . وخطأ الفكر يسبب مشاعر للقلب. وربما الإثنان يدفعان إلى العمل . والعمل يسبب خطوة للحواس، وكذلك الحواس تقود إلى العمل .. إنها دائرة، أية نقطة تدور فيها، توصل إلى باقى النقاط .

وكما فى الشر ، كذلك فى الخير ، تتعاون المستويات معاً .

وكما تحدثنا عن هذه النوعيات ، نتحدث عن نوعيات أخرى وهى :

من الداخل والخارج

فى الداخل ، فى القلب والروح والفكر. وفى الخارج فى الجسد والممارسة .

الحب مثلاً فضيلة فى القلب ، ولكن لابد أن يتحول إلى عمل محبة من الخارج . وفى ذلك يقول القديس يوحنا الرسول " لا نحب بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل والحق " (١يو٣: ١٨) .. وهنا تظهر المحبة التى فيها عطاء وبذل وتضحية .

فضيلتك التى فى فكرك ، لا يشعر بها أحد . فيجب أن تعبر عنها بعملك .

محبتك لابنك التى فى داخل قلبك ، تعبر عنها بالعطايا، بالإهتمام ، بالحنو ...

* * *

وهنا نتذكر عبارة جميلة فى نشيد الأناشيد وهى :

" اجعلنى كخاتم على قلبك ، كخاتم على ساعدك" (نش٨: ٦) .

كخاتم على قلبك بالمشاعر الداخلية . كخاتم على ساعدك بالعمل. يدك تمتد وتعمل

وتساعد .. كخاتم على قلبك بالإيمان ، وعلى ساعدك بالأعمال .

بطرس الرسول جعل الرب خاتماً على قلبه ، حينما قال " لو أنكرك الجميع فأنا لا أنكرك" " أنا مستعد أن أمضى معك حتى إلى السجن وإلى الموت " (لو٢٢: ٣٣) .. ولكنه مع ذلك لم يجعل الرب خاتماً على ساعده ، حينما أنكره ثلاث مرات، وحينما سب ولعن وقال لا أعرف هذا الرجل " (مت٢٦: ٧٠- ٧٥) .

ولذلك بعد القيامة ، سأله الرب ثلاث مرات " أتحبنى أكثر من هؤلاء؟! " (يو٢١: ١٥ - ١٧) ... إن كنت تحبنى، لا يكفى بالقلب، بل بالعمل : ارع خرافى ، ارع غنمى .

* * *

الله نفسه عبر عن مشاعر القلب بالعمل .

فقيل " هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل إبنه الوحيد ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية " (يو٣: ١٦) .. " أحب العالم " هذا من جهة القلب .. " وبذل إبنه الوحيد " هذا من جهة العمل .

* * *

والله يعبر عن محبته لنا برعايته وعنايته وحفظه لنا .

ومن هنا كان الحب فضيلة القلب . والفداء هو العمل والتعبير .

إذن لا نكتفى بأن نقول محبة الله فى قلوبنا ، إنما ينبغى أن نعبر عن هذه المحبة ، وأن نبذل لأجله ، ونتألم لأجله .. ولا نكتفى بإيمان بغير أعمال ، لأن الإيمان بغير أعمال ميت (يع٢: ١٧، ٢٠) .

* * *

خشوع القلب من الداخل ، نعبر عنه بخشوع الجسد من الخارج .

وهكذا نجد فى الصلاة : الوقوف والركوع والسجود ، ورفع الأيدى، والنظر إلى فوق. وثبات النظر بلا تشتت ، والجسد بلا حركة، والفكر بلا طياشة .. ولا تقل فى كل ذلك "الله إله قلوب! ويكفى أن قلبى مع الله " !! مثال ذلك من يصلى على المائدة وهو جالس!!

وفى كل ذلك نذكر قول المرتل فى المزمور " أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل إلى بيتك، واسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك " (مز٥).

نعبر عن المخافة والخشوع بالسجود . وما أجمل قول الرسول :

" مجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله " (اكو٦: ٢٠) .

لا يكفى إذن التمجيد بالروح ، إنما بالجسد أيضاً . المشاعر الداخلية تحتاج إلى التعبير الخارجى. فيشترك الجسد مع الروح . وتكون الفضيلة من الداخل ومن الخارج أيضاً . ما يجرى فى عروقك من مشاعر ، يكون له ثمر من الخارج .

" ومن ثمارهم تعرفونهم " (مت٧: ٢٠) .

* * *

حياة الشجرة فى داخلها ، تعبر عن وجودها من الخارج ، بالخضرة ، بالزهر ، بالثمر . " وكل شجرة لا تصنع ثمراً ، تقطع وتلقى فى النار " (مت٣: ١٠) .

نريد إذن الفضيلة المثمرة .

بالعمل الطيب ، بالكلمة الطيبة ، بالسلوك الحسن ، بالقدوة ، بالنور الذى يضئ للآخرين ، بالمحبة العملية .

★ ★ ★

نقطة أخرى أقولها وهى تكامل الفضائل :

تكامل الفضائل

الفضائل تتكامل معاً ، ولا تتعارض . وإن سلكت فى فضيلة ما، فلابد ستقودك إلى فضائل أخرى كثيرة. وإن فقدت إحدى الفضائل، فما أسهل أن يجرك هذا السقوط إلى فقد فضائل أخرى عديدة .. إنها سلسلة مترابطة . إن إنفك عقد أحدها ، انفرط الباقى...

فاحترس من الإهتمام بفضيلة واحدة ، تفقد معها باقى الفضائل .

* * *

وهنا سهل أن نتكلم عن خطورة الفضيلة الواحدة .

محبتك لابنك مثلاً ، ينبغى ألا تنفصل عن تربيتك لإبنك .

ويبنغى أن لا تنفصل عن الحكمة فى هذه التربية . والحكمة ترتبط أيضاً بالمعرفة .

وإهتمامك بجسد إبنك وصحته ، لا يمنعك من الإهتمام بعقله ، وتثقيفه . وأيضاً يجب أن تهتم بروحيات إبنك وبأبديته ...

وهكذا فى باقى ا لفضائل .

* * *

كونى أحب الناس ، هذا حسن . ولكن ليست محبتهم معناها مجاملتهم فى كل شئ، ولو على حساب الحق . ولكن أحب الله ، وأحب الناس فى نفس الوقت . وليس الحب معناه العطف الجسدى أو المادى فقط، إنما معناه أولاً الحب الروحى .

الراعى يحب رعيته . ولكن ليس معنى هذا أنه يعطف عليها عطفاً ، يجعلها تستمر فى الخطأ ولا تخاف .

★ ★ ★

محبة الله يجب أن ترتبط أيضاً بمخافته ، أى بمهابته .

كيف نتكامل إذن فى الفضائل ؟ وكيف نصل إلى الوحدة التى ترتبط بها كل الفضائل؟ هذا ما أود أن أحدثكم عنه فى الصفحات التالية .

★ ★ ★



خطورة الفضيلة الواحدة

إنه خطأ يقع فيه الكثيرون ، إن لم يكن غالبية الناس ، أعني الإهتمام بفضيلة واحدة، أو التركيز على فضيلة واحدة ، بأسلوب يتناقض مع فضائل أخرى ، أو تُهمل فيه فضائل أخرى .

فالحياة الروحية ليست مجرد فضيلة معينة . ولكنها حياة تشمل كل شئ ...

كما أن الكتاب المقدس ليس مجرد آية واحدة ، أو وصية واحدة ، إنما هو كتاب ، تحدث عن الخير كله ، وعن البر كله ، وينبغى أن نلتفت إلى كل ما فيه من وصايا ، لكى نحيا حياة لا نقص فيها ولا صراع .. لأنه ربما نقص فضيلة واحدة قد يضيع الحياة كلها..! وكما قال الرسول :

" إن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ، ولكن ليس لى محبة ، فلست شيئاً " (اكو١٣: ٢) .

* * *

تصوروا إنساناً ركّز على فضيلة واحدة عظيمة جداً هى الإيمان ، ووصل إلى قمتها . ولكن نقصته المحبة ، فأصبح لا شئ !!

وبنفس الوضع الذى يجاهد حتى يصل إلى مستويات عليا فى حياة الفضيلة والبر ، وينقصه فضيلة واحدة هى التواضع .. ما أسهل أن يقع فى الكبرياء أو فى البر الذاتى أو المجد الباطل ، ويهلك !! ...

* * *

مثال ذلك الفريسى الذى وقف يصلى مفتخراً فى الهيكل .

كان يذهب إلى الهيكل ويصلى، وكان يصوم يومين فى الإسبوع، ويعشر جميع أمواله. ولم يكن من الناس الظالمين الخاطفين الزناة . وهكذا لم يحصل فقط على فضيلة واحدة ، وإنما على جملة من الفضائل . ولكن لأنه كانت تنقصه فضيلة الإتضاع ، بل كان يفتخر بنفسه ، ويدين ذلك العشار. لذلك لم يخرج من الهيكل مبرراً مثل العشار (لو١٨: ١٤) .

وسنحاول أن نضرب أمثلة لخطورة إستخدام الفضيلة الواحدة :

الوداعـــة :

بعض الأشخاص يتمسك جداً بفضيلة الوداعة ، على إعتبـار أن السيد المسيح قد قـال "تعلموا منى فإنى وديع ومتواضع القلب" (مت١١: ٢٩) وأيضاً قوله فى العظة على الجبـل " طوبى للودعاء فـإنهم يرثـون الأرض" (مـت٥: ٥) .. ويفهم الوداعـة ، علـى أنـه يكـون باستمرار هادئاً لا يغضب .

وتأتى مواقف تحتاج إلى نخوة وإلى شجاعة وشهامة ، ولا يتحـرك هذا (الوديـع) ، لأنه يحب أن يكون باستمرار طيباً هادئاً !!

وفى تصرفه هذا لا يكون إنسـاناً فـاضلاً ، لأن كل مناسبة تحتـاج إلـى الفضيلـة التـى تناسبها . وتمسك هذا الإنسان بفضيلة الوداعة ، بدون الشهامة والشجاعة توقفه فى موقـف الملام الناقص .. وقد قال الحكيم " لكل شـئ زمـان ، ولكـل أمـر تحـت السـماوات وقـت " (جا٣: ١) .

* * *

✠ إبراهيم أبو الآباء كان إنساناً وديعـاً ، إذ سـجد أمـام بنـى حـث ، لمـا اشـترى منهـم مغارة المكفيلة ، لتكون قبراً لسارة (تك٢٣: ١٢) . ومع ذلك ظهرت نخوته وشجاعته "لمـا سمع أن أخاه لوطاً قد سـبى ، جمـع رجالـه المدربيـن " (تك١٤: ١٤) . وقـام ضـد أربعـة ملوك وهزمهم وردّ سبى لوط وسادوم . ولما أراد ملك سادوم أن يكافئه ويعطيه شيئاً مـن الغنائم ، رفض وقال له فـى عزة نفس " لا آخذ خيطـاً ولا شـراك نعـل .. فـلا تقول أنـا أغنيت ابرآم " (تك١٤: ٢٣) .

* * *

✠ كان الرهبان ودعاء . ولكنهم لم يكتفوا بالوداعة وحدها . ولما حان وقت الدفاع عن الإيمان كانوا شجعاناً .

✠ ومن الخطأ أن تكتفى بالوداعة ، وتظن أنها تغنيـك عـن الشـجاعة ، أو تحولـك إلـى جثة هامدة بلا حركة ، لا نخوة فيها ولا شجاعة .

بل تستخدم الوداعة حين تحسـن الوداعـة . وتسـتخدم الشـجاعة حيـن تـلزم الشـجاعة . تكون كلتاهما فيك ، وتظهر كل منهما فى الحين الحسن المناسب لها .

* * *

الوداعة ليس معناها الضعف . والقوة ليس معناها العنف .

والوداعة والقوة تمتزج كل منهما بالحكمة والفهم . الإنسان الضعيف لا يمكن أن يكون صورة الله ومثاله . والإنسان القوى لا ينحرف إلى التهور ، ولا يفقد وداعته وأدبه .

موسى النبى كان وديعاً . ولكنه اضاف إلى وداعته الشجاعة والقوة .

كان وديعاً إلى أبعد الحدود ، إذ قيل عنه " وكـان الرجل موسـى حليمـاً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض " (عد١٢: ٣) . وفى نفس الوقت كان شجاعاً وشـهماً وقوياً . إذ وقف ضد الشعب كله لما عبد العجل الذهبى . ووبخ أخاه هرون رئيس الكهنـة حتى خاف منه وارتبك . " وأخذ العجل الذى صنعوه ، وأحرقه بالنار ، وطحنه حتى صار ناعماً ، وذراه على وجه الماء " (خر٣٢: ٢٠) .

* * *

وداود النبى أيضاً أضاف الشجاعة والقوة إلى وداعته .

كان وديعاً حقاً . ونحن نقول فى المزمور " اذكر يـارب داود وكـل دعتـه " (مز١٣١: ١) . ولم يركن إلى الوداعة وحدها . بل لما وجد الجيش كله خائفاً أمـام جليـات الجبـار ، قال " لا يسقط قلب أحد بسببه " (١صم١٧: ٣٢) . وذهب بكل شجاعة وحاربـه ، وقتلـه ، وأزال العار عن الشعب كله .

* * *

والسيد المسيح نفسه كان وديعاً (مت١١: ٢٩) . وكان قوياً .

وقف ضد الكتبة والفريسيين ، وقال لهم " ويل لكم أيها الكتبة والفريسـيون المـراؤون " (مت٢٣) . ووقف ضد الصدوقيين والناموسـيين وأفحمهـم وأخجلهـم ، وكذلـك بكـت كهنـة الشعب اليهودى (مت٢٢، ٢١) .

وهنا ننتقل إلى فضيلة أخرى وهى الطيبة :

الطيبـــة :

كثيرون يحاولون أن تكون لهم فضيلة الطيبة ، لأنها ميزة واضحة للأتقياء وللقديسين . ولكنهم إذ يسلكون فى طيبة القلب وحدها ، بلا إفراز وفهم ، كثيراً مـا يصبحـون ألعوبـة وهزأة فى أيدى المستهترين .

كن طيب القلب . ولكن أضف إلى الطيبة فضيلة الحكمة . فقد قال السيد المسيح "كونوا بسطاء كالحمام ، وحكماء كالحيات . ولكن أحذروا من الناس " (مت١٠: ١٦، ١٧) . فكن طيباً ، ولكن ليس بالقدر الذى تفقد فيه كرامتك وهيبتك . وإلا فإن البعض - بسببك - سوف يكرهون الطيبة التى تجعل الغير يستغلهم ويستهزئ بهم .

* * *

المشكلة إذن ليست في الطيبة ، وإنما فى عدم مزجها بالحكمة ، وبقوة الشخصية . بهذا ندرك عيب استخدام الفضيلة الواحدة .

إذن يجب عليك أن تزن كل فضيلة بميزان دقيق ، ولا تمارسها منفردة عن باقى الفضائل ، وإن رأيت من نتائجها سلبيات ، اعرف أن السلبيات ليست بسبب الفضيلة ، وإنما بسبب وقوفها وحدها بعيدة عن سائر الفضائل التى ينبغى أن تصاحبها وتحميها .

يمكن أن تكون طيب القلب . ولكن ليس معنى الطيبة أن تسلم قيادتك لغيرك ، أو أن تشترك بضعف شخصية فى أخطاء الآخرين . أو أنك خوفاً من أن تغضب غيرك ، تشترك معه فى خطأ ، أو تجامله فى ذنب واضح !

* * *

كان السيد المسيح طيب القلب جداً . وكان أيضاً قوياً جداً .

كان طيب القلب ، إذ قيل عنه إنه كان " لا يخاصم ولا يصيح ، ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته . قصبة مرضوضة لا يقصف . وفتيلة مدخنة لا يطفئ " (مت١٢: ١٩، ٢٠) . وفى نفس الوقت لم تقف وداعته وحدها . وإنما إلى جوارها شخصية قوية . إذ كان قوياً فى كلامه وفى إقناعه وتأثيره . قوياً فى محبته ، وفى بذله ، وفى مواجهته للمواقف .

كان طيباً يحب الأطفال ويحنو عليهم . ويدافع عن المرأة الخاطئة . وفى نفس الوقت يخزى الذين قبضوا عليها فينسحبون (يو٨: ٧-٩) .

فى طيبة قلب سمح للشيطان أن يجربه . ولما زاد عن حده ، انتهره فى قوة قائلاً "اذهب يا شيطان" . فمضى (مت٤) .

سمح للجنود أن يقبضوا عليه . وفى نفس الوقت لما قال لهم " أنا هو " ، سقطوا على الأرض من هيبته " (يو١٨: ٦) .

* * *

من المفروض في الآباء والمعلمين ، أن يكون في طبعهم الحنو ، وأيضاً تكون لهم الهيبة . وليس من الصالح أن حنوهم يفقدهم هيبتهم .

لعل هذا ينقلنا إلى فضيلة أخرى هي الحزم .

الحـزم :

قد يقال عن راهب إنه إنسان طيب يصلح أباً ، ولكنه قد لا يصلح أن يكـون أسقفاً ، إذ تنقصه الإدارة . وضميره يتعبه إن أخذ موقفاً حازماً ، أو إن أنتهر أو عاقب أحداً .

كأنما الإدارة والحزم ضد الروحيات !!

الإنسان الروحي يمكنه أن يجمع الأمرين معاً . ولا يستخدم الحنو بدون حزم . فمثل هذا الحنو الخالي من الحزم يضر ويتلف ...

يوسف الصديق كان حازماً جداً في إدارة شئون مصر . وفي نفس الوقت كان له قلب حساس مملوء من الحنو . كان حازماً جداً في معاملتـه لإخوتـه ، حتـى أنهم إرتـاعوا منـه وخافوا ، لما قال لهم " أنا يوسف . أحيّ أبي بعد ؟" (تك٤٥: ٣) . ومع ذلك لم يستطع أن يضبط نفسه ، لما عرّف أخوته بنفسه ، وأطلق صوته بالبكاء (تك٤٥: ١، ٢) .

* * *

السيد المسيح كان يحب تلاميذه . وكان ينتهرهم أحياناً .

قيل إنه " أحب خاصته الذين في العالم ، أحبهم حتى المنتهى " (يو١٣: ١) . ومع ذلـك لما أراد بطرس أن يمنعه عن موضوع الصلب ، قائلاً لـه " حاشـاك يـارب " . قـال الرب لبطرس " اذهب عني يا شيطان، أنت معثرة لي" (مت١٦: ٢٣). هنا نجد الحزم واضحاً.

وبنفس الحزم وبخ الرب تلميذيه يعقوب ويوحنا ، لما رفضت قرية للسامريين أن تقبله، فقال التلميذان " أتريد يارب أن نقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضاً ". فالتفت الرب وأنتهرهما . وقال : لستما تعلمان من أي روح أنتمـا . لأن إبـن الإنسـان لـم يأتِ ليهلك أنفس الناس بل ليخلص " (لو٩: ٥٣- ٥٦) .. نعم في هذه المناسبة انتهر الرب يوحنا ، الذي كان يتكئ في حب على صدره ...

* * *

من الأشياء العجيبة التي نجدها أحياناً . في محيط الأسرة ، أن الأبويـن قد يوزعـان الحب والحزم بينهما . فيكـون الحـب مثـلاً لـلأم ، والحـزم لـلأب !! بينمـا الحـب والحـزم

يجب أن يتصف بهما كل منهما ...

فإن أخطأ الإبن ، أو حاول أن يخطئ ، تقول له الأم " .. لئلا يغضب أبوك ويعاقبك" دون أن تقول له إنها هى أيضاً لا ترضى عن تصرفه . ويختلط الأمر على الإبن ، ولا يعرف أين الحق ؟ كل ما فى الأمر أنه يتقى غضب الأب !

★ ★ ★

ويحدث أحياناً أن كاهناً يريد أن يكسب محبة شعبه ، أو رئيساً يحب أن يكسب محبة مرؤوسيه .. من أجل هذا يتهاون الأب الكاهن فى حقوق الله . ويتهاون رئيس العمل فى حقوق العمل !! ولا يضم أحد منهم إلى محبة الناس محبة الله والإخلاص للعمل !!

الخدمة والتأمل :

هناك خدّام يركزون على خدمتهم تركيزاً كبيراً ، ومن فرط إنشغالهم بها يفقدون أهمية الصلاة والتأمل فى حياتهم ، ويهملون روحياتهم فى تركيزهم على فضيلة واحدة هى الخدمة !!

ولاشك أن هذا ضد التكامل فى حياة الروح .

إن السيد المسيح كان يطوف المدن والقرى يكرز ببشارة الملكوت (مت٩: ٣٥). ومع ذلك كان يقضى الليل كله فى الصلاة ، وله خلوته فى جبل الزيتون (يو٨: ١) وفى بستان جثسيمانى .

★ ★ ★

ويوحنا المعمدان كانت له خدمته الناجحة جداً التى أعدّ بها الطريق أمام الرب . ومع ذلك قضى ٣٠ سنة من حياته فى البرية حتى ظهر لإسرائيل (لو١: ٨٠) .

وإيليا النبى كانت له خدمته التى قضى بها على أنبياء البعل وأنبياء السوارى، ووبخ بها آخاب الملك (١مل١٨) . وفى نفس الوقت كانت له خلوته على جبل الكرمل .

★ ★ ★

وبولس الرسول كانت له حياة التأمل التى صعد بها إلى السماء الثالثة (٢كو١٢: ٢) . ومع ذلك كانت له خدمته القوية التى تعب فيها أكثر من جميع الرسل (١كو١٥: ١٠) والتى بشر بها فى آسيا وأوروبا وكتب ١٤ رسالة ، بل كتب رسائل وهو فى السجن أيضاً.

الإنسان المتكامل يجمع بين الحياتين : لا تكون الخدمة على حساب التأمل ، ولا التأمل على حساب الخدمة . ولا يكتفى بفضيلة منهما مهملاً الأخرى .

من الأمثلة الواضحة لخطورة الفضيلة الواحدة ، موضوع الطاعة :

الطــاعــة

لقد أمر الله بطاعة المرشدين الروحيين الذين يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حساباً (عب١٣: ١٧) . وفى بستان الرهبان أمثلة كثيرة عن الطاعة لآباء كانوا قدوة عجيبة فى حياة القداسة . وهنا يقف أمامنا سؤال هام وهو : هل تجب الطاعة مهما كان الأمر متعباً للضمير ؟! هنا ونضع إلى جوار الآية التى تدعو إلى الطاعة ، آية أخرى مشهورة وهى :

" **ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس** " (أع٥: ٢٩) .

★ ★ ★

فالمسيحية لا تنادى إطلاقاً بمبدأ (الطاعة العمياء) . فينبغى أن يكون الإنسان واعياً فى طاعته ، مدركاً أنه يطيع المرشد داخل طاعة الله . وإلى جوار طاعة المرشد ، ينبغى أن توضع أيضاً طاعة المرشد لله . وكذلك روحانية المرشد . ونفس الكلام يقال فى محيط الأسرة . إذ يقول الكتاب :

" **أيها الأبناء ، أطيعوا والديكم فى الرب ، فإن هذا حق** " (أف٦: ١) .

ونضع تحت عبارة (فى الرب) أكثر من خط . فإن أمرك أحد والديك أمراً يخالف وصية الله، فلا تطعه . إنما تطيع وصية الله. وهذا الأمر يحتاج إلى إفراز . وفى الكتاب أمثلة واضحة له . لعل من أبرزها : موقف سليمان الحكيم من طاعة أمه بثشبع، وموقف يوناثان من طاعة أبيه شاول الملك :

★ ★ ★

أ – موقف سليمان الحكيم من طاعة أمه .

كان سليمان الملك يحترم أمه جداً ويكرمها. فلما جاءت لزيارته، يقول الكتاب إنه " قام للقائها، وسجد لها . وجلس على كرسيه ، ووضع كرسياً لأم الملك، فجلست عن يمينه" (١مل٢: ١٩) . ولما قالت له " سؤالاً واحداً صغيراً، لا تردنى"، قال لها "إسألى يا أمى،

لأنى لا أردك " (١مل٢: ٢٠) . ولكنها لمـا طلبت إعطـاء أبيشـج الشـونمية زوجـة لأخيـه أدونيا ، رفض سليمان الملك ، بل أمر بقتل أدونيا " (١مل ٢: ٢٥) .

لم يطع سليمان أمه فى أمر يخالف الشريعة .

كانت أبيشج الشونمية تعتبر زوجة لأبيه داود ، وبنفس القرابـة لأخيـه أدونيـا (١مـل١: ١ – ٤) . فكيف يجرؤ أدونيا أن يطلب الزواج بإمرأة أبيه ، وهذا أمر مخالف لشريعة اللـه (لا١٨: ٨) ، لأنها بمثابة أمه . لذلك صار مستوجب القتل . كذلك كان خطأ من بثشبع أن تتوسط لأدونيا فى هذا الطلب الخاطئ (١مـل٢: ١٨) . لذلك رفض سليمان طلبهـا ، بـل وبخها على ذلك (١مل٢: ٣٣) على الرغم من سجوده لها قبلاً .

* * *

ب – موقف يوناثان من شاول الملك أبيه :

كان شاول الملك يحسد داود ، ويخاف أن يأخذ داود الملـك منـه. لذلك حـاول أن يقتل داود أكثر من مرة . أما يوناثـان فـإنضم إلـى داود ضد شـاول أبيـه . و كـان يخبر داود بخطط أبيه لكى يهرب داود منه (٢صم١٩: ٢). بل إن يوناثان وبخ أبـاه شـاول مـن جهـة محاولته قتل داود ، وقال له " لا يخطئ الملك إلى عبده داود، لأنه لم يخطـئ إليـك ، ولأن أعماله حسنة لك جداً .. فلماذا تخطئ إلى دم برئ، بقتل داود بلا سبب ؟!" (٢صم١٩: ٤، ٥) .. وعمل يوناثان على إفساد خطة أبيه فى قتل داود ، وأنقذه منه (٢صم٢٠) .

* * *

الطاعة إذن موجهة أصلاً إلى الله .

أما طاعة الآباء والمرشدين ، فهى داخل طاعة الله .

الكتبة والفريسيون كانوا علماء الشعب وقادته . ولكن السيد المسيح قد وصفهم بـأنهم (قادة عميان) كما فى (مت٢٣: ١٦، ٢٤). وهكذا ما كان يجب طـاعتهم ، وبخاصـة فيمـا يعلمون به عن السبت، والهيكل والمذبح والقربان (مت٢٣) . وهم وأمثـالهم ينطبـق عليهـم قول الكتاب " يا شعبى ، مرشدوك مضلون " (أش٣: ١٢) وقولـه أيضـاً " وصـار مرشـدو هذا الشعب مضلين " (أش٩: ١٦) .

* * *

هكذا كما أن هناك أشخاصاً يهلكون بالعصيان ، هناك من يهلكون بالطاعة .

والأمر يتوقف على نوعية الطاعة والعصيان ، ونوعية المشورة المقدمة هل هى توافق

كلام الله أم لا . فإن كانت وصية الله واضحة أمامك، يجب أن تطيع الوصية الإلهية ، مهما كانت شخصية الذى يقدم لك المشورة ، أو الذى يصدر لك الأمر . وإن لم يكن الأمر واضحاً بوصية إلهية ، فماذا تفعل ؟

* * *

على الأقل يجب أن تطاوع ضميرك .

والمثال واضح فى قصة أوريا الحثى مع داود الملك مسيح الرب : كان داود الملك يحاول أن يغطى على خطيئته مع إمرأة أوريا ، بأن يجعل أوريا يبيت فى بيته مع إمرأته. ولكن ضمير أوريا لم يسمح له أن يكون باقى الجيش فى البرية يحارب، بينما يأتى هو إلى بيته ليأكل ويشرب ويضطجع مع إمرأته "لذلك قال لداود الملك " وحياتك وحياة نفسك ، لا أفعل هذا الأمر" (٢صم١١: ١١). وهنا أطاع أوريا ضميره، ولم يطع الملك مسيح الرب..

* * *

هناك أمر فى الإنجيل ، بعدم طاعة التعليم الخاطئ .

وذلك فى قول القديس بولس الرسول " إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم به ، فليكن أناثيما .. " (غل١: ٨) . أى أنه مهما كانت درجة الذى يوصل إليكم التعليم – رسولاً كان أو ملاكاً – فلا تطعه فيما يخالف كلام الله . ومن يطيعه يكون محروماً ...

وينطبق ذلك على التعليم الذى يصدر من " نبى أو حالم حلماً " حتى لو أنه " أعطاك آية أو إعجوبة . ولو حدثت الآية أو الإعجوبة " (تث١٣: ١– ٣) .

يقول الكتاب " فلا تسمع لكلام ذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم . لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكى يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم " (تث١٣: ٣) .

* * *

موقف القديسة دميانة من أبيها .

كان أبوها والياً على البرلس والزعفران، فلما خضع لديوقلديانوس، وأنكر الإيمان ولو خوفاً، إعتبرت القديسة دميانة أنه لم تعد له عليها طاعة كأب. بل وبخته بشدة، وقالت له إنها تتبرأ من أبوته إن ظل هكذا منكراً للإيمان. وظلت حتى أعادته إلى الإيمان واستشهد.

* * *

إن طاعة الوالدين نضع أمامها قول الرب :

"من أحب أباً أو أماً أكثر منى، فلا يستحقنى .." (مت١٠: ٣٧)

إذن أنت تكرم والديك إلى أبعد حد ، فهذه أول وصية بوعد ، كما قال الرسول (أف٦: ٢) . وتطيعهما أيضاً إلى أبعد الحدود، ولكن " فى الرب " داخل وصية الله . أما خارج الوصية ، فالطاعة لله أولى .

★ ★ ★

ونفس الوضع يقال عن الآباء بالروح ، وعن المرشدين ...

لاشك أن أريوس - ككاهن - كان له أبناء فى الإعتراف .

فلما سقط فى هرطقته ، لم تعد له طاعة عليهم . وهكذا بالنسبة إلى كل من خرجوا عن الإيمان ، وكل المعلمين المخطئين كالكتبة والفريسيين ... والكهنة الذين يستخدمون الحل والربط ضد وصية الله. وهكذا نقول :

" كل حِلّ ضد وصية الله هو حِلّ باطل .

مهما كانت الدرجة الكهنوتية التى تصدره . فالكاهن إنما يعطى الحلّ ، باعتباره منفذاً لوصية الله " ومن فمه تطلب الشريعة لأنه رسول رب الجنود " (ملا٢: ٧). فإن كان الحل منافياً للشريعة يكون حِلاً باطلاً ...

وينطبق هذا أيضاً على الكهنة الذين يعطون تصريحاً بالزواج للمطلقين بعكس وصية الله ، أو أى تصريح بزواج غير شرعى .

★ ★ ★

أنت تطيع الكاهن . والكاهن ينبغى أن يطيع الله .

وأنت تطيع المرشد ، ولكن ينبغى للمرشد أيضاً أن يطيع الله . وليس من حق الكاهن أو المرشد أن يعطيك حِلاً بأن تكسر وصية الله. فالراهب مثلاً الذى برهبنته قد نذر البتولية، من ذا الذى يستطيع أن يمنحه حلاً بأن يتزوج كاسراً وصايا الله بخصوص النذر (جا٥: ٥) ..؟!

★ ★ ★

إن فضيلة الطاعة فضيلة جميلة تدل على الأدب والتواضع وإحترام الكبار والخضوع لهم ، ولكن ...

هناك بعض المواقف ، التى يجب أن نقول فيها (لا...) .

صدقونى ، أتجرأ وأقول أن البعض استخدموا كلمة لا مع الله نفسه ، وكانوا من الأبرار والقديسين ..

* * *

موسى النبى ، قال له الرب " رأيت هذا الشعب ، وإذا هو شعب صلب الرقبة . فالآن أتركنى ليحمى غضبى عليهم وافنيهم .. " (خر٣٢: ٩، ١٠) . ولكن لم يتركه ليحمى غضبه . بل قال له "ارجع عن حمو غضبك، واندم على الشر بشعبك" (خر٣٢: ١٢) . " والآن إن غفرت خطيتهم ، وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت " (خر٣٢: ٣٢) .

ولم تعتبر هذه عدم طاعة لله ، وإنما دالة . ولم يكن كلام الله أمراً لموسى ينبغى أن يطيعه، وإنما كان اختباراً لمحبته لشعبه وطول أناته عليهم .

* * *

إن المناقشة مع الله ، لا تنفى حياة التسليم لمشيئته وأوامره.

ومثال ذلك مناقشة أبينا إبراهيم أبى الآباء والأنبياء مع الله بخصوص إهلاك سادوم وقوله له " أفتهلك البار مع الأثيم ؟!.. حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر" (تك١٨: ٢٣، ٢٥) . ولم يقل إبراهيم " لتكن يارب مشيئتك. احرق سادوم" !! بل كان نقاشه مع الله جزءاً من بره .

* * *

وهنا أيضاً نذكر ما قاله أرميا النبى " أبرّ أنت يارب من أن أخاصمك. ولكنى أكلمك من جهة أحكامك : لماذا تنجح طريق الأشرار ؟! إطمأن كل الغادرين غدراً " (أر١٢: ١).

* * *

إذن يمكن أن تقول لا أحياناً لمن هو أكبر منك . ولكن قلها فى أدب .

كما قالتها أبيجايل لداود النبى ، بكل إحترام وفى نصح ومحبة ، حينما أراد أن يقتل نابال الكرملى " .. لا تكون لك هذه مصدمة ومعثرة قلب لسيدى، إنك سفكت دماً عفواً ، أو أن سيدى قد انتقم لنفسه" (١صم ٢٥: ٣١) وسبقت ذلك بكثير من كلام المديح. فسمع داود لها وامتدح عقلها ، لأنها منعته فى ذلك اليوم من إتيان الدماء وإنتقام يده لنفسه (١صم٢٥: ٣٣) .

* * *

يوحنا المعمدان وجد من واجبه أن يقول لا ، للملك هيرودس .

فقال له " لا يحل لك أن تأخذ إمرأة أخيك " (مر٦: ١٨) .

★ ★ ★

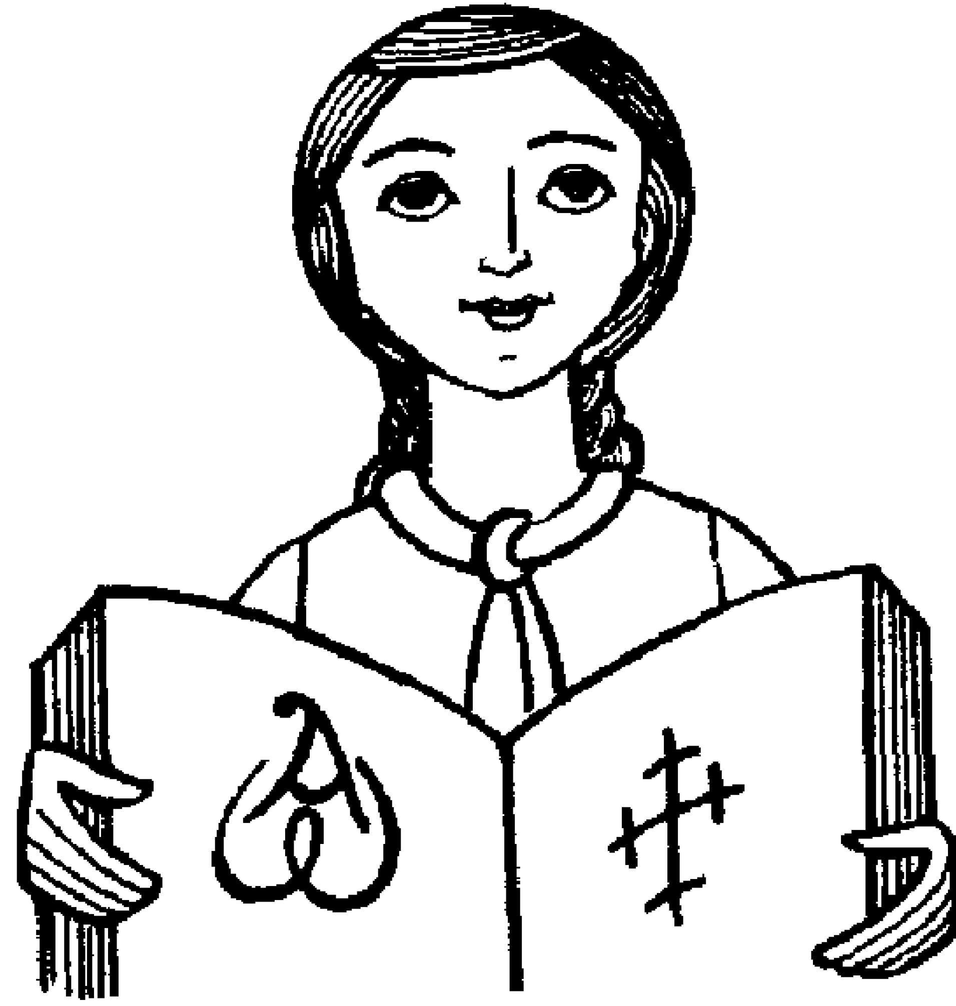
إذن في بعض المواقف ينبغى للإنسان أن يشهد للحق ، على شرطين :

أ - أن يكون متأكداً أن ما يتكلم عنه هو الحق . فلا يدافع عن جهل .

ب - أن يقول ذلك فى أدب . فلا يخطئ بلسانه ولا بقلمه ولا بمشاعره، ولا يجعل الآخرين يسلكون فى سبيله ويخطئون معه، من أجل الحق، أو ما يظنه أنه الحق .

لأنه ليس من الحق ، أن يخطئ إنسان باسم الدفاع عن الحق.

★ ★ ★



الفضيلة ليست مظهراً خارجياً

"كل مجد ابنة الملك من داخل"

(مز ٤٥)

الداخل والخارج

قال السيد الرب " ملكوت الله داخلكم " (لو١٧: ٢١) .

أى فى داخل العقل والقلب ، فى المشاعر والنيات والأحاسيس.. وطبعاً إذا ملك الله فى الداخل ، فمن الطبيعى أن تظهر ثمار ذلك فى التصرفات الخارجية .

أما البر الذى من الخارج فقط ، فقد يكون رياء !

الكتبة والفريسيون كانوا يظهرون من الخارج أنهم ابرار. ولكنهم كانوا مرفوضين من الرب ، وقد وصفهم بأنهم مراؤون. ووبخهم قائلاً " إنكم تنقون خارج الكأس والصحفة، وهما من الداخل مملوءان اختطافاً ودعارة " " ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون. لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة ، تظهر من خارج جميلة ، وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة .. " (مت٢٣: ٢٥، ٢٧) .

* * *

" إذن المهم هو البر الداخلى ، ومن أجله قال الرب :

" **يا إبنى أعطنى قلبك** " (أم ٢٣: ٢٦) .

أعطنى قلبك أولاً ، فأسكن فى داخلك ، فى مشاعرك ، فى أعماقك ، وحينئذ، ونتيجة لذلك، سوف " تلاحظ عيناك طرقى" . وهذه نتيجة طبيعية إذا ما أعطيتنى قلبك . فالخير يبدأ داخل القلب والفكر. وهكذا قال القديس بولس الرسول " تغيّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم ؟ (رو١٢: ٢) . وما معنى تجديد الذهن ؟ معناه أن ينظر الإنسان إلى الأمور بنظرة جديدة ، باقتناع آخر . وحينئذ سوف يتغير شكله ، ولا يشاكل هذا الدهر ، أى لا يصير شكله مثله . لذلك شرح الرسول الطريق السليم بقوله :

" **لا تشاكلوا هذا الدهر . بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم** " (رو١٢: ٢) .

فجعل تغيير الشكل الخارجى نتيجة طبيعية لتجديد الذهن ، أى للتجديد الداخلى .

* * *

وفى هذه الحالة إن تعرض الإنسان لحرب روحية من الخارج، فإن محبته لله وللخير التى هى داخل قلبه ، ستجعله قوياً ينتصر على كل حرب خارجية ويرفض أفكار العدو .

الحرب الخارجية تعرّض لها الكل ، حتى المسيح !

وهو على جبل التجربة ، قدّم له الشيطان ثلاثة أفكار . ولكنه رفضها جميعاً ، وردّ عليها . لأن البر الداخلى لا يتفق معها .

* * *

وهكذا الأبرار فى كل جيل : ما أكثر الحروب التى تعرض عليهم من الخارج، ولكن برّهم الداخلى يرفضها. كالإغراءات الكثيرة التى عرضت على الشهداء قبل إستشهادهم ، ورفضوها ... وكالحروب الروحية التى تعرض لها يوسف الصديق ، وكانت تلح عليه كل يوم . ولكن بره الداخلى رفضها ، قائلاً فى تعجب " كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله ؟!" (تك٣٩: ٩) .

* * *

ونحن حينما نقول البر الداخلى ، لا نقصد مطلقاً أعمال البر الخارجية :

فقد يفعل الإنسان البرّ رياء، كالكتبة والفريسيين ، وفى داخله حب الخطية . أو قد يفعل البر خوفاً من إنتقاد الناس ، أو خوفاً من عقوبة المجتمع ، أو عقوبة القانون .. أو قد يفعل ذلك خجلاً . أو قد يعمل البر من أجل كسب مديح الناس ، وليس من أجل محبة الله ومحبة الخير . أو قد يعمل الخير مجاراة وتقليداً لتيار فى المجتمع ، وهو غير مقتنع من الداخل ، وربما وهو محرج لا يستطيع أن يقول : لا ...

* * *

إذن الفضيلة ليست فى عمل الخير ، إنما هى أصلاً فى محبة الخير .

محبة الخير فى القلب ، حتى لو كانت هناك موانع تعوق التنفيذ عملياً . لذلك فالأب الكاهن فى (أوشية القرابين) يصلى طالباً البركة لأولئك " الذين يريدون أن يقدموا لك ، وليس لهم " . فيأخذون البركة على مجرد النية أو الرغبة الداخلية ، بدون الممارسة الخارجية ، مادام هناك عائق يمنع ذلك ...

والله تبارك إسمه هو وازن القلوب (أم ٢١: ٢) . ووازن الأرواح (أم١٦: ٢) ، ويكافئ على البر الداخلي، الذى فى داخل القلب والروح، ويعرف مدى صدقه ، ومدى إلتزامه إذا اتيحت له الفرصة ...

والإنسان البار ، تحاربه الخطايا من خارج فقط . لأنه من الداخل بار ، وقوى ، ورافض للخطية .

* * *

أما الإنسان الضعيف من الداخل ، فأمامه حربان :

١ - إما أنه يسعى بنفسه إلى الخطية .

٢ - أو إذا سعت إليه الخطية ، لا يرفضها ولا يقاومها .

إن أتته الخطية ، تجد بيته " مزيناً وفارغاً " (مت١٢: ٤٤) ، فتستريح فيه . إن قلبه مثل البيت المبنى على الرمل الذى إذا نزل المطر، وجاءت الأنهار ، وهبت الريح ، وصدمته ، يسقط ذلك البيت ويكون سقوطه عظيماً (مت٧: ٢٧) .

* * *

هناك إنسان ضعيف من الداخل ، وإنسان آخر يتسبب فى إضعاف نفسه ...

إنسان ضعيف من الداخل ، ويحاول أن يقوّم نفسه ، ولا يعتبر الضعف الذى فيه طبيعة ثابتة ، ولكنه يحاول أن يغيّر نفسه . ولكن هناك من يلجأ إلى الأسباب التى تؤدى إلى ضعفه ، أو التى تزيد ضعفه ضعفاً .

* * *

أما الإنسان البار فهو محصّن من الداخل .

مهما صادمته الحروب الروحية ، لا تقدر عليه ، فأبوابه مغلقة أمامها . كما قيل عن عذراء النشيد :

" أختى العروس جنة مغلقة ، عين مقفلة ، ينبوع مختوم" (نش٤: ١٢) . وكما يقول المزمور " سبحى الرب يا أورشليم، سبحى إلهك يا صهيون ، لأنه قوّى مغاليق أبوابك " (مز١٤٧) .

حينما يكون الإنسان قوياً من الداخل ، وقد أغلق أبواب فكره وقلبه أمام كل خطية وكل شهوة ، هذا يستطيع أن يقاوم إبليس وكل حيله . بعكس الضعيف فى داخله الذى يسقط بسهولة ، إن لم يكن فى نفس الوقت فبعد حين .

على أن الإنسان قد تمر عليه فترات قوة أو ضعف .

فأحياناً يكون قوياً من الداخل ينتصر فى كل حرب مهما كانت شدتها . وأحيانـاً يكـون فى حالة ضعف من الداخل ، فيسقط وهو نفس الشخص الذى انتصر قبلاً .

مثـال داود النبـى

كان شاول الملك الشرير يطارد داود من برية إلى أخرى، ومن مكان إلى آخر ، ويريد قتله بكل السبل . وأخيراً حانت الفرصة لداود، ووقع فى يده شاول وكان نائماً . وأصحاب داود حرضوه على قتله وقالوا له إن الله دفعه إلـى يده . ولكـن داود رفـض ذلـك بطريقـة قاطعة وحاسمة . وقال " حاشا لى من قبل الرب أن أعمل هذا الأمر بسيدى مسيح الرب ، فأمد يدى إليه ، لأنه مسيح الرب هو " ووبخ داود رجاله (١صم٢٤: ٦، ٧) .

ولكن داود حينما كان ضعيفاً فى الداخل ، أراد أن يقتل نابال الكرملى .

لأنه رفض أن يعطيه طعاماً لرجاله فى يوم جزّ الغنم .. وأمـر داود رجالـه أن يتقلدوا سيوفهم ، وصمم أنه لا يبقى لنابال حتى الصباح بائلاً بحائط (١صم٢٥: ٤- ٢٢) ... لولا أن أبيجايل بحكمتها منعته من إتيان الدماء والإنتقام لنفسه (١صم٢٥: ٣٣) .

داود هو داود ، نفس الشخص . ولكن هناك فرقاً بين حالـه فـى وقـت القـوة الداخليـة ، وحاله وهو فى وقت ضعفه .

★ ★ ★

داود فى وقت ضعفه ، فى مرة أنقذته النعمة ، وفى مرة أخرى سقط .

انقذته النعمة حينما أرسلت إليه أبيجايل لتوبخه فـى حكمـة وتمنعـه مـن سـفك الدمـاء . ولكنه سقط فى مرة أخرى ، حينما أشتهى بتشبع، وزنى بهـا ، وتحـايل علـى قتـل زوجهـا أوريا الحثى، وقتله بحيلة لا تتفق مع المنهج الروحى، واستحق لذلك عقوبة من الرب على فم ناثان النبى (٢صم١١، ١٢) .

مثـال إيـليـا

حينما كان إيليا قوياً من الداخل ، استطاع أن يوبخ آخـاب الملـك علـى سـماحه بعبـادة الأصنام ، بل استطاع أن يقتل ٤٥٠ نبياً من أنبيـاء البعـل عنـد جبـل الكرمـل (١مل١٨) .

وفي مرة أخرى ، قال فى قوة لقائد الملك أخزيا " إن كنت أنـا رجل اللـه، لتنزل نـار من السماء، وتأكلك أنت والخمسين الذين لك " (٢مل١: ١٠) . وقد كان، وتكرر الأمر .

أما حينما ضعف إيليا من الداخل ، فإنه خاف من إيزابل وهرب. ولما افتقده الرب فـى هروبه ، وسأله قائلاً "مالك ههنا يا إيليا " ... أجاب " .. نقضوا مذابحك ، وقتلوا أنبيـاءك بالسيف ، وبقيت أنا وحدى. وهم يطلبون نفسى ليأخذوها " (١مل١٩: ١٤) .. وأمره الرب أن يمسح أليشع نبياً عوضاً عنه (١مل١٩: ١٦) .

مثال إبراهيم

لما كان أبونا إبراهيم قوياً فى إيمانه من الداخل ، بالإيمـان وضـع إبنـه وحيده اسـحق على المذبح، ورفع السكين عليه ليقدمه لله محرقة " هذا الذى قيل له عنه : باسـحق يدعـى لك نسل " " إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات " (عب١١: ١٨، ١٩) .

وبالعكس لما ضعف أبونا إبراهيم ، فى الداخل وخاف من الموت، قال عـن سـارة إنهـا أخته . لئلا لو عرفوا أنهـا زوجتـه يقتلـوه ويأخذوهـا . وقـال لسـارة " هـذا معروفـك الـذى تصنعين إلىّ . فى كل مكان آتى إليه ، قولى عنى هو أخى " (تك٢٠: ١٣، ١١) .

بالمثل شمشون الجبـار

كان فى بدء حياته قوياً جسداً وروحاً . اختاره الرب قبل أن يولـد ، وكـان روح الـرب يحركـه (قض١٣: ٧، ٢٥) . ولكـن لمـا ضعـف مـن الداخـل ، وملـك الزنـا علـى قلبـه (قض١٦: ١) . ثم أحب دليلة ، وملكت عليه ، اسـتجاب أخيراً لإلحاحهـا فـى معرفـة سرّ قوته، كشف لها سرّه أخيراً " لما كانت تضايقه كل يوم بكلامها، وألحت عليه حتى ضـاقت نفسه إلى الموت " (قض١٦: ١٦) . وهكذا لما ضعف من الداخل ، استسلم لها ، وناله مـا ناله بعد ذلك.. وقد أتاه الضعف الداخلى عن طريق التدريج .

* * *

* **أحياناً يكون سبب السقوط من الداخل والخارج معاً .**

مثال ذلك ما حدث لأبينا يعقوب : كان محاربا من الداخل بأن ينـال البركـة ، كمـا نـال

البكورية من قبل بحيلة مع أخيه ، إذ اشتراها منه وهو جوعان ومعيى بأكلة عدس (تك ٢٥: ٢٧- ٣٤) . لذلك عندما عرضت عليه أمه حيلة أخرى أن يخدع بها أباه وينال البركة، كان ضعفه الداخلى مؤهلاً لقبول التحايل، لسابق عهده به، ولشهوة قلبه الداخلية . لذلك على الرغم من أنه أظهر شيئاً من التخوف، إلا أنه قبل أن يخدع أباه. وقال له " أنا عيسو بكرك " (تك٢٧: ١٩) .

أخاب الملك

كان ضعيفاً من الداخل ، أمام شهوته فى إمتلاك حقل نابوت اليزرعيلى. فلما أتته نصيحة زوجته الخاطئة إيزابل، بحيلة لقتل نابوت وأخذ حقله، حينئذ أستجاب آخاب، ونفذ الخطة الشيطانية التى اقترحتها إيزابل . كان الداخل والخارج متجاوبان معاً .

يهوذا أيضاً

كان داخله مثقلاً بمحبة المال، لذلك لما جاءه إغراء رؤساء الكهنة من الخارج، استجاب له، وأخذ المال، واتفق معهم على تسليم سيده .

هيرودس الملك

كان محارباً من الداخل بمحبة المديح، لذلك لما جاءه تملق الناس من الخارج قائلين له لما تكلم " هذا صوت إله لا صوت إنسان " (أع١٢: ٢٢) . ابتهج بصوت المديح ولم يرفضه . فضربه ملاك الرب ومات فى الحال .

بعكس بولس الرسول ، لما شفى الرجل المقعد فى لسترة وقام ومشى، وأتى الكاهن ليقدم له الذبائح مع زميله برنابا !! لكن بولس رفض وقال " ونحن بشر تحت الآلام مثلكم، ووبخ الناس ودعاهم إلى الإيمان بالإله الحى " .. فكانت النتيجة أنهم رجموه حتى ظنوا أنه قد مات " (أع١٤: ٨ – ١٩) .

الخوف كمثال

ليس سبب الخوف باستمرار ، هو عوامل خارجية تسبب الخوف . فالقلب القوى من

الداخل لا يخاف . والمؤمن بحماية الله له لا يخاف وقد قال المرتل في مزمور الراعي "إن سرت في وادى ظل الموت، لا أخاف شراً، لأنك أنت معي " (مز٢٣) ، وقال أيضاً "إن يحاربني جيش ، فلن يخاف قلبي . وإن قام عليّ قتال، ففي ذلك أنا مطمئن" (مز٢٧) . داود لم يخف من جليات ، لأن قلبه كان مملوءً بالإيمان ، أن الرب سيحبسه في يده ، وأن الحرب للرب (١صم١٧: ٤٦، ٤٧) .

* * *

والشهداء لم يخافوا من الموت ، لأن قلوبهم البارة ، كانت تشتهى أن تلتقى بالرب في الفردوس . وكذلك يوحنا المعمدان لم يخف من هيرودس الملك ، بل وبخه .. لذلك إذا خفت ، أعرف أن هناك ضعفاً في الداخل ، حاول أن تنتصر عليه . فبطرس الرسول، خاف وهو يمشي على الماء مع المسيح . ذلك لأن إيمانه من الداخل قد ضعف . لذلك وبخه الرب قائلاً " يا قليل الإيمان ، لماذا شككت ؟ " (مت١٤: ٣١) .

* * *

* **القلب القوى في الإيمان لا تهزه الشكوك الخارجية .**

لأن إيمانه أقوى من الشكوك . وهكذا كان أثناسيوس الرسولي حصناً قوياً للإيمان ضد كل شكوك الأريوسية ، وما استخدمته من فهم خاطئ لنصوص الإنجيل المقدس .

لهذا ينبغي على كل أسرة أن تقوى إيمان أطفالها، حتى يستطيعوا بالقوة الداخلية أن يصمدوا أمام كل الشكوك التي يثيرها بعض رجال الفلاسفة أو العلم ، أو الملحدون، أو بعض الطوائف المنحرفة مثل شهود يهوه والسبتيين وغيرهم ...

دائماً الخارج يضغط ، ملتمساً إستجابة من الداخل ..

فإن لم يجد ، تفشل كل حيله . فأيوب مثلاً لم يستجب ...

مثال أيوب الصديق

هذا الرجل الكامل ، إذ كان باراً في داخله ، حلّت عليه تجارب مؤلمة لم تحدث لأحد من قبله ، جردته من ماله ، ومن أبنائه وبناته، ومن صحته ومن رأفة أصحابه عليه . ولكن إيمانه بالرب لم يتزعزع ، بل قال عبارته المشهورة " الرب أعطى والرب أخذ، فليكن إسم الرب مباركاً " (أى١: ٢١) . ووبخ إمرأته بقوله لها "تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات. هل الخير من عند الله نقبل والشر لا نقبل؟!" (أى٢: ١٠) .

في التطبيق العملى

★ **إنسان صائم** : قد يبدو من الخارج صائماً ، وهو فى داخله يشتهى الأكل ، ويتحايل على الطعام النباتى ، ويتخير ما يكون منه شهياً ، بعكس دانيال النبى، الذى كان قلبه نقياً فى صومه . وقد روى فى إحدى المرات قائلاً " كنت نائحاً ثلاثة أسابيع أيام . لم آكل طعاماً شهياً، ولم يدخل فمى لحم ولا خمر، ولم أدّهن .. " (دا١٠: ٢، ٣) .

لذلك ليس الصوم مجرد ممارسة من الخارج ، وإنما من الداخل يكون القلب صائماً ، وتكون النفس زاهدة ، فلا يكون الصوم شكلياً.

مثال العفة

ليست العفة هى مجرد إمتناع الجسد عن الزنا. فقد يمتنع الجسد بينما تكون الروح زانية بشهواتها. وهذا ما قصده الرب بقوله " فقد زنى بها فى قلبه " (مت٥: ٢٨) . إذن العفة الداخلية ، هى نقاوة القلب من شهوة الزنا .

كذلك الحشمة ليست مجرد أوامر نصدرها من جهة الملابس أو الزينة، إنما هى حياء داخلى ، سواء فى أسلوب الكلام أو النظر. ويقول ماراسحق عن (الزى الحسن) أن الإنسان يكون محتشماً حتى وهو جالس وحده في غرفته الخاصة ...

مثال التسامح

ليس التسامح أن تقول للمسئ بلسانك " الله يسامحك " ، بينما أنت تفرح إذا انتقم الله لك منه !! لأن (التسامح) هنا لا يكون من القلب . وبالمثل ليس أن تسلم على خصمك ، أو يصلى الأب الكاهن على رأسيكما معاً . وليس هو أن تغفر، بل بالحرى أن تنسى .

. Not only to forgive , but rather to forget

وبالمثل ليس التواضع أن تقول كلمات " أخطأت " .

دون شعور حقيقى بذلك . إذ يقول إنسان كلمة " أخطأت " ولكن إذا قيلت له من آخرين ، يتضايق ، وربما يجادل ويدافع عن نفسه ... وليس التواضع أن تضرب مطانية لغيرك ، وتحنى رأسك ، بل التواضع هو أن تحنى نفسك ...

حيَاة الفضيلة والبرّ
هى الحيَاة بالروح

قيل فى الكتاب " لا دينونة الآن على الذين فى المسيح يسوع ، السالكين ليس حسب الجسد ، بل حسب الروح " (رو٨: ١) .

فما هى إذن الحياة بالروح ؟

ملخص الحياة الروحية :

الحياة بالروح تتوقف على نقطتين أساسيتين هما :

أ - إنتصار الروح البشرية فى جهادها .

ب - عمل روح الله القدوس فى الإنسان .

إن الروح البشرية لها بطبيعتها طاقات جبارة ، لو أحسن الإنسان إستخدامها ، لترتفع إلى مستوى عالٍ جداً ، حتى لو كان غير مؤمن ، فهكذا يفعل اليوجا ، وهكذا يفعل كثير من نساك الهندوس ، برياضيات روحية يتدربون عليها ، لكى تصل أرواحهم إلى ملء طاقاتها الطبيعية .. منتصرة على الجسد والمادة ...

* * *

فإن كانت هكذا الروح البشرية حسب طبيعتها ،

كم تكون إذن إذا إشتركت مع روح الله القدوس !

لذلك يحتاج الإنسان أن يقوى روحه ، وأن يعمق شركتها مع روح الله . ولتقوية الروح عليه أن يبعد بها عن السلبيات والعثرات ، وأن يقدم لها باستمرار الغذاء الروحى من صلاة ، وتأملات ، وقراءات روحية ، وتسابيح وألحان وقداسات ، وتداريب روحية ، وإجتماعات روحية منشطة .

* * *

ومن جهة العلاقة بالروح القدس ، عليه ألا يحزن روح الله (أف٤: ٣٠) ، ولا يطفئ الروح (١تس٥: ١٩) ولا يقاوم الروح . هذا من الناحية السلبية . ومن الناحية

الإيجابية ، ينمو حتى يصل إلى الإمتلاء بالروح (أف٥: ١٨) .

تطور علاقتنا بالروح :

١ - تبدأ علاقتنا بالروح فى سر **المعمودية**، حينما نولد فيها من الماء والروح(يو٣:٥) .

* * *

٢ - والعلاقة الثانية تكون فى سر **المسحة** ، حينما ندهن بزيت الميرون المقدس ، ويسكن الروح القدس فينا، وتصير أجسادنا هياكل للروح القدس (١كو٦: ١٩) .

كان هذا الأمر فى بداية العصر الرسولى ، بوضع أيدى الرسل ، فينال الناس الروح القدس كما حدث لأهل السامرة (أع٨: ١٧) ولأهل أفسس (أع١٩: ٦) . ولما كثر عدد المؤمنين جداً ، إستخدموا المسحة المقدسة بدلاً من وضع اليد (١يو٢: ٢٠، ٢٧) .

* * *

٣ - ولا يكفى أن ننال الروح القدس ، إنما يجب أن تكون لنا شركة معه .

إنه يعمل فينا وبنا . ويجب علينا نحن أيضاً أن نعمل معه . ويشترك الروح القدس معنا فى كل عمل نعمله .

والكنيسة تذكر شركة الروح القدس فى البركة التى يبارك بها الكاهن الشعب فى نهاية كل إجتماع (٢كو١٣: ١٤) .

* * *

٤ - وبشركتنا مع الروح القدس ، تظهر ثمار الروح فى حياتنا .

وقد ذكر القديس بولس الرسول ثمر الروح فى رسالته إلى غلاطية فقال " وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام ، طول أناة لطف صلاح إيمان ، وداعة تعفف . ضد أمثال هذه ليس ناموس " (غل٥: ٢٢، ٢٣) .

ثمار الروح تأتى نتيجة لعمل الروح القدس فى الإنسان ونتيجة لإستجابة روح الإنسان لعمل روح الله فيه ...

* * *

٥ - وكلما يزداد ثمر الروح ، تزداد الحرارة الروحية فى الإنسان .

وفى هذا المعنى يوصينا الرسول أن نكون "حارين فى الروح" (رو١٢: ١١) . لقد قيل عن الرب " إلهنا نار آكلة " (عب١٢: ٢٩) . كذلك فالذى يسكن فيه روح الله ، لابد أن

يكون مشتعلاً بهذه النار المقدسة .

وهكذا حلّ روح الله كألسنّة من نار على التلاميذ . فأشعلهم ناراً وغيرة ، ألهبتهم للخدمة ، فملأوا الكون كرازة .

وهؤلاء " الذين لا قول لهم ولا كلام ، وصلت أقوالهم إلى أقطار المسكونة " (مز١٩).

الله ظهر كنار فى العليقة (خر٣: ٢) ويتمثل فى المجمرة ناراً تشتعل فى الفحم فتصيره جمراً مشتعلاً . وكان قبول المحرقات فى العهد القديم يتمثل في النار المقدسة التى تشتعل، " ناراً دائمة تتقد على المذبح لا تطفأ " (لا٦: ١٣) . ولأن الملائكة قريبون من الله ، يعمل فيهم روحه القدوس ، لذلك قيل عنهم " **الذى خلق ملائكته أرواحاً، وخدامه ناراً تلتهب" (مز١٠٤: ٤)** .

ومن هذه النار ، أخذ إسم طغمة السارافيم .

* * *

نستطيع إذن أن نعرف رجل الله ، من ثمار الروح التى تظهر فى حياته . لأن الرب يقول " من ثمارهم تعرفونهم " (مت٧: ٢٠) .

ويمكننا أيضاً أن نعرفه من حرارته الروحية .

فصلاته صلاة حارة فى ألفاظها وفى دموعها وفى إيمانها وفى لهجتها ، صلاة تزعزع المكان كما حدث مع التلاميذ (أع٤: ٣١) .

والإنسان الروحى تكون خدمته خدمة حارة ، فى قوتها وفى إنتشارها ، وفى تأثيرها ، وفى غيرتها المقدسة وحماسها العجيب ... خدمة كلها نشاط ، وتأتى بثمر كثير ...

* * *

والإنسان الذى يعمل فيه روح الله ، يتميز بحرارة المحبة .

هذه المحبة الملتهبة من نحو الله والناس ، التى قيل عنها فى سفر النشيد " مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة " (نش٨: ٧) . وتشمل هذه المحبة كل أحد ، وتسعى بكل قوة فى خدمة الناس ، ولخلاص الناس .

لذلك إن كنت إنساناً ليست فيك حرارة ،

فاعرف أن عمل الروح فيك ليس كما ينبغى .

وطبعاً من محاربات هذه الحرارة ، الفتور الروحى .. وإن زاد الفتور فى إنسان ، وطالت مدته ، يتحول إلى برودة روحية .. ويصير هذا الإنسان جثة خامدة فى الكنيسة .. لا حركة ، ولا بركة .

* * *

هنا وأقول إن البعض يفهم الوداعة بطريقة خاطئة .

فيظن أنه فى وداعته ، يكون بلا حرارة ولا حيوية !! ولا يتأثر ولا يؤثر ، ولا تشتعل عواطفه ، ولا يغار للرب !! كلا ، فالسيد المسيح كان وديعاً ومتواضع القلب ، ومع ذلك كان حاراً فى عواطفه وفى خدمته ، يجول يصنع خيراً (أع ١٠: ٣٨) .

* * *

٦ - الإنسان الذى يسكن فيه روح الله ، تكون تصرفاته روحية .

نواياه ومقاصده وإتجاهاته تكون روحية ، ووسائله وسائل روحية . وكل لفظة يلفظها تكون كلمة روحية ، لها تاثير روحى فى نفوس سامعيه .

فهو إن تكلم يكون روح الله هو المتكلم على فمه .

كما قال السيد المسيح لتلاميذه " لأن لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم " (مت١٠: ٢٠) . فهل فى كل مرة تتكلم ، يكون روح الله هو الذى ينطق . وهل تقول له فى كل مرة " افتح يارب شفتىّ ، فيخبر فمى بتسبحتك " (مز٥٠) .

وإذا وقع فى مشكلة ، يحلها بطريقة روحية .

هناك من يحل المشكلة بأعصابه ، فيثور لها ويضج . وهناك من يقابلها بمشاعره فيبكى لها وينوح . وهناك من يعالج المشكلة بعقله ، فيجلس ليفكر . وهناك أيضاً من يحلها بروحه . فيصلى من أجلها ، ويصوم ، وينذر نذراً ، ويقيم قداسات . وفى تفكيره للحل ، يفكر بطريقة روحية ، بغير خطية ، بلا لوم أمام الله والناس .

* * *

٧ - وإذا سكن روح الله فى إنسان ، فإنه يقدسه .

يقدسه بالكلية ، يقدس قلبه وفكره وجسده وروحه ونفسه ، ويقدس الحياة التى يحياها... كما يقول الرسول " وإله السلام نفسه يقدسكم بالتمام ، ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم .. " (١تس٥: ٢٣) .

إنه تقديس من الناحيتين : الإيجابية والسلبية .

الإيجابية : من جهة قدسية الحياة التى تحياها ، وثمر الروح فيها . ومن الناحية السلبية: لا تكون لك شركة فى أعمال الظلمة ، مادمت قد دخلت فى شركة الروح القدس . فالرسول يتعجب قائلاً " أية شركة للنور مع الظلمة ؟!" (٢كو٦: ١٤) . ويقول أيضاً " لا تشتركوا فى أعمال الظلمة غير المثمرة ، بل بالحرى بكتوها " (أف٥: ١١) .

* * *

فإن كنت تشترك فى عمل من أعمال الظلمة ، فلا يكون روح الله يعمل فيك .

على الأقل فى وقت هذا العمل .. إلا إذا كان يبكتك وقتذاك ، وأنت تقاوم الروح !! وتقسى قلبك . الأمر الذى حذرنا منه الرسول قائلاً " إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم" (عب٣: ٧، ١٥) .

فى حالة إشتراكك فى عمل الظلمة ، تكون قد فصلت نفسك عن عمل الروح فيك .

إنفصلت عن الروح ، ولو إنفصالاً مؤقتاً .. إنفصالاً فى العمل والتصرف ، وفى الإرادة والمشيئة . ومن الجائز أن الروح لا ينفصل عنك ، بل يظل فيك يبكتك . ولكنك أنت منفصل عنه فكراً وحساً ، لك طريق آخر غير الطريق الروحى ، تسلكه أو تشتهيه...

* * *

ما أجمل تلك العبارة التى قيلت عن شمشون الجبار فى بدء حياته الروحية " وابتدأ روح الرب يحركه فى محلة دان .. " (قض١٣: ٢٥) .

فهل أنت مثله : روح الرب يحركك ؟

أم أنت تتحرك من ذاتك ؟ أم تحركك مشاعر خاطئة وفكر خاطئ ، أم تحركك إرادة أخرى غير إرادتك من قريب أو صديق أو موجه أو مرشد ؟! وإن كان يحركك مرشد ، فهل هذا المرشد يحركه روح الله ؟

والذى يحركه روح الله يسلك بالروح .

هذا السلوك يقول عنه القديس بولس الرسول " إذن لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع ، السالكين ليس حسب الجسد ، بل حسب الروح " (رو٨: ١) .

* * *

ويقيم مقارنة خطيرة بين السلوك بالروح ، والسلوك بالجسد .

فيقول " فإن الذين هم حسب الجسد ، فيما للجسد يهتمون . ولكن الذين حسب الروح ،

فيما للروح . لأن إهتمام الجسد هو موت ، ولكن إهتمام الروح هو حياة وسلام . لأن إهتمام الجسد هو عداوة لله .. فالذين هم فى الجسد ، لا يستطيعون أن يرضوا الله " .

" وأما أنتم فلستم فى الجسد ، بل فى الروح ، إن كان روح الله ساكناً فيكم " .

" فإذن أيها الإخوة : نحن مديونون وليس حسب الجسد ، لنعيش حسب الجسد. لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون . ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون" (رو٨: ٥ - ١٣) .

* * *

٨ ـ إذن هناك صراع بين الروح والجسد ، يقول عنه الرسول :

" **إسلكوا بالروح ، فلا تكملوا شهوة الجسد** " .

" **لأن الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد** " .

" وهذان يقاوم أحدهما الآخر .. " (غل٥: ١٦، ١٧) .

فهل يظل الإنسان فى هذا الصراع طوال حياته على الأرض ، يشكو من الجسد ومن شهوات الجسد ، ويصرخ قائلاً " إنى أعلم أنه ليس ساكناً فىّ، أى فى جسدى ، شئ صالح" " ويحى أنا الإنسان الشقى . من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟" (رو٧: ١٨، ٢٤) .

* * *

أم تراه صراعاً فى بدء الحياة الروحية ؟ إلى أن يتم إستسلام الجسد للعمل الروحى.

وخلال هذا الصراع ، يقول إنسان الله " اقمع جسدى وأستعبده . حتى بعد ما كرزت للآخرين ، لا أصير أنا نفسى مرفوضاً " (١كو٩: ٢٧) .

ومتى تقدس الجسد بالتمام ، وخضع للروح ، بل اشترك معها فى العمل الإلهى ، العمل الروحى ، حينئذ لا يكون بينهما صراع ، بل يتعاونان معاً .

* * *

٩ – وإذا نما الإنسان فى العمل الروحى ، يصل إلى درجة أعلى :

فيصبح لروحه سلطان ، وتصير لها قوة .

يصبح لروحه سلطان على الجسد ، وسلطان على الناس ، أقصد تأثيراً عليهم أكثر عمقاً .. ويصبح للروح أيضاً سلطان على الشياطين .

هذا السلطان منحه الرب لتلاميذه ، فقال لهم " ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو .." (لو١٠: ١٩) .. ما أعمق عبارة " وكل قوة العدو " !!

وهكذا كانت الشياطين تخاف من القديسين ، وتصرخ من هيبتهم وسلطانهم . وحدث ذلك عندما نفى القديس مقاريوس الكبير إلى جزيرة فيلا بواسطة الأريوسيين ، فصرخ الشيطان لما دخل الجزيرة ، وقالوا له " تركنا لك البرية ، فجئت إلى هنا لتهلكنا " .

* * *

بهذا السلطان كان القديسون يخرجون الشياطين .

الشياطين جربتهم أولاً بمحاربات ، فلم يخضعوا لها ، وانتصروا على الشياطين في كل حرب روحية ، حتى صارت الشياطين تخاف منهم . وأصبح لصلواتهم سلطان يمكن أن يطرد الشياطين .

يا ليتكم تأخذون هذا الموضوع مجالاً لدراستكم وتأملاتكم ، أعني خوف الشياطين من أولاد الله . وتجدون فصلاً عن ضعف الشياطين في كتاب القديس أثناسيوس الرسولي عن حياة القديس الأنبا أنطونيوس ...

* * *

أما السلطان على الناس ، فيظهر في التأثير عليهم .

إنسان يتكلم بسلطان لأن روحه لها سلطان على السامعين . لها سلطان أن تدخل إلى العقل ، وإلى القلب ، وأن تؤثر على الإرادة . وبخاصة لو كانت روحه أكبر من أرواحهم.." وإذا بالكلمة لا ترجع فارغة ، وإنما تعمل عملاً ، وتقتدر كثيراً في عملها .

بعد هذا ننتقل إلى نقطة أخرى في علاقتنا بالروح وهي :

* * *

١٠ - المواهب التي يمنحها روح الله للناس .

وقد شرح القديس بولس الرسول هذه المواهب في إصحاح كامل هو (١كو١٢) وذكر كيف أن كل هذه المواهب " يعملها الروح قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء " (١كو١٢: ١١) . وليس الآن مجال الحديث عن هذه المواهب ...

وأنا أفضل أن تهتم بثمار الروح أكثر من المواهب .

ثمار الروح هي خاصة بحياتك أنت وأبديتك . أما المواهب فغالبيتها خاصة بخدمة الآخرين . وقد يقع البعض بسببها في الكبرياء والمجد الباطل ...

* * *

١١ - ننتقل إلى نقطة أخرى وهي أن الروح يمنح قوة خاصة للمؤمن ، وعن ذلك قال

السيد الرب لرسله القديسين :

" **ولكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم** " (أع١: ٨) .

وهكذا تظهر القوة فى حياة أولاد الله ، قوة ليست من العالم ، وإنما من روح الله ، قوة فى الكلمة ، فى الخدمة ، فى الإنتصار على الشياطين ، فى تحمل الشدائد والضيقات . قوة فى الصلاة ، فى الإيمان ، فى عدم الخوف ، مهما كانت الأسباب . وهكذا قيل :

" **ملكوت الله قد أتى بقوة** " (مر٩: ١) .

هذه القوة تميز بها العصر الرسولى الذى عمل فيه الروح القدس بقوة ، وتميز بها عصر المجامع وأبطال الإيمان ، كما تميز بها عصر الرهبنة وبخاصة فى بدء نشأتها ...

قوة ظهرت فى عظة بطرس ، التى أدت إلى إيمان ثلاثة آلاف (أع٢) .

وتميزت بها خدمة القديس إسطفانوس ، (أع٦: ١٠) وتميزت بها كرازة القديس بولس الرسول فى تأثيرها وإنتشارها .

* * *

المشكلة التى نعانيها أن كثيراً من الخدام يخدمون بنشاط ومعرفة ، وربما باتساع كبير فى الخدمة ، ولكنهم لا يخدمون بقوة الروح . وربما تدخل بعض الأساليب العالمية فى الخدمة .

الخادم الحقيقى يخدم بروحه ، وبروح الله معه .

* * *

والإنسان الروحى تكون روحه مزينة بالفضائل .

تحدث الرسول عن " زينة الروح الوديع الهادئ " (ابط٣: ٤) .

وما أجمل ما قيل فى سفر النشيد عن الروح المزينة بالفضائل ، التى تعجب منها المنشد فقال " من هذه الطالعة من البرية مستندة على حبيبها " (نش٨: ٥) " .. معطرة بالمر واللبان وكل أذرة التاجر " (نش٣: ٦) .

* * *

حياة البرهى البعد عن الإثنينية

عندما خلق الله الإنسان ، خلقه باراً قديساً بسيطاً ، لا يعرف سوى الخير فقط . ولما سقط الإنسان فى الخطية ، وأكل من شجرة معرفة الخير والشر ، بدأ يعرف الشر إلى جوار الخير . وفقد بساطته ، وعرف أنه عريان ، واستحى من عريه وتغطى .

ومن ذلك الحين ، وقع الإنسان بين شقى الرحى ، أعنى الخير والشر . ودخل فى الصراع الداخلى بين الخير والشر ، الحلال والحرام ، ما يليق وما لا يليق ...

الصراع :

عاش الإنسان فى صراع الإثنينية . أمامه الإثنان : أيهما يختار ؟ وكما قال له الله فى سفر الشريعة " أنظر قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير ، والموت والشر .. قد جعلت قدامك الحياة والموت ، البركة واللعنة . فاختر الحياة لكى تحيا أنت ونسلك " (تث٣٠: ١٥، ١٩) .

* * *

وأول صراع عاشه الإنسان : هو الصراع بين الروح والجسد .

وفى ذلك قال القديس بولس الرسول " اسلكوا بالروح ، فلا تكملوا شهوة الجسد . لأن الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد . وهذان يقاوم أحدهما الآخر .. " (غل٥: ١٦، ١٧) . ويقول فى هذا الصراع الروحى " فإنى أعلم أنه ليس ساكناً فىّ، أى فى جسدى ، شئ صالح .. لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده ، بل الشر الذى لست أريده فإياه أفعل. فإن كنت ما لست أريده إياه أفعل ، فلست بعد أفعله أنا ، بل الخطية الساكنة فىّ.. " (رو٧: ١٨ - ٢٠) . ويكمل الرسول كلامه عن هذا الصراع فيقول :

أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى، ويسبينى إلى ناموس الخطية " (رو٧: ٢٣) .

* * *

وبهذا يكون الإنسان قد تحول إلى إثنين يتصارعان معاً . وكما قال أحد الأدباء الروحيين " كنت اصارع نفسى وأجاهد ، حتى كأننى إثنان فى واحد : هذا يدفعنى ، وذاك

يمنعنى " .. إنه صراع داخلى .

صراع سببه معرفة الخطية ، ثم محبة الخطية .

وقد يكون أحياناً صراعاً بين الشهوة والضمير .

وهو صراع فى هذا العالم فقط ، الذى نوجد فيه بالجسد ، ونحاط بالمادة ، ونعرف الخطية . أما فى العالم الآخر ، فى الأبدية السعيدة ، فسوف نعود إلى بساطتنا ، ولا نعرف سوى الخير فقط . وتُنزع منا تماماً معرفة الخطية . ولا يوجد صراع بين الروح والجسد ، لأننا فى القيامة العامة سنقوم بأجساد روحانية . ولا نلبس بعد أجساداً ترابية ، بل سماوية . " لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد . وهذا المائت يلبس عدم موت " (١كو١٥: ٤٤ - ٥٣) .

* * *

أما على الأرض ، فلايزال صراع الإنسان قائماً .

إنه صراع مع نفسه ، حتى يصل إلى ضبط النفس .

صراع مع رغائبه ، ومع افكاره ، ومع حواسه . وينتهى الصراع حينما يصير الإنسان واحداً ، وليس جبهات داخلية تقاوم إحداها الأخرى . وعلى رأى ماراسحق " إذا إصطلح العقل والجسد والروح ، حينئذ تصطلح معك السماء والأرض " ..

* * *

ولكن الصراع الداخلى هو مرحلةً للمبتدئين ، أو للذين لم يتحرروا بعد من الداخل .

فإن تحرروا ، يكون منهجهم هو النمو فى النعمة ، وليس الصراع بين الخير والشر ...

بالإضافة إلى الصراع فى حالة الإثنينية ، يوجد أيضاً :

الخوف :

مادام الإنسان لم يتحرر من شهوات العالم والجسد ، فلابد أن يقع فى الخوف :

إنه يشتهى ، ويخاف أن شهوته لا تتحقق . فإن تحققت ، يخاف إنها لا تستمر . فإن استمرت قد يخاف من نتائجها . وفى حالة الخطية ، يخاف أن تنكشف ، يخاف من العقوبة ومن الفضيحة . وإن استيقظ ضميره ، يخاف من غضب الله ، بل قد يخاف من كيفية الإعتراف بخطئه . وإن ترك الخطية ، قد يخاف من إمكانية عودته إليها .. !

إن حالة الإثنينية ترتبط دائماً بالخوف ، كما ترتبط بالشهوة . ولذلك لما تخلص منها القديس أغسطينوس ، قال عبارته المشهورة :

" **جلست على قمة العالم ، حينما أحسست فى نفسى : أننى لا أشتهى شيئاً ، ولا أخاف شيئاً** " .

الخوف مرتبط دائماً بالشهوة وبالخطية . ونقصد هذا المعنى للخوف ، وليس الخوف الصبيانى من الظلام والأرواح ...

* * *

فالإنسان الروحى لا يخاف أبداً . إنه يشعر بوجود الله معه يحميه ويخلصه ويقويه . لا يخاف الموت ، لأنه يعرف أن الموت يوصله إلى حياة أفضل . أما الخاطئ فيخاف ، لأنه لا يضمن حياته بعد الموت .. إذا صار الإنسان واحداً ، يتحد هذا الواحد بالعشرة مع الله وملائكته ، أما إن كان بعيداً عن هذه العشرة ، فإنه يخاف ...

* * *

ولعل الخوف بهذا المعنى ، هو الذى وضعه القديس يوحنا الرائى فى المقدمة حينما تحدث عن الهالكين !

فقال " وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة ، فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت " (رؤ ٢١: ٨) .

* * *

مادام هناك خوف ، إذن لابد من وجود خطأ فى الداخل .

الثلاثة فتية لم يخافوا من أتون النار ، ولا دانيال خاف من جب الأسود . ولا الشهداء خافوا من الموت أو التعذيب . لأن كلاً منهم كان واحداً ، يشتاق إلى الله . ولم يكن أحدهم إنسانين : أحدهما يحب الله ، والثانى يخاف الموت !!

الإثنينية تقود إلى الصراع ، والخوف ، وإلى أخطاء كثيرة :

أخطاء كثيرة :

الإثنينية تقود إلى الرياء :

فالإنسان هنا إثنان : أمام نفسه شئ ، وأمام الناس شئ آخر .. ! أمام الناس يلبس ملابس الأبرار والقديسين ، وأمام نفسه قد يكون عكس ذلك تماماً .. حينما يكون وحده قد

يسلك بإهمال أو بخطأ أو بما لا يليق . وأمام الناس ربما يحرص على أن يكون محترساً مدققاً فى تصرفاته .

* * *

وبالإثنينية يكون إنسانه الداخلى غير إنسانه الخارجى .

ربما تكون كل أفكاره ومشاعره ونيته ، غير ما يظهر للناس . أو أن الناس ـ بسلوكه أمامهم – محال أن يظنوا أن له أفكاراً حسب واقعه! حقاً لو كشف الله أفكارنا ومشاعرنا ، كم تكون دهشة الناس ، وكم يكون خجلنا ؟!

* * *

بالإثنينية قد يكون قلب الإنسان غير لسانه !

فهو يقول ما يعجب سامعه ، وقد يكون قلبه غير ذلك أو عكس ذلك ! وقد يصلى بشفتيه ، وقلبه مبتعد عن الله تماماً (أش٢٩: ١٣) (مت١٥: ٨) .

فهو من الظاهر يبدو قريباً من الله بشفتيه ، بينما قلبه مبتعد . أليس هذا الإنسان إثنين؟! ولذلك نحن نقول فى التسبحة " قلبى ولسانى يسبحان القدوس " .

* * *

إنسان آخر تتدرج به الإثنينية إلى التملق وإلى النفاق .

يكون فى قلبه كارهاً لرئيسه ، حاقداً عليه ، ومع ذلك يكلمه بكلام المديح والملق ! أليس هذا لوناً من النفاق ، صار فيه هذا الإنسان إثنين : الإنسان الداخلى فيه يختلف عن الخارجى ، بل يتناقض معه إلى أقصى حد ...

متى يصير الإنسان واحداً ؟ قلبه واحد مع لسانه ؟!

* * *

وليس معنى الوحدة أن يخطئ لسانه كما يخطئ قلبه !

كشخص باسم الصراحة يقع فى أخطاء عديدة .

كلا ، بل يصلح قلبه ، وينقيه من الحقد والكراهية ، حتى يصير واحداً مع لسانه . أو على الأقل يصمت ، فلا يتكلم بلسانه ما لا يعتقد به فى قلبه . وفى كل علاقاته إذا لم يستطع أن يوبخ الخطية ، فعلى الأقل لا يتملقها ! ولا يكون إثنين : قلبه فى جهة ، ولسانه فى جهة مضادة ...

* * *

أو إنسان داخل الكنيسة بصورة ، وخارجها بصورة عكسية .

سواء فى عبادته أو فى خدمته .. فى محيط الخدمة : بمنتهى الرقة واللطف والأدب . وفى البيت أو العمل بمنتهى الشدة والعنف والقسوة .. أو يكون داخل الكنيسة فى إسبوع البصخة كما يليق بإسبوع الآلام ، وخارج الكنيسة ضحك وهزل .. إنه إنسانان مختلفان ..

* * *

وفى معاملاته لا يجوز أن يكون إثنين ، أو بوجهين ، أو يلعب على حبلين !

فهو يعامل شخصاً برقة أو بإخلاص أو بإحترام ! ومن خلفه يدبر له مكيدة ، أو يتكلم عليه بالسوء . أو يكون معه بكل القلب ، أو يبدو كذلك ، فإذا انقلب الجو انقلب معه . وكما يقول المثل العامى (معاهم معاهم ، عليهم عليهم) ...!

* * *

وهذا الذى يعيش بالإثنينية ، لا يكون له ثبات .

فهو كثير التغير ، وقد يكون أيضاً كثير التردد . ويتحول من حال إلى حال بغير ثبات.. وقد يفكر فكراً ، ثم يجد فكراً فى داخله ضده . وتتصارع أفكاره أو قد تتصارع أذنه مع عقله . ولا يعرف هل يصدق أذنيه ويتبعهما ، أم يصدق قلبه وإقتناعه الداخلى .

* * *

الإثنينية قد تقود إلى إنقسام الشخصية .

وربما تقود إذا استمرت إلى إزدواج الشخصية ، أو تؤدى به إلى الشيزوفرينيا . وترى مثل هذا الشخص فى أحد الأيام بصورة ، وفى يوم آخر بصورة مغايرة . وتقول فى نفسك " ليس هذا هو الذى عرفته بالأمس. إنه شخص آخر تماماً !!" ...

* * *

الإثنينية قد تقود الإنسان إلى التحايل .

وقد يريد غرضاً سليماً ، ويلجأ فى سبيل تحقيقه إلى وسيلة خاطئة . وهكذا يجتمع فيه الخير والشر فى عمل واحد . والوسيلة الخاطئة تشوه الخير الذى يريده . وتعجب كيف يجتمع الإثنان معاً . ولكنه التحايل على الوصول !

* * *

وقد يتعامل مع الناس بأسلوبين ، ويزن بميزانين .

صديق له يعمل عملاً ، فيحكم عليه بميزان . ونفس العمل يعمله شخص آخر ، فيحكم عليه بميزان آخر . وإذا بالإثنينية تخرجه عن نطاق الحق والعدل ، وتخرجه عن مبدأ

المساواة فى التعامل . وتقف متعجباً أمام مصداقيته ...

وقد يغضب من كلمة تقال له ، ويبرر غضبه بأنه إنسان حساس لكرامته . بينما يقول هو نفس الكلمة لغيره ، ولا يضع فى ذهنه حساسية هذا الغير وشعوره !

* * *

وتجد مثل هذا التناقض فى تصرفات إمرأة أب :

تعامل إبنها بمنتهى العطف والحنو . بينما بمنتهى القسوة والظلم تعامل أبناء زوجها من زوجته الأولى . ويقف الإنسان متعجباً : كيف يجتمع الحنو والقسوة فى قلب واحد؟! ولكنها الإثنينية ، الحكم بأسلوبين ، وبميزانين ، وربما أيضاً بمنطقين متناقضين .. فى معاملة القريب والغريب !

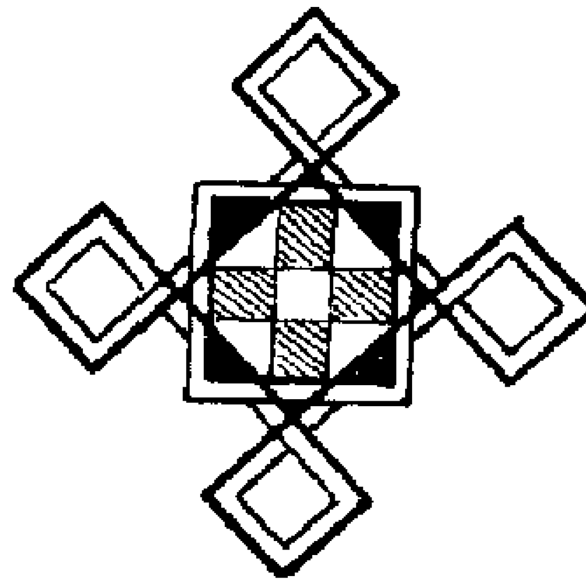
* * *

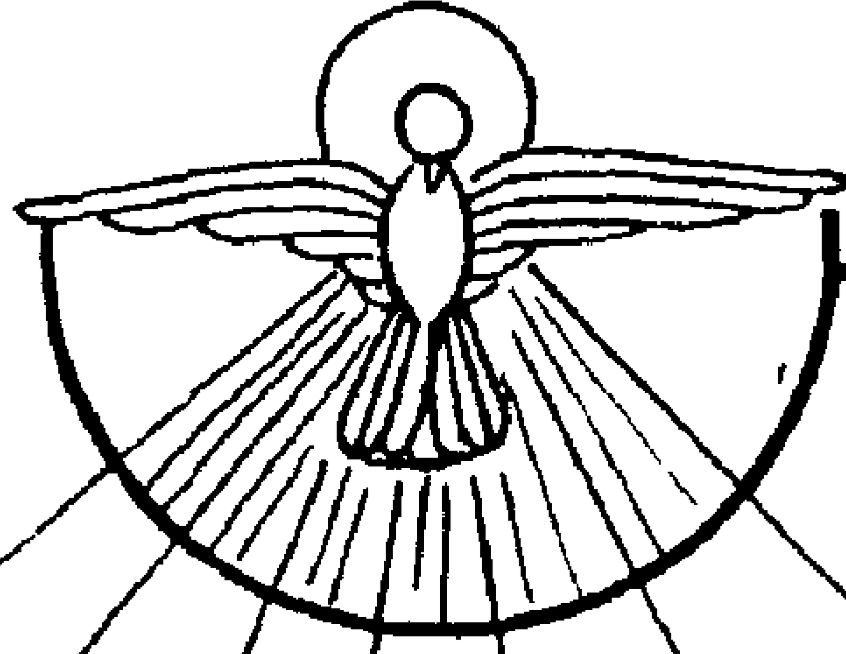
فى اليوم الأخير ، حينما يكشف الله الخفيات ، ترى أين نخبئ وجوهنا .

حينما تفتح الأسفار ، وتكشف الأفكار ، وتعلن الخفيات ، ويرى الناس إنساننا الذى لم يكن ظاهراً لهم .. تراهم ماذا يقولون ؟!

أما أنت يا أخى ، فدرب نفسك أن تكون واحداً .

إن كنا نبحث عن الوحدة بين الكنائس ، والوحدة بين الأمم والشعوب ، ألا نبحث بالحرى عن الوحدة داخل النفس الواحدة ، فلا يكون داخلها صراع بين طرق متعددة ...!





الباب الثاني

حياة الفضيلة بين الهدف والوسيلة

وأنواع من المستويات

حياة الفضيلة والبرّ بين الهدف والوسيلة

كلنا تقريباً نتفق فى الأهداف أو الأغراض ، مادام الهدف سليماً وخيراً. ولكننا نختلف فى الوسائل المؤدية إلى الهدف ...

فما هى أسباب إختلاف الوسائل إذن ؟

سببها إختلاف الفكر والعقل . كل منا له فكره الخاص ونظرته الخاصة إلى الأمور . كذلك تختلف الأفكار فى درجة الذكاء، وبالتالى فى الإستنتاج وفى الحكم والتقدير . ويختلف الناس أيضاً فى الطباع وفى نوع النفسية . كذلك يختلفون من جهة البيئة المحيطة بكل منهم ومدى تأثيرها عليه .

* * *

لذلك تجد أناساً طيبين ، ويريدون الخير . ومع ذلك فوسائلهم مختلفة ...

كل واحد له طريقته وأسلوبه ، وله منهجه الخاص فى الوصول إلى الغرض. ولهذا كثيراً ما يحدث خلاف فى العمل الجماعى ، سواء فى كنيسة أو جمعية أو لجنة أو أية هيئة .

★ ★ ★

أحياناً يوجد تنوع ، وأحياناً يوجد إختلاف وخلاف .

ونحن لا نعترض على التنوع ، فهو يؤدى إلى ثراء فى الفكر وفى الخبرة . أما الإختلاف فكثيراً ما يتسبب فى إنقسام وصراعات. وربما يتحول من الموضوعية إلى خلاف شخصى، وربما إلى خصام وإلى عداوة .

* * *

ففى موضوع الإصلاح مثلاً :

كلنا نحب أن تتصلح الأمور . من منا لا يريد ذلك ؟! ولكن يختلف الأسلوب ...

★ إنسان يقول نصلى ونصوم ، والله يتدخل ويصلح كل شئ.. ويرى أن هذا هو الأسلوب الروحى السليم .

★ وآخر يقول تتصلح الأمور بالصبر ، بطول الأناة . فالكتاب يقول " بصبركم تقتنون أنفسكم " (لو ٢١: ١٩) . " انتظر الرب . تقوَّ وليتشدد قلبك وانتظر الرب " (مز٢٧: ١٤).

★ ★ ★

★ وثالث يرى أن الإصلاح يأتى عن طريق الحكمة والتفكير والتفاهم .

★ ورابع أسلوبه فى الإصلاح هو العنف ، عن طريق النقد الشديد ، والمنشورات والتجريح والتشهير . ويقول إن هؤلاء المخطئين لا يصلحهم إلا إتخاذ الشدة معهم ...

★ وخامس يحب أن تتصلح الأمور بالوداعة والهدوء ، بإسلوب متضع لا نفقد فيه روحياتنا ، ولا نفقد فيه علاقتنا مع الآخرين ، والكتاب يقول " لتصر كل أموركم فى محبة" (اكو١٦: ١٤) .

لاشك أن أسلوب حبيب جرجس فى الإصلاح ، كان يختلف عن أسلوب غيره . وكانت دعامته العمل البناء ، والبعد عن السلبيات .

★ ★ ★

لذلك إن اشتركت مع أحد فى عمل ما، أو من أجل خير ما، لا يكفى أن يكون مشتركاً معك فى الهدف والغرض ، وإنما ينبغى أن يكون أيضاً مشتركاً معك فى الوسيلة وأسلوب العمل . لئلا تكون طريقته فى تنفيذ الغرض المشترك غير طريقتك ، فتختلفان معاً، أو يسبب لك مشاكل باعتباركما شريكان فى عمل واحد .

★ ★ ★

العجيب فى مسألة الوسيلة هو المبدأ المكيافيللى :

فيظن البعض أن الهدف الطيب يبرر الوسيلة الخاطئة !

وهذا ما كان يقوله مكيافيللى إن " الغاية تبرر الوسيلة " ..

فإنسان باسم الغيرة المقدسة مثلاً ، يستخدم العنف فى الكنيسة ، ويصيح وينتهر ويوبخ ويشتم، وربما يرفع قضايا .. وإن عاتبته أو ناقشته فى كل ذلك، يحتج بقول المزمور "غيرة بيتك أكلتنى " !! (مز٦٩: ٩) ... ولكننا نقول لمثل هذا :

إن الغيرة المقدسة تناسبها وسيلة مقدسة .

★ ★ ★

وبالمثل أب يقسو جداً على إبنه حتى يعقده نفسياً ، ويحتج بغرض مقدس هو تربية إبنه! إن الغرض سليم ، ولكن الوسيلة خاطئة ... أو زوج يحبس زوجته فى البيت ، ويقيد

كل تحركاتها وكلامها ، بحجة الحفاظ عليها !! الوسيلة أيضاً خاطئة ...

أو أم تتدخل فـي صميم الحيـاة الزوجيـة لابنتهـا ، وعلاقـة هذه الإبنـة بزوجهـا . وقـد تتسبب في فصلها عـن زوجهـا . وتتخفـى وراء هـدف مقـدس هـو الحـرص علـى إبنتهـا ، وضمان راحتها وكرامتها .

* * *

وكثيراً ما ضيع الناس أنفسهم وعلاقاتهم ، بالوسيلة الخاطئة .

شخص يسعى إلى مصالحة غيره . هدف سليم بلاشك . ويرى أن الوسيلة هى العتاب. لا مانع . ولكنه فـى طريقـة العتـاب ، يعيد الأوجـاع والجـروح القديمـة ، ويضغـط عليهـا بأسلوب يتعب الطرف الآخر . ويخرج من العتاب وقد ساءت العلاقـة عـن ذى قبـل ، لأن طريقة العتاب كانت خاطئة .. بعكس ذلك إنسان آخر يستطيع بالعتاب أن يكسب الموقف، بل يجعل الطرف الآخر يتفهم الموقف، ويعتذر له ، ويخرجان صديقين كأن شيئاً لم يكن.

* * *

العتاب هو العتاب . ولكن طريقته عنـد واحد مقبولـة ومجديـة . وعنـد آخـر متعبـة ومؤذية ، وتأتى بعكس المطلوب ...

إنسان يعاتب بطريقة هادئة ، والآخر يعاتب بطريقة ساخطة .

الأول يعاتب بحب وعشم . والثانى يعاتب بحقد وإنتقام .

هذا يريد أن يصالح . والآخر يريد أن يثبت للطرف الآخر أنـه مخطـئ ، ويستحق مـا ناله منه !!

* * *

ثلاثة أشخاص مثلاً يصيرون أعضاء فى مجلس الكنيسة .

كل واحد منهم غرضـه طيـب ، يريـد الخيـر للكنيسـة بلاشك . ولكنهم لاختلافهم فـى الأسلوب والطريقة لا يستطيعون أن يعملوا معاً !! فأحدهم يحب أن يعمل متعاوناً مع الأب الكاهن . والآخر يقول : كل إدارة الكنيسة لنـا ، والكـاهن لـه ا لعمـل الروحـى فقـط ، ولا شأن له بالمشروعات والأمور المالية والإدارية والمعمارية . وهكذا يصطدم بالأب الكـاهن وبزميله فى عضوية الكنيسـة . لأن أحدهمـا كـان أسلوبه التعـاون . والآخـر كـان أسـلوبه السيطرة ...

* * *

المجالس الملية كمثال آخر .

هى نفس المجالس منذ أكثر من مائة عام ، بنفس القانون ونفس الإختصاصات ونفس طريقة الإنتخابات . ولكنها الآن فى تعاون مع الإكليروس . وقديماً كانت فى صراعات وإنقسامات وقضايا . والسبب هو أن الأسلوب تغير عن ذى قبل ، سواء من جهة الإكليروس أو من جهة المجالس الملية ....

* * *

لنأخذ غرضاً آخر هو الوصول إلى الله ...

إنه هدف واحد يتفق فيه الكل . ولكن تتعدد الوسائل . البعض يريد أن يصل إلى الله عن طريق الرهبنة ، والبعض عن طريق الكهنوت ، والبعض عن طريق التكريس . والبعض عن طريق الخدمة، مع حياة الزواج المستقر، وبناء المجتمع وتنشئة جيل جديد تنشئة روحية .

* * *

نقول : هنا تنوع ، وليس هو إختلافاً . ولكن يحدث الإختلاف حينما يرى البعض أن طريقه هو الطريق الوحيد السليم ، وينتقد غيره من الطرق !! أو يحاول تحطيمها !!

يمكن أن يوجد تنسيق وتكامل وتعاون بين الطرق المتنوعة المتعددة الواصلة إلى غير واحد . ولكن يحدث التصارع بين الطرق المتناقضة .

* * *

نتطرق إلى موضوع آخر هو تربية الأولاد ...

كل الناس يريدون تربية أولادهم تربية سليمة . إنه هدف يتفق فيه الجميع . ولكنهم يختلفون فى أسلوب التربية ..

فالبعض يمنحون أولادهم الحرية الكاملة ، كما يحدث فى كثير من بلاد الغرب . وحينما يكبر الأولاد لا يصبح لآبائهم وأمهاتهم أية سلطة عليهم . ويبررون أسلوبهم فى التربية بأنهم يريدون للإبن أن تكون له شخصيته المستقلة التى لا تقع تحت ضغط ...

هناك أسلوب آخر يلجأ إليه آباء آخرون فى تربية أولادهم ، وهو التشديد الكامل ، فلا يخرج إلا بإذن، ولا يصاحب أحداً إلا بإذن، ولا ينضم إلى نادٍ أو إلى أية أنشطة. وهذا التضييق يوجد عنده كبتاً تكون له ردود فعل سيئة فى المستقبل .

* * *

وهناك طريق وسط فى التربية بين هذين الأسلوبين . لا هو بالحرية التى فيها تسيب ، ولا بالتشديد الذى فيه تقييد ...

أسلوب أب يصادق إبنه ، ويشرح ويعلم ويقنع ويحاور .

ولاشك أن الإقناع – ولو أنه قد يأخذ وقتاً وجهداً – إلا أنه يوجد حافزاً فى الداخل ، أفضل بكثير من الأوامر والنواهى التى هى مجرد ضغوط من الخارج ...

تربية الأولاد إذن هى هدف مشترك . ولكن البعض يستخدم فيه السلطة والهيبة ، والبعض يستخدم الصداقة والحب . والبعض يستخدم الحرية والسلبية ... إنها وسائل مختلفة ، لهدف واحد .

* * *

نفس الوضع نقوله فى معاملة المخطئين :

كلنا نكره الخطأ ، ونأخذ من أصحابه موقفاً معارضاً . هنا غرض واحد ، ولكن الوسائل تختلف ...

فالبعض يبعد عن المخطئين ، ينعزل عنهم ولا يختلط بهم .

والبعض يأخذ منهم موقف المقاومة ، ويرد لهم بالمثل ، ويحاسبهم على كل خطأ . ولا يترك الأخطاء تمر بسهولة ، أو بدون مؤاخذة .

والبعض يحاول أن يصلح هؤلاء ويكسبهم ، ربما بالحب والصبر ، وربما بالمواجهة والإقناع .. المهم أنه يوصلهم إلى الله وإلى الطريق السليم ، ويربح نفوسهم ...

* * *

هناك نقطة أخرى أقولها فى موضوع الهدف والوسيلة وهى أنه:

كثيراً ما تتحول الوسيلة إلى هدف !!!

الهدف الروحى الوحيد هو الله . وما الصلاة والصوم والقراءة والتأمل والوحدة .. سوى وسائل توصل إلى هذا الهدف . وكذلك الفضائل هى مجرد وسائط توصل إلى الهدف الذى هو الله ... ولكن للأسف ، قد تتحول هذه الوسائط كلها إلى أهداف ..!!

* فإنسان يقرأ الكتب المقدسة والكتب الروحية . والمفروض أن هذه القراءة توصله إلى محبة الله والثبات فيه . ولكن قد تتحول القراءة نفسها إلى هدف . فالمهم عنده أن يقرأ، ولو من غير فهم ، ولا تأمل ولا تداريب روحية .

* * *

★ أو قد يتغير الهدف الروحى فى الطريق !

ويقرأ الإنسان لكى يكون عالماً ، أو لكى يكون معلماً . ولكى يبدو كثير المعرفة واسع الإطلاع ، يجيد الكلام فى أى موضوع يتحدث فيه أو يسألونه عنه .. وأين الله هنا ؟ لقد اختفى ، لكى تظهر الذات ، ولكى تظهر المعرفة والعلم ...

* * *

★ وكما تتحول القراءة إلى هدف ، هكذا تتحول الوحدة !!

المفروض أن الإنسان يسعى إلى الوحدة ، لكى يجد وقتاً هادئاً صافياً يجلس فيه مع الله. فإن لم يجلس فى وحدته مع الله، يكون الهدف الروحى الحقيقى قد اختفى . وتصبح الوحدة هدفاً فى ذاتها، حتى لو كان فيها الشخص نائماً أو فى ملل أو ضجر ، أو فى حروب الأفكار ..!

* * *

★ أو قد يتغير هدف الوحدة ، ويتحول إلى الذات .

فيجلس إنسان فى الوحدة ، لمجرد أن يقال عنه أنه متوحد ..! سعياً وراء الشهرة أو الألقاب ، وليس من أجل الله ! أو قد تعطيه الوحدة فرصة لسعى الناس إليه، وتحوله إلى مرشد أو مانح للبركات التى يلتمسونها منه !!

* * *

لهذا ينبغى أن يراجع الإنسان هدفه .

ويتحقق أن الوسيلة توصله إليه .

ويتأكد أن الهدف سليم وروحى ، وأنه لم ينحرف عنه إلى هدف آخر ، وأنه يستخدم الوسائل العلمية التى تحقق هدفه الروحى، بحيث تبقى هذه الوسائل مجرد وسائط ولا تتحول إلى أهداف !

* * *

★ نقول نفس الكلام عن الصمت .

إنه مجرد وسيلة توصل إلى أمرين : أحدهما هو البعد عن أخطاء اللسان . و الثانى أن تكون لنا عن طريق الصمت فرصة للصلاة والتأمل .. فإذا كان الإنسان مجرد صامت، دون أن يكون له عمل روحى داخلى ، لا يكون الصمت قد حقق هدفه ...

وإن كان صامتاً ، واستبدل الكلام بإشارة أو إيماءة تعبر عما يريد أن يقول ، فهو أيضاً

فى مستوى المتكلم .

وإن كانت الأخطاء التى أراد أن يتفاداها بصمته ، لاتزال باقية معه، ولكنها تحولت فقط من أخطاء لسان إلى أخطاء فكر، فما المنفعة أيضاً من صمته ؟!

إنه قد صمت ليبتعد عن إدانة الآخرين ، وها هو لايزال يدينهم بفكره! وقد صمت ليبعد عن كلام الغضب ، ولكنه مازال غاضباً فى قلبه !!

الأخطاء موجودة لم يمنعها الصمت ، وإنما حولها إلى القلب والفكر . وفى كل ذلك الهدف الروحى لم يتحقق !!

★ ★ ★

★ نقول نفس الكلام أو ما يشبهه عن ا لصوم .

لماذا نحن نصوم ؟ هل لمجرد الصوم ، كما لو كان الصوم هدفاً فى ذاته ؟! أم نصوم لكى نوجد فى فترة روحية تساعدنا على الوصول إلى الله ..؟ نمنع أنفسنا عن كل ما نشتهيه ، لكى نتعود السيطرة على الإرادة ، فنمنعها عن الخطأ كما منعناها عن الأكل..

فهل نحن نحرص فى صومنا أن يوصلنا إلى هذا الهدف الروحى ؟!

أم نصوم لمجرد الصوم ، بلا هدف ؟ وبلا غاية، وبلا نتيجة !

★ ★ ★

★ وكذلك الصلاة : ما هدفها فى حياتنا؟ أو ماذا تحققه من هدف ؟ هل نصلى بهدف التمتع بعشرة الله والحديث معه؟ أم لمجرد أداء واجب ؟! حتى لو كانت صلواتنا بغير روح ، ولا عاطفة، ولا حرارة ، ولا عمق، ولا حب، ولا أى شعور بالوجود فى الحضرة الإلهية !!

ليت صلواتنا تحقق هدفها الروحى ، ونشعر فيها أننا نتحدث مع الله ونتمتع بعشرته.

ونضع الصلاة فى موضعها السليم ، إنها مجرد وسيلة توصل إلى هدف، ويجب أن نجاهد روحياً للوصول إلى هذا الهدف ...

★ ★ ★

نفس الكلام نقوله عن المزامير والتسبحة والألحان ...

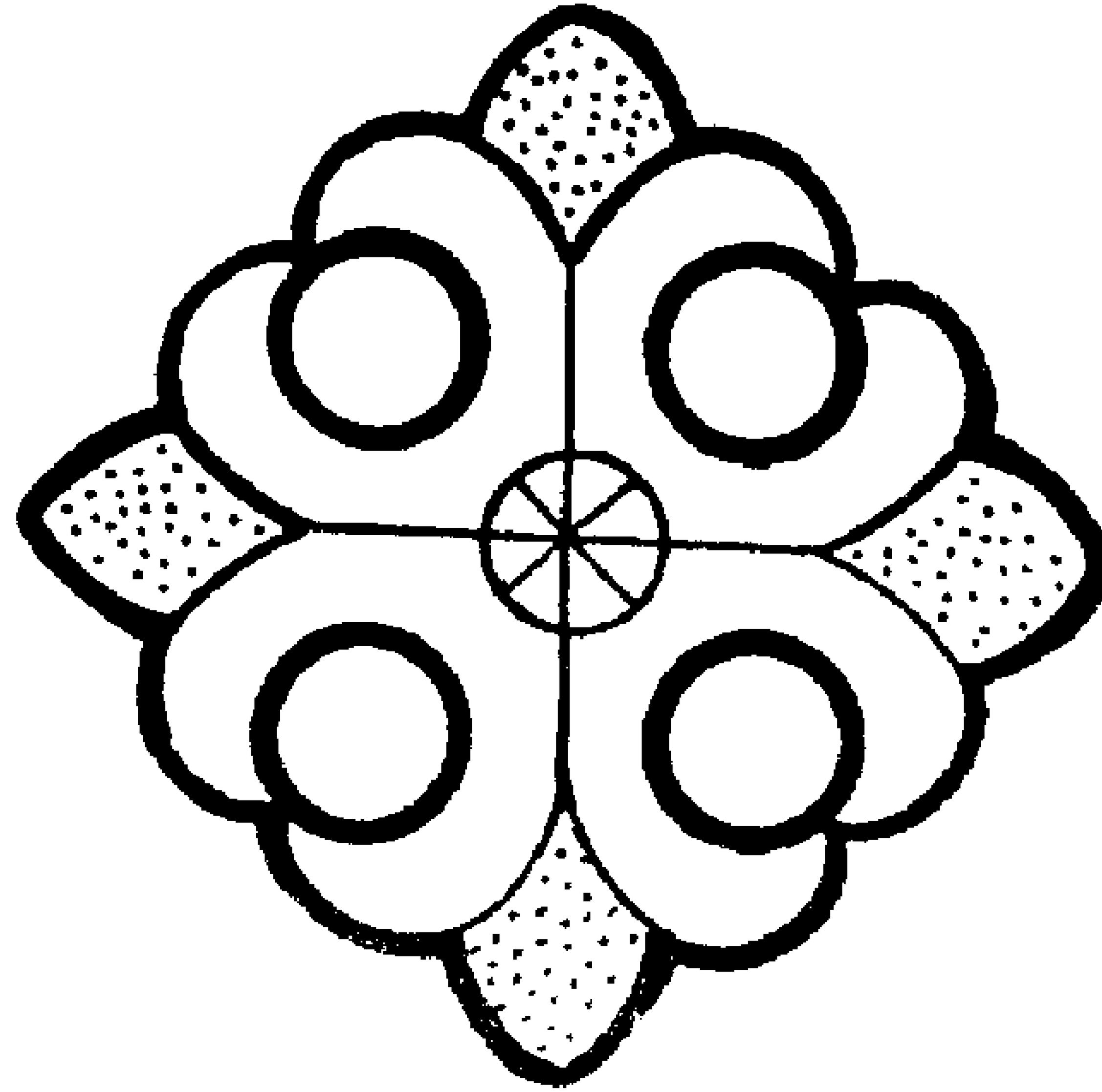
نلاحظ أنه كلما إزداد حفظ الإنسان للمزامير والتسبحة ، كلما إزدادت سرعته فى التلاوة ، وعلى هذا القدر ما أسهل أن يقل فهمه لما يقول .. وما أسهل أن ينشد لحناً ، أو

قطعة من الإبصلمودية، أو يتلو مزموراً، دون أن يصل إلى عمق ما يقوله .. وكأن اللحن قد صار هو الهدف ! أو قد صارت التلاوة هدفاً ..!

* * *

وهنا نسأل : متى يمكننا أن نحقق فى أعماق قلوبنا وفهمنا الهدف الروحى الذى من أجله وضعت المزامير والألحان والتسبحة؟

متى تدخل فيها العاطفة والحرارة والتأمل والفهم وروح الصلاة؟ متى لا نهتم بالكثرة وإنما بالعمق . لا بعدد المزامير ، إنما بعمقها وروحانيتها ...



مقاييس الفضيلة
التعريف، والهدف، والوسيلة

ما هو العمل الفاضل ؟ هل هو مجرد مسميات أو عناوين ؟ كأن نقول : الصلاة، الصوم، الخدمة، العطاء.. أم أن هناك مقاييس، نستطيع بها أن نصف العمل بأنه فاضل .

هناك ثلاثة مقاييس لكل فضيلة ، وهى : التعريف، والهدف، والوسيلة .

وسنحاول أن نطبق هذه المقاييس الثلاثة، لكى نختبر الفضائل هل هى حقيقية أم زائفة:

الصلاة

ندخل أولاً فى التعريف ؛ ونقول : ما هى الصلاة ؟

هل هى حديث مع الله ، أم هى مجرد تلاوات ؟

والتلاوات كيف تؤدى؟ ما مقاييس الشعور فيها ؟ وما مقياس الفهم ، وما مدى الصلة بالله ؟

وإن كانت حديثاً مع الله ، فمن هو الله الذى نحدثه ؟ الله الذى تقف أمامه الملائكة ورؤساء الملائكة ، الله الخالق ، غير المحدود، ملك الملوك ورب الأرباب .. بأى خشوع نحدثه ، وبأية هيبة وإجلال .. هذا الذى قال له إبراهيم أبو الآباء " عزمت أن أكلم المولى، وأنا تراب ورماد " (تك١٨) .

وإن كان الله هو الأب الحنون الذى يقول له داود النبى "اشتاقت نفسى إليك يا الله، كما تشتاق الأرض العطشانة إلى الماء" (مز٦٣: ١) .. فبأى حب نتحدث معه ؟

* * *

أم الصلاة هى شعور بمتعة روحية للوجود فى حضرة الله ؟

إذن هى ليست مجرد كلام ، بل هى متعة روحية . وهنا يكون الهدف من الصلاة ، هو التمتع بالله، وليس مجرد أى طلب خاص. بل الطلب هو الله نفسه . كما قال داود

النبى فى مزاميره " طلبت وجهك، ولوجهك يارب التمس . لا تحجب وجهك عنى " (مز ٢٦: ٨)

* * *

إن الصلاة ليست مجرد واجب تؤديه .

بحيث تعتذر لله أحياناً وأنت تقول آسفاً " لست أجد وقتاً للصلاة " وكأنك تقول عملياً "لست أجد متعة فى الصلاة .. " .

إن الصلاة ليست فرضاً عليك ، وليست مجرد الإستجابة لجدول روحى تملأه، حتى لا يتعبك ضميرك .. واعلم تماماً أنك المحتاج إلى الصلاة ، على الأقل لتشعر بوجود قوة إلى جوارك تسندك وتعينك .. وأنك محتاج إلى الله ...

* * *

الصلاة هى شركة مع الملائكة الذين يسبحون الله .

وهى جسر يربط الأرض بالسماء ، ويربطك أنت بالسمائيين .

والصلاة هى مصدر للشبع الروحى .

كما يقول المرتل فى المزمور " باسمك ارفع يدّى ، فتشبع نفسى كما من شحم ودسم " (مز ٦٢: ٥) .. هى غذاء للروح، وكما أن الجسد يتغذى بأنواع كثيرة من الأطعمة، كذلك الصلاة هى من الأغذية الأساسية للروح .

* * *

إذن لابد أن تعرف ما هى الصلاة ، حتى تعرف كيف تصلى .

تعرف أن تصلى بحب ، وتصلى بفهم ، وبإيمان : بشعور بالوجود فى حضرة الله .. وتكون صلاتك أيضاً بفرح ، فرح التمتع بالله فى الصلاة ...

وإن صليت بعاطفة ، وانسكبت دموعك فى الصلاة ، فلا تنشغل بالدموع وتفرح بها أكثر من الله الذى تحدثه ، لأن الدموع ليست هى الهدف من الصلاة ...

وإن كانت الصلاة ناتجة عن محبتك لله الذى تتحدث إليه ، إذن احرص على هذه المحبة . ولا ترتكب خطايا تبعدك عن الله ، وتفقدك الدالة فى صلاتك . ولا تجعل صلاتك مثل التى لا تصل إلى الله الذى قال للشعب الخاطئ " حين تبسطون أيديكم ، استر وجهى عنكم . وإن أكثرتم الصلاة لا أسمع . أيديكم ملآنة دماً " (أش١: ١٥) . إذن نقاوة القلب هى إحدى وسائل الصلاة ، التى نقترب بها إلى الله .

ننتقل إلى نقطة أخرى ، وهى الصوم .

الصــوم

هل هو مجرد قهر الجسد ، وعدم إعطائه ما يشتهيه من طعام ، أم أن ضبط الجسد ، هو مجرد وسيلة لضبط النفس، وضبط الفكر، وضبط الحـواس ؟ وضبط الإرادة عن كل خطأ. وهنا تسأل نفسك عن تعريف الصوم .

★ ★ ★

هل الصوم هو مجرد صوم الجسد ، أم أيضاً صوم الفكر واللسان وصوم النفس ؟

هل الصوم هو حالة جسد ممتنع عن الطعام ، أم حالة نفس زاهدة فى الطعـام ، كجـزء من زهدها فى المادة عموماً ؟ هل أنت فى الصوم تمتنع عن طعام تشتهيه، أم وصلت إلـى المستوى الذى لا تشتهى فيه طعامـاً ؟ أهو تدريـب للإرتفـاع عن الشـهوة الماديـة بصفـة عامة؟ هنا نبتدئ أن نفهم ما هو الصوم .

★ ★ ★

هل الصوم إذن إسكات للجسد ، لكى تتكلم الروح ؟

أهو إخضاع للجسد ، لتأخذ الروح حريتها وفرصتها ؟

هل هو عدم إعطاء الجسـد مـا يشـتهى ، لكـى يرتقـى بـأن يشـتهى مـا تشـتهيه الـروح، ويسير فى طريقها؟ افهم إذن ما هو الصوم .

★ ★ ★

كثير من الناس يصومون ولا يستفيدون روحياً ، لأنهم لم يفهموا ما هو الصـوم ، ولم يصوموه بطريقة روحية .

أنت فى الصوم تقول : أنـا يـارب لا أريـد أن أشـتهى شـيئاً ماديـاً. ولكـن لأن جسـدى يحتاج بين الحين والحين أن يأكل ، لكى يظل حياً، ويشترك مع الروح فى عملها الإلهـى.. لذلك أنا بين الحين والحين أعطيه ما يأكل ، ولكن لا يكون الأكل بالنسبة إليه هدفاً .. وإنما الهدف هو شركته مع الروح فى الإتحـاد بـك . لذلـك أنـا أعطـى الجسد مـا يحتاجـه لا مـا يشتهيه ....

فهل نحن نصوم بهذا الهدف وبهذا الأسلوب ؟

★ ★ ★

العطــاء

ما هو العطاء ؟ هل هو صدقة من غنى لفقير .

هل تشعر أنك أنت الذى تعطى ؟ وأنك تعطى المحتاج من مالك؟! كلا يا أخى ، ليس الأمر هكذا، ولن تستفيد من عطاء بهذا الشعور ...

فالمعطى هو الله ، وأنت مجرد وكيل على ماله .

فالمال هو مال الله . هو الذى أعطاك إياه ، لكى تعطى منه لهؤلاء . وأنت إن لم تعطِ لهؤلاء حقهم ، يكون المال الذى احتجزته هو مال ظلم ، لأنك ظلمت مستحقيه ...

* * *

بهذا المعنى ، إذا أعطيت لا تفتخر .

لأنك لم تعطِ من مالك شيئاً ، وإنما من حقوق الله عليك ...

ولكنك ربما تقول " مجرد الرغبة فى إعطاء الفقير هى فضيلة " هذا حق ، ولكن تذكر أن الله هو الذى وهبك هذه الرغبة فى أن تعطى وفى أن تطيع ، لأن الله – كما قال الرسول – " هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا لأجل المسرة " (فى ٢: ١٣) .

الله هو الذى أعطاك المال ، وهو الذى أعطاك الرغبة فى العطاء . ففيم الفخر إذن ؟!

* * *

النقطة التالية فى فهم العطاء هى :

من هم أولئك الذين تعطيهم ؟

أنت تعطى أولئك الذين سماهم السيد الرب أخوته فقال : " مهمـا فعلتموه بأحد أخوتى هؤلاء الأصاغر، فبى قد فعلتم " (مت٢٥: ٤٠) . لذلك يسميهم الكثيرون " إخوة الرب " .. اعرف إذن جيداً أن هؤلاء ليسوا هم الشحاذون أو المتسولون أو الفقراء المعوزين، وإنما هم إخوة الرب .

إذن عاملهم على إعتبار أنهم إخوة الرب، بمحبة وإحترام .

عاملهم بلطف ، بغير إذلال . ولا تتكلم معهم بإنتهار ، أو من فوق . لا تتعال عليهم . ولا تشعرهم بأنك تعطيهم ، وإنما أنت مجرد موصل لعطاء الله لهم . وكن فى عطائك كمن يعطى المسيح نفسه . لأنه قال عن الفقراء " كنت جوعاناً فأطعمتمونى. كنت عطشاناً فسقيتمونى . كنت عرياناً فكسوتمونى " (مت٢٥: ٣٥، ٣٦) .

اعرف أيضاً أن العطاء هو شركة حب مع المحتاجين .

إذن ليكن عطاؤك بحب . حاول أن تعرف مقدار احتياج الفقير، لكى تسد حاجته ، ليس بطريقة جزئية ، بل بطريقة كاملة تحل إشكاله . وتجعله يخرج من عندك مستريحاً . فالعطاء ليس هو مجرد دفع صدقة ، مع ترك الفقير محتاجاً . وإن لم تستطع، فحاول أن تشرك معك الآخرين لسداد حاجة المحتاج .

وفى نطاق محبتك للمحتاجين : تذكر قول الكتاب " لا تمنع الخير عن أهله، حين يكون فى طاقة يدك أن تفعله. لا تقل لصاحبك اذهب وعُد فأعطيك غداً ، وموجود عندك " (أم٣: ٢٧، ٢٨) . وأنصت أيضاً إلى قول الكتاب " من يسد أذنيه عن صراخ المسكين، يصرخ هو أيضاً ولا يستجاب" (أم٢١: ١٣) .

الخدمة

نبدأ أولاً بتعريف الخدمة : ما هى ؟

الخدمة ليست مجرد نشاط فى الكنيسة .

سواء كان هذا النشاط فى مدارس الأحد، أو فى الخدمة الإجتماعية، أو العمل الإدارى أو المالى فى الكنيسة . وليست هى مجرد تدريس أو وعظ أو تقديم معلومات .

* * *

الخدمة هى روح تفيض من إنسان إلى آخر .

أو هى قدوة تقدم من شخص لآخر ، أو هى عبارة روحية تنتقل من خلال العمل الكنسي . المعلومات هى مجرد وسيلة ، ولكن الهدف الحقيقى هو خلاص النفس . كما قال القديس يعقوب الرسول " من ردّ خاطئاً عن ضلال طريقه، يخلص نفساً من الموت ، ويستر كثرة من الخطايا " (يعقوب ٥: ٢٠) . أو كما يقول القديس بطرس الرسول " نائلين غاية إيمانكم : خلاص النفوس " (١بط ١: ٩) .

* * *

إذن هدف الخدمة هو خلاص النفس ، وهو بناء الملكوت .

وكل وسائط الخدمة ، ينبغى أن تتجه نحو هذا الهدف .

وطبيعى أنك لا تستطيع أن تعمل فى بناء الملكوت وحدك، بل بشركة مع الله . لأنه "إن لم يبن الرب البيت، فباطلاً تعب البناءون" (مز١٢٦: ١) . وقد قال السيد الرب "

بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً " (يو١٥: ٥) .

* * *

إذن الخدمة هى شركة مع الله فى العمل .

كما قال القديس بولس الرسول عن نفسه وزميله أبلوس " نحن عاملان مع الله " (١كو٣: ٩) . فكّر إذن : هل أنت تعمل مع الله ، أم تعمل وحدك ؟ وعليك أن تبدأ بأن تعمل مع الله ، تَشرك الله معك، كما نقول للرب فى الأوشية " اشترك فى العمل مع عبيدك، فى كل عمل صالح " .

* * *

وإن كانت الخدمة هى عمل الله فيك وبك ومعك ، إذن لابد أن تبدأ بالإمتلاء من الله.

لأن هذه هى الوسيلة التى توصلك إلى هدفك من الخدمة. وهكذا قال الرسول " امتلئوا بالروح " (أف٥: ١٨) . امتلئوا، لكى تفيضوا على غيركم ...

هذه وسيلة أساسية ، ومنها تنبع وسيلة أخرى وهى :

* * *

لكى تسعى لخلاص الناس ، ينبغى أن تحبهم .

تحب الناس ، فتريد لهم أن يحبوا الله ، كما أحببته أنت ، وأن يذوقوا ما أطيب الرب كما ذقته أنت . وبهذا الحب تعرفّهم طريق الرب وتعرفهم إسمه . وليتك فى ذلك تذكر قول السيد المسيح فى حديثه مع الآب عن تلاميذه ، إذ قال " عرفتهم إسمك، وسأعرفهم ، ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به ، وأكون أنا فيهم " (يو١٧: ٢٦) الخدمة إذن هى رسالة حب . هذا هو تعريفها .

* * *

ومادام الله هو العامل فى الخدمة ، إذن فالصلاة هى من أهم وسائل الخدمة .

ليست الخدمة هى مجرد تعبك وسعيك ووعظك وتعليمك، إنما لكى يأتى كل هذا بثمر، ينبغى أن تسكب نفسك أمام الله فى الصلاة، لكى تعطى الكلمة النافعة ، كما قال بولس الرسول " صلوا لأجلى لكى أعطى كلاماً عند إفتتاح فمى، لأبشر جهاراً بسر الإنجيل" (أف٦: ١٩) . إن كان القديس بولس يطلب هذا، فكم بالأولى نحن ؟!

عليك أيضاً أن تصلى ، لكى يعطى الله قوة للكلمة ، فتدخل إلى قلوب الناس، وتحدث تأثيرها، وتأتى بثمر. لا تسقط على أرض محجرة، ولا على شوك، ولا تخطفها الطيور (مت١٣) .

وإن كانت الخدمة لبناء الملكوت ، فلا تكن إذن لبناء الخادم .

فكثير من الخدام يهدفون إلى بناء أنفسهم ، وتدخل الذات في خدمتهم ، مثلما وبخ الرب الرعاة الذين يرعون أنفسهم (خر٣٤: ٨، ٩) . ولذلك في خدمتك ، رتل أيضاً المزمور "ليس لنا يارب ليس لنا، لكن لإسمك القدوس أعطِ مجداً " (مز١١٥: ١) .

واسلك في خدمتك بإتضاع ، كخادم .

لأن كثيرين يخدمون ، وينسون أنهم خدام، وفي ذلك ما أجمل صلاة القديس أوغسطينوس من أجل رعيته ، إذ يقول " أذكر يارب سادتي، عبيدك ... " .

الكـــلام

ما أكثر الذين يحبون الصمت ، ويرون أنه فضيلة ، ويحترسون من الكلام . فهل كل كلام خطية، وهل كل صمت فضيلة . هنا لابد أن ندرك تعريف الصمت وتعريف الكلام ، وعلاقتهما بالفضيلة ... قال القديس برصنوفيوس لما سئل عن هذا الأمر :

الصمت من أجل الله جيد ، والكلام من أجل الله جيد .

من أجلك يارب نصمت ، ومن أجلك نتكلم . نصمت لكي نعطي أنفسنا فرصة للصلاة، وللتأمل، وللبعد عن أخطاء الكلام . ولكننا نتكلم حينما تكون كلمتنا: كلمة منفعة، أو كلمة تعزية، أو كلمة نصح أو تحذير، أو شهادة لك ولملكوتك. كما قال الحكيم " فم الصديق ينبوع حياة " (أم١٠: ١١) .

* * *

وحينما يكون الكلام فضيلة لازمة ، حينئذ ندان على صمتنا .

المهم أن يتمجد الله بكلامنا ، ويتمجد بصمتنا . ولنعرف أن الكلام ليس هو طاقة مختزنة فينا من الألفاظ، تريد أن تخرج منا إلى آذان الناس ، ولو بغير هدف، ولو كانت طاقة مدمرة لسلام الآخرين وروحياتهم !!

في هذه الحالة يكون صمتك أفضل، إلى أن يعطيك الرب كلمة تقولها ، كما قال المرتل في المزمور الخمسين " افتح يارب شفتي، فيخبر فمي بتسبحتك " . والذين يتكلمون بهذا الأسلوب ، ينطبق عليهم قول الرب " لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم هو المتكلم فيكم" (مت١٠: ٢٠) .

فهل الكلام عندك من هذا النوع ؟! وهل الصمت عندك للصلاة والتأمل ؟ أم أنت تصمت ، وفي نفس الوقت تفكر أفكاراً خاطئة !! كذلك إن تكلمت عن الحق ، تكلم بأسلوب حقانى ...

المعرفة

ما هى المعرفة ؟ وما تعريفها الصحيح ؟ ليست هى مجرد معلومات .

إنما المعرفة الحقة ، هى المعرفة التى تبنيك ، وتبنى غيرك عن طريقك .

إن كان الأمر هكذا فتكون الوسيلة هى أن تدقق فيما ينبغى لك أن تعرفه . ولا تفعل مثل الإنسان الأول الذى أكل من شجرة المعرفة، فصار جاهلاً ، إذ بدأ يعرف الشر أيضاً، هذا الذى قال عنه الحكيم :

" الذى يزيد علماً يزيد حزناً " (جا١: ١٨) . يقصد معرفة أمور قد تعقد العقل ، أو تجلب الشك ، أو تكشف طريق الخطية، أو تسبب لوناً من الكبرياء ، كما قال الرسول "العلم ينفخ" (١كو٨: ١).

* * *

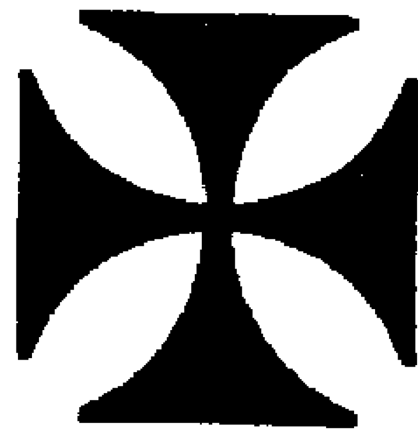
المعرفة الروحية ، هى معرفة الله ، ومعرفة طرقه .

كما قال السيد الرب فى تأملاته مع الله الآب " هذه هى الحياة الأبدية، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك، ويسوع المسيح الذى أرسلته" (يو١٧: ١٣) . كذلك يقول المرتل فى المزمور " عرفنى يارب طرقك، فهمنى سبلك " .

* * *

هناك معارف أخرى مفيدة جداً .

وهى أن تعرف نفسك ، وتعرف ضعفك ، فتتضع، وتعرف حروبك فتجاهد لتنتصر . وتعرف حيل الشياطين فتبعد عنها . وتعرف الحق ، والحق يحررك ...



حياتك فى الفضيلة تقاس بنوع اهتمامك

" قال السيد المسيح لمرثا : أنت تهتمين وتضطربين لأمور كثيرة ، ولكن الحاجة إلى واحد " (لو ١٠: ٤١) .

أما مريم فقد اختارت النصيب الصالح ، واهتمت به ...

وأنت يا أخى بماذا تهتم ؟ ما هى الأولويات فى حياتك ؟ حسب أولوياتك ، يكون حماسك ، ويكون عملك وتكون إرادتك ...

إن الناس يختلفون فى إهتمامهم ، كما اختلفت مريم ومرثا . كان إهتمام مرثا أن تهتم بالمسيح فى ضيافته : بينما إهتمت مريم بمحبته ، والجلوس عند قدميه والإستماع إليه :

وصارت إحداهما مثالاً للخدمة ، والأخرى مثالاً للتأمل .

وقليلون - مثل القديس بولس - من جمعوا بين الأمرين الرعاة إهتموا بالخدمة ، والرهبان بحياة التأمل .

وحسب إهتمام كل واحد ، هكذا كانت حياته ...

★ ★ ★

وأنت مثلاً حينما تستيقظ كل يوم ، بماذا يكون إهتمامك ؟

هل تهتم بحياتك اليومية ، تغسل وجهك ، تفطر ، تعد ملابسك ، تستعد للذهاب إلى عملك ؟ أم اهتمامك الأول كيف تبدأ اليوم مع الرب ، بالصلاة والقراءة والتأمل ..؟ حسب إهتمامك سيكون تصرفك ...

البعض يعتذر أحياناً ويقول : لم يكن لدى وقت للصلاة ... ! وأنا دائماً أرفض هذا العذر ، ولا أعتبره السبب الحقيقى ، وأقول :

لو وضعت الصلاة والتأمل فى قمة إهتمامك ، لأمكنك أن تجد لهما وقتاً ...

★ ★ ★

نفس الوضع نقوله بالنسبة إلى الصلاة فى مجال الخدمة ، وفى حياة كثير من الخدام.. إنهم يهتمون بتحضير الدرس ، أكثر من إهتمامهم بتحضير أنفسهم روحياً ... يهتمون

بمواعيد الخدمة ، وإجتماعاتها ، وبالصور والهدايا ، والمكتبة والنادى ، وبالإفتقاد وبالأنشطة ... ونادراً ما يهتمون على نفس القياس بصلواتهم !! فلا نجد إجتماعات الصلاة، مثل إجتماعات الشبان أو الشابات .

النشاط يأخذ الإهتمام الأول ، وليس الصلاة .

* * *

ولو دخلنا فى التفاصيل ، لوجدنا أيضاً أن العمل الروحى لا يأخذ الإهتمام الأول ... فالنادى مثلاً : قد نهتم بمكانه ، وترتيبه ، وما توجد فيه من ألعاب ومن أنشطة رياضية وتسليات . وقد نهتم بتنظيم الكارنيهات والمواعيد ، والمسابقات ، وفرق التمثيل والكورال... وفى كل ذلك قد لا يوجد الإشراف الروحى الكامل . ونجد النوادى فى ضوضائها وفى أخطائها ، لا تعطى الصورة الروحية المرجوة ، وربما لا تختلف عن النوادى العادية ، لعدم وجود المشرف الروحى ...

لماذا ؟ الجواب صريح ... لأننا لم نضع ذلك فى قمة إهتمامنا .

★ ★ ★

وفى الخدمة الإجتماعية ، قد نجد نفس الظاهرة .

إهتمامنا الأول أو الوحيد هو العناية بالفقراء مادياً ، سواء فى المساعدات المالية ، أو مشاكل التعطل أو المرض أو الإسكان ... وما إلى ذلك . ويندر أن يعطى إهتمام حقيقى بروحيات هؤلاء المحتاجين ... وإن عُقد لهم إجتماع روحى ، قد يكون شكلياً ... لا إهتمام فيه بربط هؤلاء الناس بالله ، وبالإطمئنان على حياتهم الروحية ، وعلى تناولهم وإعترافاتهم وتوبتهم ...

* * *

نفس الوضع ربما نجده أيضاً فى إنفاقات ومشروعات بعض الكنائس .

غالبية المال قد تنفقه على البناء والتعمير ، أو على تجميل الكنيسة وتزيينها بالديكور ، وبالأيقونات وبالنجف الغالى ... ولا يعطى مجلس الكنيسة ولا كهنتها نفس الإهتمام لخدمة الفقراء والحالات المحتاجة من أجل الأحياء المجاورة المحتاجة إلى رعاية روحية ، ولا حتى الإهتمام بالخدمة الروحية فى نفس الكنيسة ... للأسف كل الإهتمام مركز فى البناء والديكور ...

★ ★ ★

نفس الوضع فى عناية الأسرة بالطفل .

يقول الأب والأم إن إهتمامهما الأول هو تربية أطفالهما ورعاية مستقبلهم . وحسناً يقولون . ولكن أى نوع من التربية يهتمون به ؟ إنهم يهتمون بصحة أولادهم ، وأكلهم وشربهم ولبسهم ، وأيضاً بتعليمهم وإعدادهم لوظيفة لائقة . ثم بعد ذلك بتزويجهم ... ويقول الأب بعد ذلك ، وتقول الأم كذلك : " أشكرك يارب ، إنى أديت رسالتى نحو أبنائى. الآن ضميرى استراح من جهتهم .

* * *

ومع ذلك لا يضعون إهتمامهم الأول بتربيتهم الروحية وبمصيرهم الأبدى !!

لا *يعطونهم الغذاء الروحى اليومى ، مثلما يعطونهم غذاءهم الجسدى . وإن سألتهم* عن واجبهم فى ذلك ، ربما يجيبون " إننا أرسلناهم إلى مدارس الأحد " ..! دون متابعة لما أخذوه أو حفظوه من دروس ، ودون إضافة شئ خلال الأسبوع . كأن الأب غير مسئول عن معلومات إبنه الدينية ، وعن تربيته روحياً !! وكأن الأم غير مسئولة ، وهى التى استلمت إبنها من المعمودية كإشبينة له تتعهده بالعناية الروحية ، وبالتعليم الدينى ، وبالتدريب على الفضائل ...

ويبقى السؤال قائماً وهاماً فى كل ما قلناه :

ما هو إهتمامنا الأول ؟ إهتمامنا العميق الحقيقى ؟

* * *

إنسان آخر فى الخدمة ، يهتم كيف تمتلئ الكنيسة بالناس هذا هو كل هدفه ، ولا يهتم بأن يصل هؤلاء الناس إلى الله . وربما يلجأ إلى وسائل عالمية !!

مثلما تلجأ بعض الطوائف إلى منح المعونات المالية والإجتماعية لجذب بعض المحتاجين إليهم ، ويخرجونهم بذلك من كنائسهم !! الإهتمام كله ليس فى الملكوت ، إنما فى أن يزيد عددهم ولو على حساب كنائس أخرى .

* * *

كثيرون يهتمون بأنفسهم إهتماماً جسدياً .

إما من جهة الأكل والشرب والملبس ، وإما من جهة شهوات الجسد ... بينما يقول الرب " لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ، ولا لأجسادكم بما تلبسون .. فإن هذه كلها تطلبها الأمم .. " (مت٦: ٢٥، ٣٢) .

أما عن وضع الإنسان همه كله فى شهوات جسده ، فيقول الرسول " إهتمام الجسد هو موت ، ولكن إهتمام الروح هو حياة وسلام . لأن إهتمام الجسد هو عداوة لله .. فالذين هم فى الجسد ، لا يستطيعون أن يرضوا الله " (رو٨: ٦- ٨) .

ويستمر الرسول ، إلى أن يقول :

" إن عشتم حسب الجسد ، فستموتون " .

" ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد ، فستحيون " (رو٨: ١٣) . ففى أى شئ نضع متعتنا ، وبالتالى إهتمامنا ؟ كل شهوات الجسد الحسية تمتع بها سليمان ، فى مغالاة شديدة ، إلى أن قال " ومهما اشتهته عيناى ، لم أمنعه عنهما " (جا٢: ١٠) . وماذا كانت النتيجة ؟ .. رأى أن الكل باطل وقبض الريح (جا٢: ١١) .

* * *

والبعض يهتم بالراحة النفسية ، له ولغيره .

حتى لو لم تكن على أساس روحى ...

الأم مثلاً قد تضع فى إهتمامها الأول ، أن تكسب محبة إبنها ، وأن تريحه لكى يريحها، ولو كان على حساب روحياته ...! فتدلله ، وتعطيه كل ما يطلب ، وتغطى على أخطائه ، ولا توبخه على خطأ خشية أن تفقد محبته !! وينشأ الولد مدللاً ويفسد ... لأن أمه لم تضع فى إهتمامها أن تقوده فى الطريق السليم ، حتى لو غضب حيناً ، حتى لو وقفت ضد إرادته الخاطئة ، ثم تقنعه وتصلحه وتصالحه . إنها إن إهتمت براحة نفسيته ، وليس بروحياته ، ستفقده أبديته ... بل حتى حياته الإجتماعية . لأنه سيخرج إلى المجتمع فلا يجد نفس التدليل الذى اعتاده فى البيت ، فيتعب من المجتمع ، أو ينعزل عنه . وتكون التربية المنزلية قد أضرت به نفسياً أيضاً ، ولو بعد حين .

* * *

كذلك قد نهتم بحالة المريض النفسية ، وليس بمصيره الأبدى .

وبألوان كثيرة من الكذب والخداع ، نخفى عنه حقيقة مرضه ، ولا نلمح بخطورة المرض ولو من بعيد ، خوفاً على نفسيته ومعنوياته التى نضعها فى قمة إهتمامنا .. إلى أن يفاجئه الموت ، ويموت بدون إستعداد ، ويهلك ...

المفروض فى الأمراض الميئوس منها ، أن نعدّ المريض لأبديته ، بحكمة ...

لست أنصح أن نكاشفه بحقيقة مرضه إن كان لا يحتمل ... وإنما نضع فى عمق

إهتمامنا أن نعدّه روحياً ، حتى إن حدثت معجزة وشفى ... بكل حكمة نقوده إلى الحياة مع الله ، وليس بسبب الخوف من الموت ... إنما بأسلوب إيجابى مؤثر ، وبكل وسائط النعمة المتاحة .

★ ★ ★

كذلك هناك سؤال أساسى ، نعرضه فى موضوع الإهتمام :

هل أنت تركز كل إهتمامك بنفسك ؟

أم تهتم بغيرك ، ولو فضلته على نفسك ؟

ما هو إهتمامك الأول ؟ أهو ذاتك ؟ أم أنت تخرج من دائرة الذات ، لتهتم بالآخرين... إهتماماً من عمق قلبك ، تصل فيه إلى الخدمة والعطاء والبذل ، إلى حد بذل النفس أيضاً...

هل تهتم براحتك أم براحة غيرك ؟

وهل فى إهتمامك براحتك ، لا مانع لديك أحياناً أن تبنى راحتك على تعب الآخرين... كالأسرة التى تطلب من عائلها طلبات فوق إحتماله ، ترهقه وتحرجه وتربكه ، ولا تبالى..!

★ ★ ★

إن الروحيين والمصالحين جعلوا إهتمامهم الأول يتركز فى المجتمع الذى يعيشون فيه .

الإهتمام بالأسرة ، بالمعارف والأصدقاء ، بالمجتمع ، بالكنيسة ، بالوطن كله . وبالعالم البشرى كله والمساهمات فى راحته وفى تخفيف أتعابه . وهكذا ظهرت هيئات وجمعيات هدفها إنقاذ الآخرين أو إعانتهم ، من كل ناحية ... مثل الهيئات العالمية للصحة، ولتربية الأطفال ، ولإنقاذ العالم من الجوع والكوارث والمشكلات الإجتماعية ... كذلك الهيئات التى تعمل على طبع الإنجيل ونشره ، والتى تعمل على نشر الكلمة ... والهيئات التى تجاهد للمحافظة على (حقوق الإنسان) ...

★ ★ ★

السيد المسيح كان كل إهتمامه بالآخرين .

كان " يجول يصنع خيراً " (أع١٠: ٣٨) " ويكرز ببشارة الملكوت ، ويشفى كل مرض وضعف فى الشعب " (مت٤: ٢٣) . يتحنن على الكل ، ويشبع كل حى من رضاه

... يبشر المساكين ، يعصب منكسرى القلوب ، ينادى للمسبيين بالعتق ، وللمأسورين بالإطلاق " (أش٦١: ١) ...

وفى نفس الوقت لم يهتم بذاته ، ولم يكن له أين يسند رأسه (لو٩: ٥٨) .

لم يهتم المسيح بكرامته لما أغلقت إحدى قرى السامرة أبوابها فى وجهه ، ووبخ تلميذيه اللذين طلبا أن تنزل نار من السماء لتهلكها . وقال لهما " لستما تعلمان من أى روح أنتما . لأن إبن الإنسان لم يأتِ ليهلك أنفس الناس ، بل ليخلص " (لو٩: ٥١: ٥٦) .

وعلى الصليب كان كل إهتمامه بخلاص البشر، وبالمغفرة حتى لصالبيه، وبالفردوس للص اليمين . كما اهتم بأمه القديسة العذراء ، وبتلميذه القديس يوحنا .

★ ★ ★

أحياناً يكون إهتمام الإنسان ، أن يصل إلى غرض ما :

وربما لا يكون غرضاً روحياً ، وإنما هو لإثبات الذات ووجودها ، أو (لإرتفاعها) بطريقة ما ...

وفى سبيل هذا الوصول ، لا يهتم بالوسيلة ماذا تكون : روحية أو غير روحية ... لا يهمه أن تكون حيلاً بشرية أو عالمية ، أو طرقاً خاطئة ... تركيز الإهتمام كله فى الوصول إلى الغرض ، حتى لو ضيع هذا الإنسان نفسه ... مثلما فعل آخاب الملك فى الحصول على حقل نابوت اليزرعيلى ، وما فعلته الملكة إيزابل فى سبيل أن يصل زوجها إلى غرضه ، ولو بالجريمة ، والإتهام الباطل لنابوت ، وشهود الزور ... حتى نال كلاهما عقوبة من الله تناسب ذنوبهما (١مل ٢١) .

وبالمثل ما فعلته رفقة لكى ينال إبنها بركة أبيه . ومع أن الغرض هنا كان روحياً ، إلا أن التركيز عليه أفقدها الوسيلة الصالحة . فاستخدما إسلوب الخداع (تك٢٧) .

★ ★ ★

وبالمثل قد يهتم خادم آخر أن يملأ عقول سامعيه بالمعلومات ، دون أن يضع إهتمامه فى حياتهم الروحية كيف ينمو .. كل إهتمامه فى المعلومات لا فى الروحيات ... !

أو أب كل إهتمامه أن يلقن أولاده كلاماً من الكتاب يحفظونه . ولا يهتم بالتداريب الروحية التى تعمق صلتهم بالله . والكتاب يقول " افعلوا هذه ، ولا تتركوا تلك " (مت٢٣: ٢٣) .

ولعلنا بعد كل هذا ، نسأل بأى شئ يجب أن نهتم ؟ إن ربنا يسوع المسيح يقول فى العظة على الجبل : **اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره (مت٦: ٣٣) .**

ثلاثة مستويات للفضائل والطموحات

هناك ثلاثة مستويات يسلك فيها غالبية البشر من جهة الفضيلة أو الطموحات . وهى المستوى الفردى ، والمستوى الإجتماعى ، والمستوى الروحى .

قد يختار البعض مستوى واحداً منها ، وقد يجمع البعض بين مستويين . والقليل من يحسن السلوك فى المستويات الثلاثة . والبعض قد يكون سلوكه فى هذه المستويات أو بعضها بحكمة ، والبعض قد ينحرف . وسنحاول أن نشرح هذه المستويات ...

المستوى الفردى :

فيه يحاول الإنسان أن يبنى ذاته فى فضائل معينة ، أو فى طموحات أو صفات فاضلة، ترفع مستواه من الناحية الفردية .

كأن يهتم بعقله وذكائه وفهمه .

وينمى مواهبه فى ذلك ، أو يعمل على إكتساب مواهب أخرى . وربما يدخل فى تدريبات عقلية لتنمية الذاكرة ، أو الفهم ، أو الإستنتاج ، أو سرعة البديهة ، أو حل مشكلات عقلية أو ألغاز لتنمية الذكاء ، أو قوة الملاحظة . فيصير شخصاً لماحاً ، يدرك بسرعة ما لا يدركه غيره ، وينظر إلى الأمر الواحد من عدة زوايا، ويعمل حسابات وتوقعات لكل ردود الفعل لأى عمل يقوم به . وبهذا يكتسب فراسة فى أمور متعددة ...

★ ★ ★

وقد يهتم الإنسان بثقافته ومعرفته .

فيضيف إلى عقله وذكائه كثيراً من المعلومات والمعارف ، فى كثير من العلوم والفنون، ويصبح واسع الإطلاع ، له دراية بكثير من الأمور ، سواء من الناحية النظرية، أو الناحية العملية والخبرة .

وقد يهتم أيضاً بأن تكون له نفسية سوّية .

نفسية بعيدة عن الخوف والقلق والإضطراب والتردد والشك ، وما إلى ذلك من الأمراض النفسية . وإن كان فيه شئ من هذا كله ، يحاول أن يحلله ويعرف أسبابه ، ويعالجه حتى لا يقع فيه . بل يصل إلى الصفاء النفسي . وطبعاً في كل ذلك يمارس الحكمة التى تقول " اعرف نفسك " .

* * *

وقد يهتم البعض برفاهية هذه النفس ومتعتها .

ويحيط نفسه بكل ما يمكنه من أسباب التسلية والمتعة ، ويحرص أن تكون بريئة، بحيث يقضي وقته فيما يلذه نفسياً من مصادر الترفيه ، من قراءة وألعاب وموسيقى، وسائر أنواع الفنون التى يمارسها أو يشاهدها . والبعض يجد متعة فى أنواع من الرياضة يتدرب عليها شخصياً ، وقد ينبغ فيها ، أو قد يعجب بأبطالها ، ويجد متعته فى مجرد الفرجة أو تتبع أخبارها .

* * *

وقد يهتم البعض بقوة جسده أو صحته .

ويرى أن العقل السليم فى الجسم السليم ، وأن صحة الجسد تساعد على رفاهية الحياة والبعد عن المرض والألم . وهذا النوع قد يضع لنفسه نظاماً ثابتاً فى الراحة ، لا يتعداه مهما كانت الأسباب ، أو نظاماً فى الرياضة يقوم به يومياً ، أو نظاماً فى التغذية يضبط نفسه فيه إلى أبعد الحدود، وكذلك يتبع نظاماً فى الصحة وفى تقوية جسده .

إن كان رجلاً ، يهمه قوة جسده وصحته . وإن كانت إمرأة ، يهمها جمال الجسد ورشاقته . وكل من الإثنين يبذل وقتاً من أجل الجسد والإهتمام به .

* * *

وغالبية الناس – من الناحية الفردية – يهمهم النجاح فى الحياة .

سواء الطالب فى دراسته ، أو الموظف فى عمله ، أو رجل الأعمال فى مشروعاته ، وبالمثل العالم والمفكر . كذلك رب الأسرة يهمه أن يكون ناجحاً فى حياته العائلية . وصاحب كل مسئولية يهمه النجاح فى مسئوليته .

ولكن يختلف الناس فى مستوى النجاح الذى يسعون إليه : هل هو نجاح عادى ، أو

متفوق ، أو هو نجاح عبقرى له رقم قياسي . كما يختلف الناس أيضاً فى طريقة الوصـول إلى هذا النجاح .

البعض قد يقيس نجاحه بالمركز الذى يصل إليـه فـى حياتـه العمليـة . والبعـض الآخـر يقيس نجاحه بمدى إتقانه للعمل الذى يعمله ، مجرداً من عنصـر المكافأة عليه ...

كل هذا وما يشبهه يدخل فى المستوى الفردى .

المستوى الإجتماعى :

الفضائل التى يمارسها الإنسان على المستوى الإجتماعى ، هى الفضـائل التـى تُمـارس وسط الناس أو فى العلاقات مع الناس . ولها أمثلة كثيرة منها :

١ - فضيلة الإحتمال وعدم الغضب أو النرفزة .

سـواء الغضـب داخـل نفسـه مـن تصـرفـات تـحـدث لـه مـن آخريــن ، أعنــى الغضــب المكبوت، أو غضب ثائر لا يستطيع ضبطه ، ويكون له أثره فى علاقاته مـع غيره ، مـع ما يصاحب هذا الغضب من أخطاء ومن قرارات لها خطورتها .

* * *

فالإنسان الفاضل على المستوى الإجتماعى يضبط نفسه وقت الغضب .

ويحرص على ألا تصدر منه إهانة لغيره أثناء غضبه ، ولا جرح لشـعوره . لا بكلمـة شتيمة ولا بكلمة تهديد . كمـا يحـرص ألا يعلـى صوتـه ، ولا يفقد أعصابـه . إنمـا يكـون متزناً مالكاً لنفسه ، لا تزعزعه إساءة غيره ولا تهبط بمسـتواه . كذلـك فـى غضبـه لا يستخدم العنف الجسمانى ، كالذى يدخل فى عراك يستعمل فيه الضـرب واللكم أو مـا هـو أسوأ من ذلك .

فإن هذا كله يهبط بمستواه الإجتماعى . وبعـض النـاس - حتـى مـن غيـر المتدينيـن - يحترسـون جداً ، فـلا يهبطـون إلـى هـذا المسـتوى مـن النرفزة ، حرصـاً علـى كرامتهـم الإجتماعية وسمعتهم وسط الناس .

* * *

٢ - البعد عن الغضب فضيلة سلبية ، تقابلها إيجابياً البشاشة والوداعة .

فالإنسان الفاضل إجتماعياً يكون بشوشاً ، له ملامح مريحـة تجعـل الآخريـن يحبونـه .

وقد يتصف بالمرح البرئ وباللطف وبروح الدعابة ، فيفرح من يختلط به ، وتلذ له عشرته . وتنبسط على جلسته مع الآخرين روح الصفاء والود .

ويتصف بالوداعة وطيبة القلب ، وسعة الصدر فى التعامل مع الآخرين . ولا يسمح بأن تتأزم الأمور بينه وبين غيره . وما أسهل أن يرد على إساءة الغير بفكاهة تجعله يبتسم، وينصرف روح التوتر . وهكذا ينطبق عليه الوصف العامى بأنه (إنسان بحبوح) .

* * *

وعكس ذلك كله - من الناحية الإجتماعية - الإنسان النكدى .

الذى بروح النكد يخسر الناس ، ويبعد الآخرون عن عشرته خوفاً من أن يفقدوا سلامهم الداخلى . ومن أمثلة ذلك الزوجة النكدية التى تقابل زوجها بالبكاء والحزن ، والتحقيقات الكثيرة ، والعتاب الشديد على أتفه الأمور ... وبهذا تجعل زوجها يهرب من منزله ، ويفضل قضاء الوقت مع أصدقائه بعيداً عن النكد ...

* * *

٣ - من الفضائل الإجتماعية أيضاً التعاون وحسن التعامل وخدمة الغير ...

فهو لا يعيش لنفسه فقط ، إنما يكون خدوماً ، يساهم مع الآخرين فى أمورهم ، ويتعاون معهم . ولا يدخل فى مشاكل مع أحد ، ويتحاشى كل ما يضر بالغير . بل يجدون فيه حسن التعامل ، فيطمئنون إليه ويحبونه ، ويتبادلون معه نفس الروح والأسلوب . ويرتبط بالصداقة مع كثيرين .

* * *

٤ - ومن الفضائل الإجتماعية ما يتعلق باللسان والكلام .

طبعاً فضائل اللسان لا تكون إطلاقاً على المستوى الفردى ، لأن الكلام يكون مع الآخرين . والكلام له خطورته كما قال الرب " بكلامك تتبرر، وبكلامك تدان " (مت١٢: ٣٧) . فإنسان بكلامه يدخل نفسه فى مشاكل ، وتكرهه الناس أو تتحاشاه . وإنسان آخر له الكلمة الحلوة التى تجذب الناس إليه . فهو اللسان النقى ، الذى لا يجرح ولا يحرج ...

* * *

ومن فضائل اللسان : الصدق .

فالإنسان الصادق هو موضع ثقة الناس ، يطمئنون إلى صحة كلامه وشهادته ، وإلى صحة ما ينقله من أخبار ، وبخاصة إذا كان يتصف بالدقة التامة وبعدم المبالغة . أما

الكذوب فيفقد ثقة الآخرين ، وبخاصة إذا إنكشف ، فصار يغطى كل كذبة يقولها بكذبة أخرى . والكاذب يفقد إحترام الآخرين ، مهما كان مركزه . بينما الإنسان الصادق يحترم الناس شخصيته ، كما يحترمون كلمته .

* * *

ومن فضائل اللسان أيضاً عفة الكلام .

فهناك ألفاظ لا يستطيع الإنسان العفيف أن ينطق بها ، إن كانت خارجة عن حدود الأدب أو الذوق ، أو تخدش مسامع الآخرين .

ولذلك فالإنسان الفاضل إجتماعياً يكون مهذباً فى ألفاظه ، ينتقيها إنتقاء .. حتى إن تحدث عن شئ ردئ ، ينتقى اللفظ الهادئ غير المكشوف غير الجارح . ومن أمثلة ذلك قول السيد المسيح للمرأة السامرية " كان لك خمسة أزواج . والذى لك الآن ، ليس هو زوجك " (يو ٤: ١٨) . وكلمة الرب هنا لها عمقها الإجتماعى ، وعمقها الروحى أيضاً ...

وعفة اللسان أيضاً ، تبعد عن الألفاظ الجنسية ، وعن الفكاهات الرديئة ، وعن الشتيمة والسباب ، وعن التشهير ومسك سيرة الآخرين ، وتبعد عن ألفاظ المجون ، وعن تناول الآخرين بالتهكم والحط من قيمتهم ...

كل هذه يبعد عنها الإنسان الإجتماعى الفاضل ، حتى لو لم يكن متديناً .

* * *

والإجتماعى الفاضل تكون للسانه أيضاً إيجابيات .

فالذى يستمع إليه ، يستفيد من علمه ومعرفته ، بل ومن إسلوب كلامه أيضاً . وهو لا يضيع وقت غيره فى ثرثرة ، ولا يتحدث فى أمور ليست من تخصصه ، بل يقول الكلمة المتزنة ، الكلمة الموثوق بها التى لها مراجعها ، والكلمة التى تضيف إلى سامعه نفعاً يحتاج إليه ، ربما وصل إليه المتكلم بعد دراسة وفحص وتحقق ...

* * *

٥ - ومن الفضائل الإجتماعية أيضاً : العطاء ، والشفقة ، والإخلاص .

كما لو كان هذا الإنسان الإجتماعى كل من يقابله يأخذ منه شيئاً .. إن لم يكن نفعاً مادياً ، فعلى الأقل يدرك أنه يشعر به وباحتياجاته ، ويحس ظروفه ويتعاطف معه فى إشفاق . ويعامله بكل إخلاص .

ونحن نرى أن المؤسسات الإجتماعية هدفها هو الإشفاق على الناس ، وسداد

إحتياجاتهم ، ووسيلتها العطاء باستمرار ، فى غير إحراج ، وفى غير بخل وتقتير ...

★ ★ ★

٦ - كذلك فالإنسان الإجتماعى الناجح هو إنسان عادل منصف .

يعطى كل ذى حق حقه ، لا يظلم أحداً ، ولا ينحاز إلى أحد ضد أحد . بل يكون منصفاً فى كل أحكامه ومعاملاته . ويأخذ حق الآخرين حتى من نفسه . ولا يمكن أن يرتفع على حساب غيره ، أو يرتاح على تعب غيره . وهو مستعد أن يعتذر لأى إنسان له حق عليه ، وينصفه ويعطيه حقه . بهذا يكون محترماً ومحبوباً ...

ما أكثر الفضائل الإجتماعية التى ترتبط بالتعامل . ولكن هناك صفة ترتبط بالشخص الإجتماعى نفسه وهى:

★ ★ ★

٧ - الإنسان الإجتماعى الناجح ، يتصف بالنشاط والحيوية .

فلا يكون أبداً خاملاً فى المجتمع الذى يعيش فيه . إنه هو شعلة من نشاط ، أينما حلّ يملأ المكان حركة وبركة . وكل مسئولية يقوم بها ، يظهر فيها إنجازه وإنتاجه . ويشعر الكل أنه دائماً يعمل ، لا يكسل ولا يبحث عن راحته بقدر ما يبحث عن نجاح العمل . وهكذا يعجب الناس بحيويته ، فيصبح موضع ثقة فى كل ما يتولاه من مسئوليات ، ويرشحونه لمسئوليات أكبر .

★ ★ ★

ننتقل بعد هذا إلى المستوى الروحى :

المستوى الروحى :

وهو يختص بالقلب ونقاوته . وبالروح ومدى علاقتها بالله .

غير أن البعض قد يهتم فى حياته الروحية بعلاقات خارجية مع الله فى الصلاة والصوم، وقراءة الكتاب المقدس ، وحضور الكنيسة وممارسة أسرارها ، مع بقاء القلب بعيداً لا صلة له بالله ، ولا مشاعر حب ، ولا حتى مشاعر خشوع . بل ينطبق عليهم قول الرب :

" **هذا الشعب يكرمنى بشفتيه . أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً** " (أش٢٩: ١٣) (مت١٥: ٨) .

هذا الوضع رفضه الرب فى العهد القديم أيام أشعياء النبى (أش١: ١١- ١٦) . وأيضاً هذه المظاهر الزائفة رفضها السيد المسيح من الكتبة والفريسيين المرائين ، الذين " لعلة يطيلون صلواتهم " (مت٢٣: ١٤) . وقال عنهم إنهم " مثل قبور مبيضة: تظهر من الخارج جميلة، وهى من الداخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة " (مت٢٣: ٢٧) .

* * *

وهذا النوع الذى يهتم بالمظاهر ، ربما يركز إهتمامه فى الخير الخارجى ، إما لمجرد أن يكون قدوة لغيره ، أو لينال مديحاً من غيره ، أو لكى يبعد عن نقد الناس ، ولا يكون عثرة لهم ... بينما محبة الخير ليست فى قلبه !! مثل الذى يقدم إحساناً لفقير ، ومحبة الفقير ليست فى قلبه ولا أيضاً محبة الإحسان ... أو مثل الذى يصوم فى شكلية الصوم دون روحانيته ، وتظهر محبة الطعام أثناء صومه – بأنواع وطرق شتى ...

هذه المظاهر التى تأخذ شكلاً روحياً ، ليست هى المستوى الروحى الذى نعنيه ...!

* * *

إنما المستوى الروحى يتركز فى محبة الله ، ومحبة الخير ، ومحبة الناس محبة عملية .

هذا هو المستوى الذى يصلى فيه الإنسان فى حب لله، وفى خشوع قدامه، وبكل حرارة، وبكل إيمان . كما يقول المرتل فى المزمور " محبوب هو إسمك يارب، فهو طول النهار تلاوتى " (مز١١٩) . ويقول له أيضاً " كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه ، كذلك اشتاقت نفسى إليك يا الله " (مز٤٢: ١) . " عطشت نفسى إليك " (مز٦٣: ١) .

وهو حينما يصوم ، يكون ذلك زهداً فى الطعام ، وليس مجرد إمتناع عنه . فتصوم نفسه كما يصوم جسده ، ويرتفع عن مستوى المادة لكى تسبح روحه فى الإلهيات والسماويات .

* * *

وهذا المستوى الروحى تكون العبادة فيه مجرد ثمرة للإيمان الذى فى القلب . ولا يكتفى الإنسان فى هذا المستوى بالعبادة ، بل تكون له ثمار الروح أيضاً " (غل٥: ٢٢، ٢٣) .

نقول ذلك لأن البعض يظن أن الروحيات هى مجرد الصلاة والصوم والكنيسة .

وينسى ما قاله الرسول " ثمر الروح : محبة فرح سلام ، طول أناة ، لطف ، صلاح ، إيمان ، وداعة ، تعفف " (غل٥: ٢٢، ٢٣) ... هذه الثمار هى تعبير عن الإيمان الحى . لأنه كما يقول السيد الرب " من ثمارهم تعرفونهم " (مت٧: ٢٠) لأن كل شجرة جيدة لابد تصنع ثمراً جيداً .

* * *

والمستوى الروحى هو حياة القداسة التى تنمو حتى تصل إلى حياة الكمال .

ولا تقتصر محبتها لله على ذاتها ، بل تنشر محبته أيضاً وسط الآخرين .

وإذا وصل الإنسان إلى المستوى الروحى ، يأخذ عنده المستوى الفردى والمستوى الإجتماعى معنى أعمق ... فيصبح المستوى الفردى عنده من أجل ملكوت الله . ويصل به الإهتمام بالذات إلى بذل هذه الذات . ويضع أمامه قول السيد الرب " من وجد نفسه يضيعها . ومن أضاع ذاته من أجلى يجدها " (مت١٠: ٣٩) .

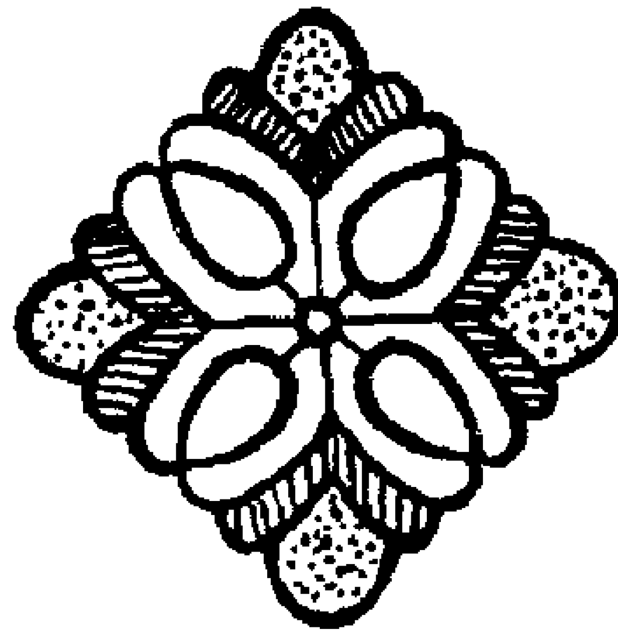
* * *

والمستوى الروحى أيضاً يعطى المستوى الإجتماعى طابعاً روحياً .

يكون الشخص الروحى فى المجتمع ، إنساناً خدوماً عن حب ، يتعاون مع الكل ولكن فى كل ما هو خير وبر . ويعطى كل من يقابله حباً روحياً ، وأمثولة طيبة ، ومعونة بكل كرم بل وبكل بذل ، وفى الخفاء أيضاً . ويكون محترماً من الكل لنقاوة قلبه وعفة لسانه ، ليس لطلب مديح من الناس وإنما لأن " الرجل الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصالحات " (مت١٢: ٣٥) .

* * *

المستوى الروحى هو المستوى العالى الذى يمهد له المستوى الفردى والمستوى الإجتماعى . فيعلو فوقها دون أن يلغيها ، بل يمنحها مسحة من روحانيته .



الـــروحـانــيـة
والمقـارنـة بالمسـتوى النفسـانـى
والمسـتوى الجسـدانى

الروحانية هى أولاً سلوك بالروح .

وقد ورد الكثير عن هذا الأمر فى رسالة بولس الرسول إلى رومية إذ قال " لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع ، السالكين ليس حسب الجسد، بل حسب الروح " (رو٨: ١). وقال أيضاً " فإن الذين هم حسب الجسد ، فبما للجسد يهتمون . ولكن الذين حسب الروح ، فبما للروح (يهتمون) . لأن إهتمام الجسد هو موت. ولكن إهتمام الروح هو حياة وسلام . لأن إهتمام الجسد هو عداوة لله ".. فالذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله .

* * *

إذن الروحانية هنا هى إرتفاع عن مستوى السلوك بالجسد .

هنا وأحب أن أقول لكم إن الإنسان يتكون من ثلاثة عناصر : الروح والنفس والجسد. وقد وضح القديس بولس هذا الأمر، حينما قال فى رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكى " إلـه السلام نفسه يقدسكم بالتمام. ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم ... " (١تس٥: ٢٣) .

* * *

إن الإنسان يتكون من روح ونفس وجسد . وهنا نقول إن الإنسان الروحانى لا يسلك حسب الجسد ولا حسب النفس . السلوك حسب الجسد واضح جداً للجميع ...

كالإنسان الذى يسلك فى شهوات الجسد كشهوة الزنى، أو شهوة الطعام ، أو شهوة الملبس .. إلخ . ولكن ماذا إذن عن السلوك النفسانى؟ نقول أولاً :

* * *

لقد حارب الآباء الرسل السلوك النفسانى وأدانوه .

فالقديس يهوذا الرسول يقول فى رسالته " إنه فى الزمان الأخير سيكون قوم مستهزئون

سالكون بحسب شهوات فجورهم . هؤلاء هم المعتزلون بأنفسهم نفسانيون لا روح لهم " (يه١٨، ١٩) . لاحظوا إذن قوله :

نفسانيون ، لا روح لهم .

هؤلاء " سالكون بحسب شهوات فجورهم " . ولعله يفهم من هذا أن شهوات الجسد تقودها عوامل نفسانية خاطئة ، بعيدة عن إتجاه الروح ...

* * *

والقديس يعقوب الرسول يفرق بين الحكمة الإلهية ، وحكمة أخرى يقول عنها إنها "ليست نازلة من فوق بل هى أرضية نفسانية شيطانية " وإنها تسبب الغيرة المرة والتحزب والتشويش وكل أمر ردئ (يع٣: ١٤– ١٦) ... لاحظوا أن وصف نفسانية إرتبط أيضاً بعبارة " أرضية شيطانية " .. ما أصعب هذا الوصف...

ربما هذا التفصيل غير مستخدم كثيراً . فالناس غالباً ما يتحدثون فقط عن السلوك الروحانى ، والسلوك الجسدى . ونادراً ما يتحدثون عن السلوك النفسانى الممقوت ...

* * *

الإنسان النفسانى تقوده النفس وغرائز النفس وعقلية النفس ومشاعرها بدون روح.

وهذا أمر فيه أخطاء وخطايا كما سنرى .

والإنسان الجسدانى تقوده شهوات الجسد ورغباته .

فماذا إذن عن الإنسان الروحانى ؟

* * *

الإنسان الروحانى يتصف بصفتين وهما :

١ – ينتصر على الجسد وعلى النفس ، ويسلك حسب الروح .

٢ – الصفة الثانية أن روحه تخضع لروح الله ...

يوجد إنسان فى داخله صراع بين شهوات الجسد وشهوات الروح (غل٥: ١٦، ١٧) . أما الروحانى فقد خضع فيه الجسد تماماً للروح . ولكن هذا وحده لا يكفى ، لأن أخطاء الإنسان ليس سببها فقط شهوات الجسد . فهو قد يخطئ بروحه وحدها .. ولا تتعجبوا من هذا فالشيطان روح ، ومع ذلك فقد أخطأ . فهو روح متمردة وروح شريرة .

والكتاب يتحدث كثيراً عن الأرواح الشريرة .

والسيد المسيح أعطى تلاميذه سلطاناً على إخراج الأرواح الشريرة ، أى أرواح الشياطين . إذن ممكن أن الأرواح تخطئ . وممكن أن الإنسان يخطئ بروحه ...

* * *

أما الإنسان الروحى ، فإنه لا يخطئ بروحه ، لأن روحه خاضعة تماماً لروح الله ...

إذن الإنسان الروحى : نفسه وجسده يخضعان لروحه، وروحه تخضع لروح الله .

ولذلك نقرأ فى الرسالة إلى رومية عبارة جميلة جداً وهى " لأن كل الذين ينقادون بروح الله ، فأولئك هم أولاد الله " (رو٨: ١٤) . هؤلاء هم الروحانيون ، الخاضعون لروح الله. الذين يقودهم روح الله ، وهم طائعون لقيادة روح الله . ولكى تنقاد بروح الله ينبغى أن يكون روح الله ساكناً فيك .

* * *

من أجل هذا ، جعل الله روحه يسكن فينا .

فقال الكتاب " أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله ساكن فيكم" (١كو٣: ١٦) .

وروح الله الذى فيك يعطى روحك معرفة، ويعطيها إرشاداً . يقودها فى الطريق .. يوبخها على خطية، ويحثها على الخير، ويذكرها بكل ما قاله الرب ويعلمها كل شئ (يو١٤: ٢٦) .

* * *

لذلك الكنيسة تمنحك المسحة المقدسة ، مسحة الروح .

وعن هذه المسحة تحدث القديس يوحنا الحبيب مرتين فى رسالته الأولى ، فقال " وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شئ" " وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه، ثابتة فيكم " (١يو٢: ٢٠، ٢٧) . ونحن ننال هذه المسحة فى سر الميرون المقدس . وكانوا ينالونها فى بداية العصر الرسولى بوضع اليد .

* * *

إذن تعتمد على قيادة روح الله لك ، وليس على الحكمة البشرية وحدها ...

الحكمة البشرية وحدها هى جهالة عند الله (١كو٣: ١٩) . وقد شرح القديس بولس الرسول هذا الأمر بعمق شديد وتفصيل ، فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، فى الإصحاح الثانى ...

أمثلة للمستويات الثلاثة :

الشهـوة

هناك شهوات للجسد والنفس والروح .

شهوة الجسد هى الخطية كشهوة الحواس ، وشهوة الزنى، وشهوة البطن .

وشهوة النفس أحياناً تكون نوعاً من الذات وحب النفس. ولنضرب مثالاً فى كل ذلك بسليمان الحكيم .

لقد سلك فى هذه الشهوات فقال " مهما اشتهته عيناى ، لم أمنعه عنهما " (جا٢: ١٠) . وشرح تفاصيل ذلك فقال " بنيت لنفسى بيوتاً. غرست لنفسى كروماً . عملت لنفسى جنات وفراديس، وغرست فيها أشجاراً من كل نوع ثمر . عملت لنفسى برك مياه . قنيت عبيداً وجوارى .. جمعت لنفسى فضة وذهباً .. اتخذت لنفسى مغنين ومغنيات وتنعمات بنى البشر سيدة وسيدات " (جا٢: ٤– ٨).

* * *

هنا شهوة الجسد ، وشهوة العيون ، وشهوات باقى الحواس.. هذه هى شهوة الجسد ، ووجدها باطلة وقبض الريح .

وماذا إذن عن شهوات النفس ؟ يقول " لم أمنع قلبى من كل فرح. لأن قلبى فرح بكل تعبى . وهذا كان نصيبى من كل تعبى..." ... وهنا نقول :

فرح سليمان بكل غناه وشهوات جسده كان فرحاً نفسانياً .

ولم يكن فرحاً روحياً على الإطلاق . فما هو الفرح الروحى .

الفـرح

الفرح النفسانى ، هو فرح بشهوات الجسد ، كما فرح سليمان بكل متعه وغناه . أما فرح الروح فهو الذى يقول عنه الكتاب :

" افرحوا فى الرب كل حين ... " (فى ٤: ٤) .

الفرح بالرب هو فرح روحانى .

تفرح لأنك عرفت الله ، تفرح لأن لك صلة بالله وعشرة ، تفرح بسكنى روح الله فيك وإرشاده لك . تفرح لأنك نلت مذاقة الملكوت ، تفرح لانتصـــار روحـك التـى حررهـا اللـه (يو٨: ٣٦) . تفرح لأنك استطعت أن توصل الناس إلى الله .

* * *

تقرأ عن فرح سليمان فى (جا٢) . فلا تجد إسم الرب إطلاقاً..! إنه فرح بالجنات والفراديس ، والشجر ، والبقر ، والذهب، والفضة، والسيدات والمغنيات .. وليس بروحه وصلة روحه بالله. إنه مجرد فرح نفسانى ، باطل وقبض الريح .. لهذا نحن نفرق فى أمور الفرح بين تعبيرات عديدة مثل اللذة (وهى خاصة بالجسد والحواس) ، والسرور ، والفرح (وبعضها خاص بالنفس والآخر بالروح) .

* * *

تلاميذ المسيح وقعوا أحياناً فى الفرح النفسانى .

إنه فرح ليس من نوع فرح سليمان ، بل هو نوع أرقى منه ، ولكنه مرفوض أيضاً .

رجع السبعون إلى الرب فرحين ، بعد إرساليتهم التبشيرية، وقالوا له " حتى الشياطين يارب تخضع لنا بإسمك" (لو١٠: ١٧) فوبخهم الرب على هذا الفرح النفسانى ، وقال لهم "لا تفرحوا بهذا، إن الأرواح تخضع لكم. بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم قد كتبت فى السموات " (لو١٠: ٢٠) . وهكذا فرق الرب بين نوعين من الفرح : نوع وبخ عليه ، ونوع دعا إليه .

* * *

مثال آخر وهو فرح البعض بموهبة الألسنة وما يشابهها .

إنه فرح بشئ يمجده أمام الناس ويرفع شأنه !! يريد أن يتعظم على حساب مواهب الله... وكان الأفضل أن يهتم بنقاوة قلبه وإمتلاء القلب بثمار الروح . وفى ذلك قال الرسول " لو كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ، وليس لى محبة ، فقد صرت نحاساً يطن وصنجاً يرن " (١كو١٣) .

* * *

إذن افرح بثمار الروح ، أكثر مما تفرح بالمواهب .

ثمار الروح التى هى " محبة وفرح وسلام ، وطول أناة ولطف وصلاح وإيمان ووداعة وتعفف" (غل٥: ٢٢، ٢٣) . وهذه توصلك إلى الملكوت بينما المواهب والآيات

والرؤى ربما لا توصل ..! يقول السيد الرب :

" كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب ، أليس بإسمك تنبأنا وبإسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة. فحينئذ أصرح لهم: إنى لم أعرفكم قط . اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم" (مت ٧: ٢٢، ٢٣) .

قيل عن القديس يوحنا المعمدان ، إنه لم يصنع آية واحدة (يو١٠: ٤١) . ومع ذلك شهد له الرب إنه أعظم من ولدته النساء (يو١١: ١١) . وفى التبشير بمولده قيل عنه إنه "من بطن أمه يمتلئ من الروح القدس " (لو١: ١٥) . فلا تفرح إذن بالآيات .

★ ★ ★

القديس بولس الرسول خاف من كثرة الرؤى والإستعلانات .

لأنها خطيرة ، ربما ترفع قلبه . ولذلك قال " ولئلا أرتفع بفرط الإعلانات ، أعطيت شوكة فى الجسد ، ملاك الشيطان ليلطمنى لئلا أرتفع " (٢كو١٢: ٧) . وصلّى ثلاث مرات أن يرفع الله عنه هذه الضربة ، ولم يقبل صلاته فى ذلك ...

★ ★ ★

أم يعقوب ويوحنا الرسولين وقعت فى الفرح النفسانى الباطل .

فجاءت إلى السيد الرب تطلب إليه أن يجلس أحد إبنيها عن يمينه ، والآخر عن يساره فى ملكوته (مت ٢٠: ٢٠، ٢١) . ولكن الرب لم يشأ أن يكون لها فرح بالعظمة ، بل أن يكون لإبنيها فرح بالألم. فقال لهما " لستما تعلمان ما تطلبان . أتستطيعان أن تشربا الكأس التى أشربها ، وأن تصطبغا بالصبغة التى أصطبغ بها " (مت٢٠: ٢٢) .

واستجاب الرب لطلبة هذه القديسة ، فكان إبنها أول الشهداء من الرسل الإثنى عشر (أع١٢: ٢) ، وجلس مع الرب عن يمينه ..

★ ★ ★

حقاً إن الفرح بالألم هو جزء من الفرح الروحى .

ولذلك بعدما سجنوا التلاميذ وجلدوهم ، يقول الكتاب عنهم "وأما هم فذهبوا فرحين ، لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل إسمه" (أع٥: ٤١) .

ويقول القديس بولس الرسول " لذلك أسرّ بالضعفات والشتائم والضرورات والإضطهادات لأجل المسيح" (٢كو١٢: ١٠) .. وهكذا كان سرور الشهداء والمعترفين القديسين بملاقاة العذابات والموت. إنه فرح روحانى .

ولعل من الأمثلة البارزة تلك القديسة العظيمة التى ذبحوا أبناءها الخمسة على حجرها وهى تشجعهم على الإستشهاد ، لكى يفرحوا مع الرب فى ملكوته. وهى أيضاً فرحت باستشهادهم .

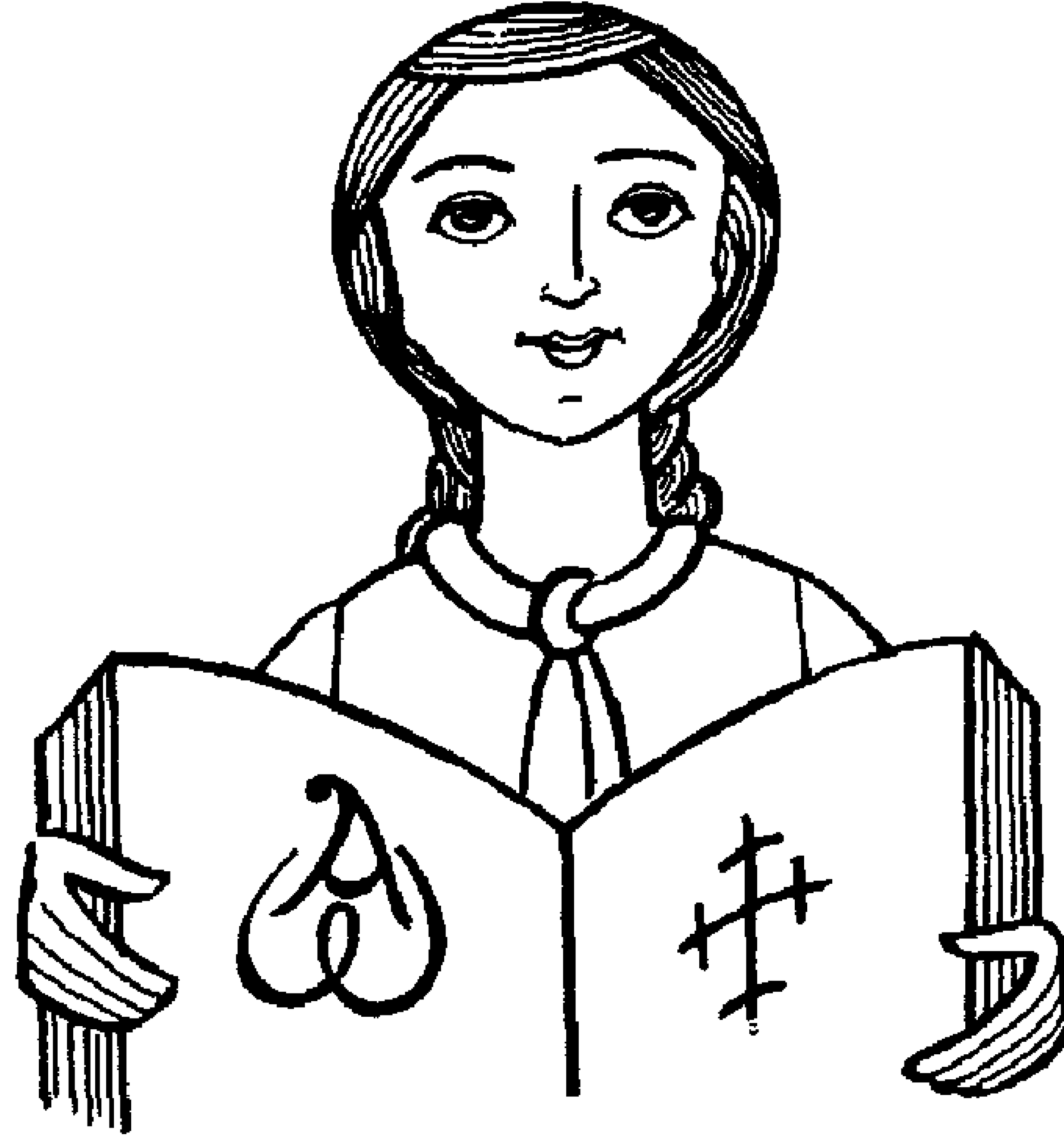
* * *

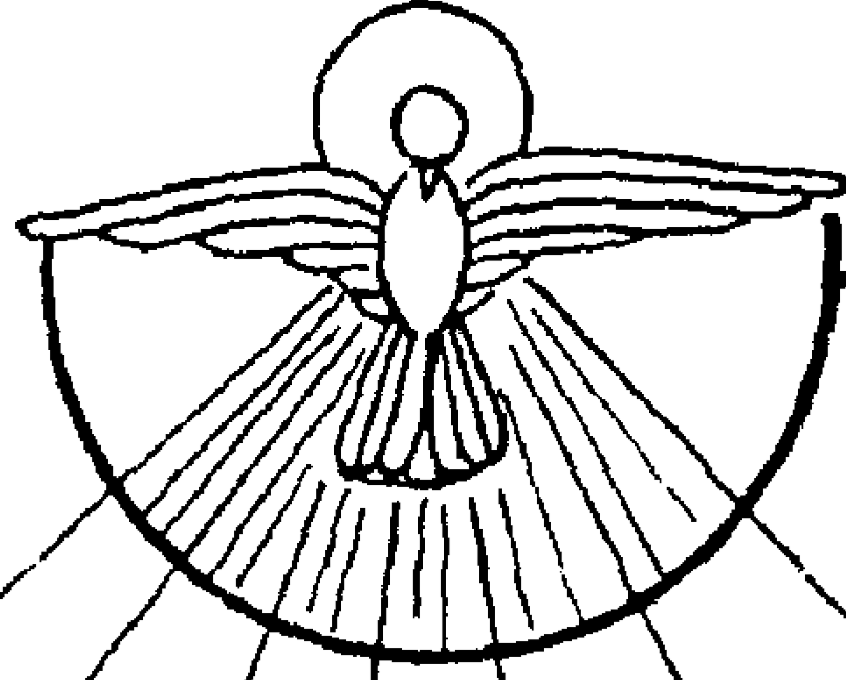
إن الذى يفرح بأن ينال موهبة المعجزات والآيات ، هو ما يزال فى مستوى الفرح النفسانى . أما الفرح الروحانى، فهو الفرح بالرب وليس بمواهبه ، وما تجلبه المواهب من عظمة ..

* * *

إن المستوى الروحى ، والمستوى النفسانى ، والمستوى الجسدانى يمكن تطبيقها على كثير من المشاعر والأعمال ، وعلى كثير من إتجاهات البشر وأعمالهم .

ولكننا ذكرنا ما ذكرناه كمثال .. والأمثلة كثيرة ...





الباب الثالث

تفاصيل

حول حياة الفضيلة

تأثر حياة الفضيلة بالقراءة والسمع وباقى الحواس

الفكر والحواس

فكر الإنسان أمر هام فى حياته الروحية ،

والفكر ينبع من مصادر ، ويصب فى أخرى .

وحواس الإنسان هى من منابع الفكر .

وما يقرأه أو يسمعه يولد له أفكاراً . وما يراه أيضاً ينشغل به العقل والفكر .. الحواس توصل للعقل أفكاراً . وما يفكر فيه العقل ، يوصله إلى القلب كمشاعر وأحاسيس . وما أسهل أن مشاعر القلب تصل إلى الإرادة ، ومنها إلى العمل ...

* * *

الحواس لا تؤثر على العقل الواعي فقط ، إنما على العقل الباطن أيضاً .

ما تجمعه العين والأذن، من مناظر وسماعات وقراءات ، كثيراً ما تنطبع – حسب عمقها – فى العقل الباطن . وتظهر فيما بعد كأحلام أو ظنون أو أفكار أخرى . لأن الفكر يلد فكراً ، أو أفكاراً كثيرة . والعقل دائم العمل لا يتوقف ...

* * *

حسب الغذاء الذى تقدمه للعقل ، تكون أفكاره ...

قد تجلب له الحواس أفكاراً خيرّة ، وقد تجلب له أفكاراً شريرة .. وحسب نوعية الوقود، تكون النار ... فاحرص على حواسك ، لتضمن سلامة فكرك . واسأل نفسك أى نوع من الفكر يدور فى عقلك ؟ أهو فكر روحى ، أو فكر خطية ، أم فكر تافه ، من أمور العالم الزائلة ؟؟

* * *

والكنيسة تستخدم الحواس كواسطة روحية :

فتجد فى الكنيسة الأيقونات مثلاً . تقف أمام الأيقونة وتتأملها ، فتأتيك أفكاراً عن حياة صاحبها ، وقداسته وجهاده وآلامه .. نسمع عن المهاتما غاندى أكبر زعيم روحى للهند: أنه عندما زار فرنسا ، وقف أمام أيقونة السيد المسيح المصلوب وبكى ...

الكنيسة أيضاً تقدم للحواس الألحان والموسيقى ، ولها تأثيرها فى القلب والفكر . وتقدم البخور، وهو صاعد إلى فوق برائحة زكية . وتقدم للعين أيضاً الملابس الكهنوتية البيضاء، والشموع المضاءة ، وتحركات الكهنة والشمامسة ، ومناظر الوقوف والركوع والسجود ... وكل ذلك يجلب للعقل أفكاراً ، وللقلب مشاعر وأحاسيس ... وهكذا مع باقى الطقوس الكنسية ...

وبالإضافة إلى هذا القراءات ، وتأثيرها :

القـراءات

القراءات تؤثر كثيراً فى حياتك وشخصيتك .

★ يمكن أن تغرس فى النفس مبادئ وقيماً ، حسب نوعية القراءة . فالشاب الذى يقرأ كثيراً عن الحرية ، تُغرس فيه أفكار غير الذى يقرأ عن الواجبات والإلتزام والتضحية . والذى يقرأ عن النسك والزهد والموت عن العالم ، تكون أفكاره غير الذى يقرأ عن الغيرة والعمل والحماس والجهاد ... إن القراءة يمكنها أن تشكل شخصية الإنسان.

★ كذلك القراءة توسع الفكر ، وتعمق مفاهيم معينة ، وتزيد المعارف. وما أصدق الشاعر الذى قال عن القراءة فى التاريخ :

ومن وعى التاريخ فى صدره | أضاف أعماراً إلى عمره

★ ★ ★

★ القراءة تستطيع أن تبعد الفكر عن التوافه .

فالمرأة التى لا تقرأ ، ربما لا تعرف سوى الحديث عن الطبيخ والملابس والحفلات وأخبار الناس ، بعكس المرأة المثقفة التى تجيد الكلام فى موضوعات لها عمق .. وبالمثل الرجل الذى لا يعرف سوى المقهى والنادى ودور اللهو ، تكون شخصيته سطحية، وأحاديثه بلا نفع أو قد تضر، وعلى عكسه الرجل الذى يقرأ ويدرس ويثقف نفسه ...

ولهذا نحن نفرح بتعليم المرأة ، ونحث الناس على القراءة حتى الأطفال .. ونشجع

على تكوين المكتبات . ونطلب من الآباء والمرشدين أن يوجهوا أبناءهم في نوعية القراءة التى تفيدهم والتى تناسبهم .

* * *

★ الكتب النافعة تؤثر على الروح ، وتقودها إلى الله .

ولا ننسى مطلقاً كيف تأثر أوغسطينوس بقراءته لحياة القديس الأنبا أنطونيوس ، وقادته إلى التوبة . كذلك تأثر الناس بعظات القديس يوحنا ذهبى الفم ، وأشعار مارافرام السريانى. والروحيون إذاقرأوا كتباً روحية ، يرتفع مستواهم ويزداد عمقهم بما يقرأون .

المهم أن الناس يتخيروا ما يصلح للقراءة وما ينفع .

★ ★ ★

★ والقراءة تمنح العقل لوناً من النمو والنضوج .

فهى تشرح للعقل موضوعات ما كان يعرفها ، وتناقش معه أفكاراً ربما كان يتقبلها بالتسليم ، فأصبح يدخلها فى نطاق الحوار .

وما كنا نقوله منذ سنوات عن مراحل السن عند الأطفال ، تغير حالياً عن ذى قبل تغيراً كبيراً جداً ، بقدر ما يقدمه المجتمع للطفل والشاب من معلومات ، وما يقدمه أيضاً لرجل الشارع. وبازدياد المطبوعات سواء فى الكتب أو الجرائد أو المجلات ، تغير الفكر عن ذى قبل ، بحسب نوعية القراءة ونوعية الثقافة ...

★ ★ ★

مستوى المعرفة قد إزداد . ولكن أية معرفة ؟

حسب قراءاتك تكون معرفتك ، وحسب معارفك تتأثر حياتك. فما هو نوع قراءاتك؟ أقصد القراءة الأكثر والأعمق؟ هل هى القراءة العليمة والمعارف العامة؟ أم القراءة فى السياسة والإقتصاد والأخبار ؟ أم القراءة عن الجرائم والأحداث والإنحرافات؟ أم القراءة فى العقيدة والإيمان؟ أم القراءة فى الروحيات ؟ أو فى النسك أو فى سير القديسين ... ؟

★ ★ ★

ما تقرأه سيؤثر فيك ، ويدفع حياتك فى إتجاه معين .

لا تقل أنا لا أتأثر ، فقد تأثرت عقليات جبارة جداً .

مثال ذلك أوريجانوس ، أعظم عالم لاهوتى فى القرن الثالث ، وعلى مدى قرون كثيرة، تأثر بقراءاته الفلسفية، وتأثر بالأفلاطونية والأفلاطونية الحديثة . وظهر ذلك

واضحاً فى كتابته عن الأرواح ، وعن الوجود السابق لها . وتأثره فى كلامه حتى عن الملائكة ، وعن الخلاص ، والحياة الأخرى ... وحرمته الكنيسة ، وحرمته مجامع ...!!

* * *

وكثيرون ممن قرأوا كتباً غربية أو غريبة ، تأثروا بها .

وظهر هذا التأثير واضحاً فى أفكارهم .. سواء الذين انحرفوا نحو طوائف أخرى ، أو الذين تأثروا بالقراءات الفلسفية ، أو كتب الشيوعية والإلحاد ، أو بكتب أخرى تغرس الشكوك، كالذين قرأوا كتب شهود يهوه ، أو كتب السبتيين وأمثالهم ...

ومن هذا النوع كثيرون ، أذكرهم وأنا باكٍ كما قال الرسول ولعل فى مقدمتهم شخص كان الأول على كلية اللاهوت ، ثم وضع كتاباً عنوانه " الإنسان هو الذى خلق الله على صورته " !!

* * *

لهذا كله كانت الكنيسة تحرم كتب الهراطقة :

لا تحرم الهراطقة فقط ، وإنما كتبهم أيضاً ، وتأمر بحرقها . وهكذا قيل فى سفر أعمال الرسل " وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر ، يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع " (أع١٩: ١٩) .

لهذا كله ينبغى تنقية المكتبات فى الكنائس ، حرصاً على أفكار القراء وعلى إيمانهم . وتكون القراءة تحت إرشاد .

ومن يعرض – على سبيل نشر المعرفة – فكراً خاطئاً ، ينبغى فى نفس الوقت أن يقدم الرد عليه ، ويكون الرد قوياً .. كذلك من يتعرضون للنقد الكتابى Biblical Criticism لابد أن يكونوا على مستوى القوة فى مناقشة الأفكار .

* * *

هناك أمثلة كثيرة للمعرفة الخاطئة المضللة :

ولعله بسببها قال الحكيم فى سفر الجامعة إن الذى يزداد علماً ، يزداد غماً (جا١: ٨). يقصد العلم بأشياء تضر أو تشكك أو تتعب الفكر . ولعله عن تلك المعرفة الضارة قال فستوس الوالى للقديس بولس الرسول " الكتب الكثيرة تحولك إلى الهذيان " (أع٢٦: ٢٤). طبعاً كان يظلم القديس . فهذه العبارة ما كانت تنطبق عليه . ولكنها يمكن أن تنطبق على غيره .

الهدف من القراءة

★ هناك من يقرأ لمجرد الرغبة فى المعرفة .

★ ومن يقرأ للدراسة ، وللبحث عن الحقيقة .

★ وهناك من يقرأ مقررات مفروضة عليه كالطلبة فى الجامعات والمدارس، وذلك لكى ينجحوا ويحصلوا على شهادات .

★ نوع آخر يقرأ للتسلية وللمتعة ، كمن يقرأ قصصاً وحكايات .

★ وآخر يقرأ للتدريب على الذكاء ، كمن يقرأ الألغاز لحلها .

★ نوع آخر يقرأ لإشباع شهوة معينة فى نفسه .

★ وآخر يقرأ لمعالجة نفسه من شهوة أو من فكر ضاغط ، وذلك باستبداله فكر بفكر، لعل قراءته تنقله إلى جو آخر من التفكير ، وتخلصه من أفكاره التى تتعبه ، أو من الشهوات التى تضغط عليه ، أو تقيم توازناً فى فكره .

★ وهناك من يقرأ للهروب من الفراغ أو لقتل الوقت .

★ ومن يقرأ للتعمق فى العقيدة والإيمان ، أو لتدريس ما يقرأه للغير .

★ ونوع آخر يقرأ لبناء نفسه ، وللتفوق على غيره فى المعرفة .

★ والنوع الأسمى هو الذى يقرأ لفائدته الروحية ، لكى تكون القراءة له روحاً وحياة كما قال الرب عن كلامه (يو٦: ٦٣) .

فمن أى نوع أنت ؟ وهل تستفيد روحياً من قراءاتك ؟

كيف تقرأ ؟

★ **أولاً إقرأ بفهم ، وبفحص ، ولا تعتنق كل ما تقرأ .**

فكثير من الناس يقبلون كل ما يقرأون باقتناع تلقائى ، دون دراسة ودون تفكير، كما لو كان مكتوباً بوحى !! أما أنت فضع أمامك قول القديس بولس الرسول " امتحنوا كل شئ وتمسكوا بالحسن " (١تس٥: ٢١) . وأيضاً قول القديس يوحنا الرسول " لا تصدقوا كل روح. بل إمتحنوا الأرواح هل هى من الله ؟" (١يو٤: ١) . وأعرف أن " الحكيم عيناه

فى رأسه ، أما الجاهل فيسلك فى الظلام " (جا٢: ١٤) . لذلك لا تقبل كل شئ . وحبذا لو أنك وزنت كل ما تقرأه فى ضوء كلمة الله التى تحكمك للخلاص (٢تى ٣: ١٥).

★ ★ ★

★ ولا تنشر كل ما تقرأه ...

لأن البعض لا يكتفون بتأثرهم بأفكار معينة ، بل يتحمسون لها بالأكثر لدرجة أنهم ينشرونها فى كل المحيط الذى يعيشون فيه وربما يكونون بذلك عثرة لغيرهم من جهة الفكر .

★ ★ ★

★ ولا تعجب بكل جديد مما تقرأ .

المهم أن هذا الجديد لا يتعارض مع المسلمات القديمة الثابتة فى الكنيسة التى تسلمناها من الآباء القديسين . والكتاب يأمرنا قائلاً " لا تنقل التخم القديم الذى وضعه آباؤك " (أم٢٢: ٢٨) (أم٢٣: ١٠) . وهنا تبدو الأصول القوية فى الكنائس التقليدية التى تحافظ على الإيمان المسلم من القديسين (يه٣) فلا تضيف إليه ما يتعارض معه ...

★ ★ ★

★ ولتكن قراءتك باتضاع ...

لأنه أحياناً " العلم ينفخ " (١كو٨: ١) كما قال الرسول :

وكثير من الناس يرتفع قلبهم بقراءاتهم ، ويرون أنهم صاروا أعلى فكراً وأوسع عقلاً من الآخرين . فينتفخون ، ويتعالون على غيرهم ، ويصفون الغير بالجهل . وتكون لهم المعرفة مجالاً للإفتخار . ويفقدون إتضاعهم حتى فى حديثهم مع من هم أكبر منهم .

السماعات

أنت تسمع كثيراً ، فى الإجتماعات العامة والخاصة ، وفى محيط الأقرباء والأصدقاء والمعارف . وتسمع من وسائل الإعلام: الراديو، والتلفزيون، والفيديو، والكاسيتات. ولكن المهم هو أمران :

أن تتخير ما تسمع ، وتتحكم فيما تسمع :

الله وهب لك أذنين ، لكى تسمع الرأى ، والرأى الآخر . ولا تكون عبداً لرأى واحد، أو لكل ما تسمع . فبين أذنيك وضع الله العقل ليزن ويحكم ، ويفحص ويدقق ، ويقبل ما

يصلح ، ويرفض ما يضر ، فلا تجعل عقلك في أذنيك ، ولا تكن سماعاً ... ولا تصدق كل ما تسمعه . بل افحص كل شئ ، وابحث عن الحقيقة .

* * *

تذكر أن أول خطية للبشرية جاءت نتيجة السماع .

حينما سمعت أمنا حواء كلاماً خاطئاً معثراً من الحيـة ، وكانت الحية أحيل حيوانات البرية (تك٣) . وآخاب الملك أضاع نفسه نتيجة سماعه سـماعاً خاطئاً ظالماً من زوجته إيزابل (١مل٢١) . ونحن نقول في القداس على المتآمرين الخاطئين " بدد مشورتهم يا الله، الذى بدد مشورة أخيتوفل " فلا يكون فى حياتك أخيتوفل يضرك ...

* * *

ولتكن أذنك مصغية إلى السماع المفيد .

إلى كلمة النصح ، وكلمة المنفعة ، وكلمة التوبيخ المخلص ، وكلمة الإرشاد من الحكماء ، وعموماً إلى الكلمة التى تبنى ... تبنيك روحياً وفكرياً ، وتثبتك فى الحياة مع الله .

واحترس من كلام المديح الضار ، أو الملق ، أو كلام الإغراء ...

* * *

فى السماع أيضاً لا تَنسَ تأثير الموسيقى .

وقد إهتمت الكنيسة بالألحان والموسيقى ، لأن لها تأثيرها العميق فى النفس . وقال الرسول عن ذلك " مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغانى روحية مترنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب " (أف٥: ١٩) .

ليتك تجعل التسابيح والألحان من الوسائط الروحية التى تبنيك .

واهتم بالترتيل وتأثيره ، على أن تكون ألحانه سليمة ، وليست مأخوذة من الأغانى العالمية كما يفعل البعض .

* * *

واحترس مما يسميه البعض " غسيل المخ " .

وذلك بوقوع البعض تحت تأثير فكرى معين ، يضيع منه كل ما أخذه من قبل ، وكل ما آمن به واقتنع . ويزرع فيه شكوكاً لا تحصى ، ويغرس فيه أفكاراً أخرى ، دون أن يعطيه فرصة لمعرفة الرد أو الإتصال بالرأى الآخر .. إلى أن يخرج آخر الأمر شخصاً

مختلفاً تماماً عما كان ، بفكر آخر غير فكره الأول فى كل شئ ...

وهذا ما كانت تفعله الشيوعية وغيرها من المذاهب .

* * *

ولذلك أيضاً تخير أصدقاءك الذين تسمع منهم وتسمع لهم .

وتخير مرشديك بحيث يكونون مرشدين صالحين يفصلون كلمة الحق باستقامة ، ويكلمونك دائماً بكلمة الله .

* * *

ولا تردد كل ما تسمع وتصبه فى آذان غيرك .

إلا بعد أن تتحقق من صحة وفائدة ما قد سمعته ، لئلا تصبح عثرة لغيرك وتفقده فضيلته . احترس إذن من أسلوب الببغاوات ، لئلا تنقل شائعات أو معلومات قد تكون ضارة .

باقى الحواس

احترس من النظر وتأثيره عليك .

وتذكر أن خطية داود الكبرى ، كان النظر هو بدايتها (٢صم١١: ٢) . والنظر قاد إلى الشهوة التى قادته إلى الزنا والقتل .

وربما نظرة تقود إلى خطية إدانة . ونظرة تقود إلى خطية حسد .

النظر يؤثر على مشاعر القلب . وكذلك فإن مشاعر القلب تشكّل نوعية النظرة . ولا ننسى فى خطية أمنا حواء، أنها – بعد أن تغير قلبها بحديث الحية – نظرت فإذا الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون ، وأنها شهية للنظر (تك٣: ٦) .

وقد قال القديس يوحنا الرسول عن محبة العالم التى هى عداوة لله " كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العين وتعظم المعيشة " (١يو٢: ١٦) .

* * *

وكما تؤثر حاسة النظر ، تؤثر أيضاً حاسة اللمس وحاسة الشم .

لكل هذا ، دقق القديسون على حفظ الحواس ، وضبط الحواس ، حتى لا تقود الإنسان إلى مشاعر معينة تخرجه عن حياة البر .

حيـاة الفضيـلة

تـتبرهـن بالاختبارات

لابد من إختبارات يجتازها كل شخص لكى يثبت أنه فاضل بالحقيقة إن نجح فى تلـك الإختبارات التى تقيّم بها شخصيته ، وتتحدد بها أبديته ، ودرجته فى تلك الأبدية .

قد تكون فترة الإختبار قصيرة بالنسبة إلى البعض :

يوحنا المعمدان مثلاً ، ربما فترة خدمته كانت حوالى سنة أو ربما أزيد قليـلاً ، ولكنـه عبّر فيها عن نجاح هائل فى الخدمة ، وتواضع وإنكار ذات ، وشجاعة ... وقد إكتفى الله بفترة الإختبار القصيرة هذه ، وأخذه إليه وهو فى سن الثانية والثلاثين تقريباً .

نفس الوضع بالنسبة إلى فترة إختبار القديسين مكسـيموس ودومـاديوس ، اللذين إنتقـلا إلـى الفـردوس فـى شبابهما . وكذلـك القديـس ميصـائيل السـائح الـذى وصـل إلـى درجـة السياحة، وهو فى حوالى الخامسة عشرة من عمره .

* * *

كانت فترة اختبار قصيرة ، ولكنها كافية ...

كافية للتعبير عن نوعية الشخصية ، وروحانيتها ، وجهادها ، ومدى المحبة الكائنة فـى القلب من نحو الله ...

أيتساءل أحد ويقول : لمـاذا يـارب تـأخذ مثـل هـذه النفـوس الطـاهرة ، فـى هـذه السـن المبكرة ؟ فيجيب الرب : لقد نجحوا في اختبارهم ، ويكفى هذه الجهاد ...

بالمثل الإختبار الذى تم بالنسبة إلى بعض الشهداء والمعترفين .

لقد تم إختبار إيمانهم ، وثباتهم فيه ، وإحتمالهم من أجله ... ربما فى أيام أو شهور .. وكان ذلك يكفى ، إنتقلوا بعده إلى الفردوس .

على أنه بصفة عامة ، نقول بالنسبة إلى إختبار الناس :

* * *

إنه تؤخذ الحياة كلها للإختبار ، وليست مجرد فترة منها .

لأن البعض قد تمر عليه فترة ضعف مثلاً ، ولكنها لا تـدل علـى طبيعـة حياتـه كلهـا ، وإنما هى فترة فتور أو سقوط ، استقام بعدها ونما فى النعمة .

وربما تكون فترة البداية سيئة ، مثل أوغسطينوس أو موسى الأسود أو مريم القبطية ، ولكن تدخل التوبة وتغير مجرى الحياة كلها ... ولذلك قال الرسول :

" أنظروا إلى نهاية سيرتهم ، فتمثلوا بإيمانهم " (عب١٣: ٧) .

إن الله يأخذ الحياة فى جملتها ، وبخاصة فى نهايتها ... لأنه فى إختبار الإنسان يعطيه فرصة لتصحيح مسلكه ، أو فترة للنمو . ولا يأخذه فجأة فى ساعة ضعف طارئة ...!

* * *

وكل إنسان إجتاز الإختبار بما فى ذلك أبوانا الأولان .

اختبرهما الله بوصية تبدو بسيطة .. إنهما لا يأكلان من ثمرة معينة . وهذه الوصية تبين مدى طاعة الإنسان ، ومدى إلتزامه بالوصية ، ونوعية القلب أمام الإغراءات والشهوة والحروب الخارجية ...

* * *

المهم ليس فى نوع الإختبار ، إنما فى موقف الإنسان منه .

آدم وحواء اختبرا بالإمتناع عن ثمرة ، أما أبونا ابراهيم فكان اختباره أصعب . أن يترك أهله وعشيرته وبيت أبيه ، ويخرج " وهو لا يعلم إلى أين يذهب " (عب١١: ٨) . وكان الإختبار الأصعب من ذلك لطاعة أبينا إبراهيم هو تقديم إبنه محرقة للرب (تك٢٢: ١، ٢) .

* * *

يوسف الصديق وداود اختبرا بالنساء .

واحد منهما كان أعزب ، وضغطت عليه الحرب من الخارج بشدة ، ومع ذلك نجح فى الإختبار . والثانى كان متزوجاً وله عدد كبير من الزيجات ، ومع ذلك فشل ، وأضاف إلى خطيته مع المرأة خطايا أخرى تبعت ذلك .

ولعل البعض يتساءل : لماذا سمح الله أن يدخل داود فى إختبار يعرف مقدما أنه سوف يفشل فيه .

نقول إن هذا السقوط ، كان سبباً لانسحاق داود وإتضاعه .

حيث بكى طول عمره بسبب هذه السقطة ، وبلل فراشه بدموعه (مز٦) واتضع بسببها كثيراً ، وانتفع روحياً .

* * *

ونقول أيضاً إن الله لم يجرب داود بذلك .

وكما يقول القديس يعقوب الرسول " لا يقل أحد إذا جُرب : إنى أجرب من قبل الله .. ولكن كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته .. " (يع١: ١٣، ١٤) .

وكذلك لم يجرب الله يوسف بامرأة فوطيفار ، إنما شر هذه المرأة كان إختباراً له .. إن ظروفاً معينة قد تحدث فى حياة إنسان ، وتكون اختباراً له ...

★ ★ ★

وقد يأتى الإختبار من حسد الشياطين وحيلهم .

وحدث ذلك فى قصة أيوب الصديق ، حينما اشتكى عليه الشيطان ، وطلب أن يقع فى يديه ، مدعياً أنه إن زالت نعمة الله عنه " فإنه فى وجهه يجدف عليه " (أى١: ١١) . وما أكثر الإختبارات التى يقع فيها الإنسان نتيجة لحروب الشياطين ومؤامراتهم ..

★ ★ ★

وقد يأتى الإختبار بسبب مضايقات من البشر .

ربما تعيش إمرأة مع زوج قاسٍ متعب ، وتصرخ إلى الله " يارب لماذا تتركه يتعبنى هكذا ؟!" . وقد تكون إجابة الرب " مثل هذا الزوج هو إختبار لإحتمالك .. وإن نجحت فى الإحتمال ، إما تكسبين الزوج ، أو على الأقل تنالين أكاليل ...

★ ★ ★

والأكاليل هى إحدى منافع الإختبارات ...

وعلى رأى أحد القديسين ، الذى قال " لا يكلل إنسان إلا إذا إنتصر . ولا ينتصر إلا الذى حارب " ...

نفس الوضع نقوله بالنسبة للتلميذ أو طالب العلم ، توضع له إختبارات . وهذه تبين نوع عقليته وذاكرته وجهده فى تحصيل العلم . وبناء عليه يكافأ بالنجاح أو التفوق ... وفى كل مناحى الحياة ومجالات العمل ، نجد إختبارات لكفاءة الإنسان ومقدرته ...

وفى السماء يأخذ الإنسان الأكاليل المعدة للغالبين .

كما ورد ذلك فى رسالة من رسائل الرب إلى الكنائس السبع . وقد سجل ذلك فى سفر الرؤيا (رؤ٢، ٣) .

★ ★ ★

والإختبارات هى تقييم لحياة الإنسان وعمله وروحياته .

تبين صلابته أو ليونته ، قوته أو ضعفه ... فإن فشل ينطبق عليه قول الوحي الإلهي "وُزنت بالموازين فوجدت ناقصاً " (دا٥: ٢٧) . وهذا واضح في مثل البيتين ...

البيت المبني على الصخر ، اختبرت صلابته الرياح والأمطار .

هبت كلها عليه فلم يتزعزع ، وظل ثابتاً بعكس البيت المبني على الرمل . لما صدمته الرياح وسقطت عليه الأمطار ، سقط وكان سقوطه عظيماً .. هذه الرياح والأمطار كانت إختباراً للبيت ... أظهرته على حقيقته .

* * *

والله يعرف حقيقتنا دون أن يختبرنا ...

فلماذا الإختبار إذن ؟ وما حكمته ؟

على الأقل ، بهذا الإختبار يعرف الإنسان ذاته ، وإن سقط يعرف ضعفه . وإن عوقب لا يشتكي على عدل الله . وإنما يقول مع اللص اليمين " نحن بعدل جوزينا " (لو٢٣: ٤١). وأيضاً إذا عرف ضعفه ، يتضع ويحترس ويدقق فيما بعد ...

* * *

وقد يكون إختبار الشخص الناجح درساً لغيره .

إن الله كان يعرف قدرة أيوب على إحتمال الإختبار . فسمح بذلك لكي يعطى به درساً للأجيال به نطوب الصابرين (يع٥: ١١) . وكان السيد المسيح يعرف تماماً قدرة المرأة الكنعانية على سماع كلمة صعبة (مت١٥: ٢٦) وأنها ستنجح في الإختبار ، فسمح بذلك ، وقال لها بعد إجابتها المنسحقة " عظيم هو إيمانك " . وصارت بإجابتها درساً لنا .

طرق للإختبار :

١ - قد يختبر الإنسان بنقطة ضعف فيه :

الشاب الغني كان يحفظ الوصايا منذ حداثته ، وكان يشتاق إلى الحياة الأبدية ويسعى إليها . وعلى الرغم من هذا ، كانت فيه نقطة ضعف ، وهي محبته للمال . وقد اختبر في هذه النقطة بالذات " اذهب وبع كل مالك واعطه للفقراء ... " (مت١٩: ٢١) . فمضى حزيناً ، وفشل في الإختبار ...

إبحث إذن : ما هي نقطة الضعف التي فيك ، التي تسقطك .

* * *

٢ - وقد يختبر الإنسان بأخذ شئ منه :

مثال ذلك أن يطالبك الرب بالعشور وبالبكور ، ويرى هل تدفع أم لا ، وهل تتحايل على الأمر ؟ وهل تعتذر بأسباب ؟ أو على الأقل هل تؤجل ؟ وما هو مدى إلتزامك بالوصية .

وقد يختبرك بيوم الرب . هل تحفظه وتعطى وقتك للرب ؟

* * *

٣ - وقد يختبر الإنسان بالأمراض :

كما حدث فى تجربة أيوب (أى٢) . وكما حدث بالنسبة إلى بولس الرسول الذى قال " ولئلا أرتفع من فرط الإعلانات، أعطيت شوكة فى الجسد ، ملاك الشيطان ليلطمنى لئلا أرتفع " (٢كو١٢: ٧) .

ويرى الله هل الإنسان يحتمل أم لا ؟ هل يقبل أم يتذمر ؟

★ ★ ★

٤ - وقد يختبر الإنسان بعدم أستجابة الصلاة .

كما صلى بولس الرسول من أجل أن يخلصه الله من هذه الشوكة التى فى الجسد . وقال " إلى الله تضرعت ثلاث مرات " . ومع ذلك استبقى الله الشوكة فى القديس بولس ، وقال له " تكفيك نعمتى " (٢كو١٢: ٨، ٩) . ولم يتذمر هذا القديس .

★ ★ ★

٥ - وقد يختبر الإنسان بتأخر الله عليه !!

أقصد ما يظنه هذا الإنسان تأخراً .. ويختبر الله هذا الإنسان ماذا يفعل ؟ هل يلجأ إلى الطرق البشرية ، مثلما لجأت سارة إلى هاجر ، لما تأخر حبلها (تك١٦: ٢) . ومثلما لجأت رفقة إلى حيلة بشرية لخدع اسحق ، حتى يمنح البكورية ليعقوب (تك٢٧) .

أم أن الإنسان لا يتعبه التأخر ، ويستمر فى اللجاجة ، مثلما فعل إيليا النبى ، لما صلى من أجل سقوط المطر ، فلم يستجب الرب إلا فى الصلاة السابعة (١مل١٨: ٤٤) . إذ استمر فى صلاته ولم ييأس ...

★ ★ ★

٦ - وقد يكون الإختبار بالإضطهاد أو سوء المعاملة :

كما اختبرت الكنيسة بعصر الإستشهاد الذى استمر من عهد نيرون إلى حكم

ديوقلديانوس ، أكثر من ٢٥٠ سنة، بأقسى ألوان التعذيب ... وصمدت الكنيسة في هذا الإختبار ، ونجحت ، فكوفئت بمرسوم ميلان سنة ٣١٣ .

أما عن سوء المعاملة ، فهو إختبار يحدث في محيط المجتمع ، أو الأسرة ، أو العمل، في جو الرؤساء أو الزملاء . ويرى به معدن الإنسان ...

* * *

٧ - وقد يكون إختبار إنسان عن طريق العتاب أو الصراحة :

فهناك أشخاص لا يحتملون العقاب ويثورون وينفعلون . وأشخاص لا يحتملون الصراحة ، ويعتبرونها إتهاماً أو إهانة . وتظهر طبيعتهم التي كانت تخفيها عبارات المجاملة أو المديح . ولذلك قال أحد أصحاب أيوب له " إن امتحن أحد كلمة معك ، هل تستاء " (أي ٤: ٢) .

* * *

٨ - والإغراءات هي إختبار آخر للإنسان :

سواء كانت إغراءات جسدية ، أو مالية ، أو خاصة بالمناصب والألقاب ، أو أية شهوة أخرى يتعرض لها الإنسان . والشهداء لم يحاربوا بالتعذيب فقط ، وإنما بالإغراءات أيضاً،

* * *

٩ - كذلك فإن النجاح والعظمة هي إختبار للإنسان .

هل يرتفع قلبه إن نجح في حياته ؟ وهل يتعالى على غيره ؟ وهل يفقد تواضعه أم يبقى كما هو .. كما قال أحد الأدباء عمن ينجح في هذا الإختبار إنه " يكبر دون أن يتكبر، ويحتفظ بثباته في وثباته .. " .

وقد فشلت هاجر في هذا الإختبار . فلما صار لها ولد ، بل مجرد حبلت ، صغرت مولاتها في عينيها (تك١٦: ٤) .

* * *

١٠ - المواهب أيضاً اختبار للإنسان :

أولاً كيف يستخدمها : هل في الخير أم الشر ؟ كالذكاء مثلاً ، والجمال والفن ... وثانياً هل يرتفع قلبه بها ؟ كما حدث أن التلاميذ في بعثتهم التبشيرية الأولى ، فرحوا بإخراج الشياطين ، وقالوا للرب " حتى الشياطين تخضع لنا باسمك " فوبخهم قائلاً " لا

تفرحوا بهذا ... " (لو١٠: ١٧، ٢٠) .

هل يستخدمونها لبنيان الكنيسة (١كو١٤: ٥) لتبشير الأمم الذين لهم لسان آخر ... أم يرونها مجالاً للظهور وللإفتخار والمجد الباطل .

* * *

١١ – من الإختبارات التى تتعرض لها البشرية التمدن (الـ Modernism) :

فهل فى زحمة التهافت على التجديد ، يحتقرون كل ما هو قديم ، من عرف وتقاليد ، بل من تراث عظيم مجيد ، ويريدون أن يجددوا كل شئ بتحطيم كل التخم القديمة (أم٢٢: ٢٨) ... ويدخل (التجديد) حتى فى اللاهوتيات والعقائد .

* * *

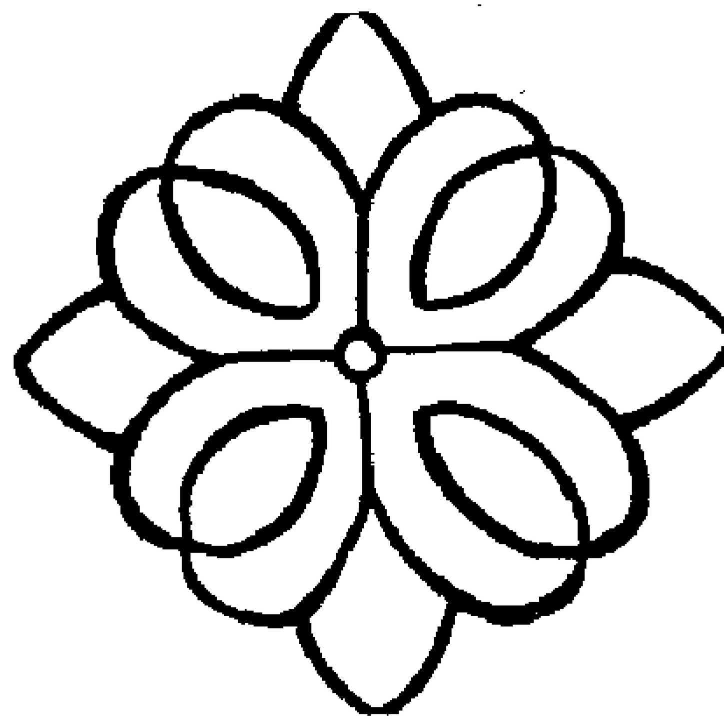
١٢ – يدخل الإختبار أيضاً فى المحبة :

وكما قال القديس يوحنا الرسول " لا نحب بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل والحق " (١يو٣: ١٨) . إن بطرس الرسول قال للسيد المسيح : إن شك فيك الجميع فأنا لا أشك... ولو إضطررت أن أموت معك لا أنكرك ... (مت٢٦: ٣٣، ٣٥) . ولكن لما اختبرت محبته ، أنكر وجدف ، وقال " لا أعرف الرجل " (مت٢٦: ٧٤) .

* * *

وبنفس الوضع تختبر الطاعة ، إذا تلقى الإنسان أمراً لا يوافقه .

لأنك إن تلقيت أمراً يوافق رغبتك وأطعته ، ربما تكون قد نفذت رغبتك وليس الأمر الصادر إليك . أما إذا تلقيت أمراً ضد رغبتك ، فهنا تظهر الطاعة . وإذا غيرت رغبتك بسبب الأمر ، ورأيت أن العكس هو النافع لك ، تكون قد إرتفعت من مستوى الطاعة إلى التسليم ...



الثمـــر

فى حياة الفضيلة والـبرّ

أهميـة الإثمـار

الحياة الروحية لابد أن يكون لها ثمر فى حياتنا ، بل وفى حياة الآخرين أيضاً .

وقد اهتم الرب بهذا الثمر فقال " أنا الكرمـة الحقيقيـة وأبـى الكرام. كل غصن فـىّ لا يـأتى بثمر ينزعـه. وكل مـا يـأتى بثمر ، ينقيـه ليـأتى بثمر أكثر .. أنـا الكرمـة وأنتـم الأغصـان.

* * *

ووصية الإثمار موجودة من بدء الخليقة، إذ قال الرب :

" **إثمروا وأكثروا ، واملأوا الأرض** " (تك١: ٢٨) .

وإن كانت هذه الآية تتعلق بالإثمار الجسدى ، أى التوالد ، إلا أنها من الناحية الرمزيـة يمكن أن نتناولها بمعنى روحى .. كأنها دعوة إلـى المؤمنيـن أن يثمـروا روحيـاً ، ويكثر عملهم الروحى حتى يملأ الأرض ...

وفى قصة الخليقة يقول سفر التكوين أيضاً أن تنبت الأرض "شجراً ذا ثمر يعمل ثمـراً كجنسه" " شجراً يعمل ثمراً بذره فيه كجنسه " (تك١: ١١، ١٢) .

* * *

إذن ينبغى أن يكون كل منا شجرة مثمرة فى جنـة الـرب، شـجرة ذات ثمـر، تصنـع ثمراً بذره فيه كجنة ...

ومادمنا أشخاصاً روحيين ، إذن لابد أن يكون ثمرنا روحياً ، وليس جسدياً . فالكتـاب يقول " من يزرع لجسـده ، فمن الجسد يحصد فساداً. ومـن يـزرع للـروح، فمن الـروح يحصد حياة أبدية " (غل٦: ٨) .

* * *

وهكذا يحدثنا الكتاب عن ثمر الروح .

فيقول " وأما ثمر الروح فهو محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة، لطف، صلاح ، إيمان، وداعة ، تعفف " (غل٥: ٢٢، ٢٣) .

* * *

ويشدد الكتاب على أهمية الثمر ، وعقوبة من لا يثمر ، فيقول:

" **كل شجرة لا تصنع ثمراً، تقطع وتلقى فى النار** " .

هذا قاله السيد المسيح فى العظة على الجبل (مت٧: ١٩) . ونفس الكلام قاله أيضاً يوحنا المعمدان : " والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة . فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً، تُقطع وتلقى فى النار " (مت٣: ١٠) .

وقد لعن الرب شجرة التين التى ليس فيها ثمر (مت٢١: ١٩) .

الثمر الجيد

شدد الرب على أهمية الثمر الجيد ، " اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيداً " " لأن من الثمر تعرف الشجرة " (مت ١٢: ٣٣) . وقال :

" **من ثمارهم تعرفوهم** " (مت٧: ٢٠) .

" كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة . وأما الشجرة الرديئة فتصنع أثماراً رديئة. لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً رديئة، ولا شجرة رديئة أن تصنع أثماراً جيدة " (مت٧: ١٧، ١٨) ... "لأنهم لا يجتنون من الشوك تيناً ، ولا يقطفون من العليق عنباً " (لو٦: ٤٣، ٤٤) .

* * *

إذن يا أخى ، أنظر ما هو نوع ثمرك ؟ وما مقداره ؟

قال الرب عن الأرض الجيدة إنها " أعطت ثمراً : بعض مئة ، وآخر ستين، وآخر ثلاثين " (مت١٣: ٨) . من تواضع الرب أنه ذكر الثمر الذى أعطى ثلاثين .. ! طوبه لأنه ثمر ، ولو أنه قليل.. إذن لابد أن تعطى ثمراً ولو قليلاً .. وماذا يصنع الرب إن وجدك تعطى ثمراً ولو كان قليلاً ؟! يقول إنه :

" **ينقيه ليأتى بثمر أكثر** " (يو ١٥: ٢) .

إذن لابد أن تكون أرضك جيدة ، وتعطى ثمراً. وماذا أيضاً ؟ يقول الرب " أنا أخترتكم وأقمتكم ، لتذهبوا وتأتوا بثمر، ويدوم ثمركم " (يو١٥: ١٦) . ومع دوام هذا الثمر ، ينقيه الرب ليأتى بثمر أكثر ..

* * *

إذن ينبغى أن يكون لك ثمر دائم ، غير منقطع .

وما أبشع الصورة التى رسمها القديس يهوذا غير الإسخريوطى إذ قال " أشجار خريفية، بلا ثمر ميتة " (يه ١٢) . فاعتبر أن الشجرة التى بلا ثمر هى شجرة ميتة .. ولقبها بشجرة خريفية ، أى من النوع الذى يتساقط ورقه فى الخريف .

* * *

ولذلك حسناً قيل عن الشجرة الجيدة فى المزمور الأول :

" **تعطى ثمرها فى حينه ، وورقها لا ينتثر** " (مز١: ٣) .

" فى حينه " أى لا يتأخر فى إعطاء الثمر ، أو فى حينه، بمعنى أن يعطى الثمر فى وقته المناسب .. ولماذا وصف الشجرة بهذا الوصف الجميل؟ يقول : لأنها " مغروسة على مجارى المياه " ... وهنا نتحدث عن عوامل الإثمار :

عوامل الإثمار

١ - **لكى تعطى الشجرة ثمراً ، لابد أن تكون الأرض جيدة .**

وهذا ما قاله الرب فى مثل الزارع ، فقال عن البذار " وسقط البعض على أرض جيدة، فأعطى ثمراً .. " (مت١٣: ٨). فلا تكون الأرض محجرة، على الطريق ، ولا مملوءة بالأشواك، ولا ضحلة بغير عمق، كما ورد فى المثل ...

فالكلام الذى قاله الرب للشاب الغنى ، لم يقع على أرض جيدة، وإنما على نفسية مُحبة للمال، لذلك سمع الشاب الكلام " ومضى حزيناً " (مت١٩: ٢٢) ... بينما نفس العبارة سمعها فى الكنيسة شاب آخر غنى ، ولكن أرضه جيدة ، فمضى وباع كل أملاكه ووزع على الفقراء. وصار له ثمر كثير .. عشرات الآلاف من الرهبان، ومن النساك، تبعوا طريقه ، وسلكوا مثله، لأن بذره كان يصنع ثمراً كجنسه (تك١: ١١) .

* * *

الأرض الطيبة تعنى أن الإنسان يميل إلى الخير بطبيعته ، يقبل كلمة الرب بفرح وباستعداد للعمل ، ويعطى ثمراً . أما الأرض المحجرة، فتمثل القلب القاسى الذى لا يتأثر بسرعة ، وربما لا يتأثر إطلاقاً ، مهما سمع من عظات ، ومهما قرأ من كلام روحى. لذلك يقول الرسول عن نداء الله فى القلب " إن سمعتم صوته، فلا تقسوا قلوبكم" (عب٣: ٧، ٨) .

* * *

الأرض الطيبة تكون من الداخل غير محجرة. ومن الخارج لا تحيط بها الأشواك وتخنق زرعها .

سليمان الحكيم كان أرضاً طيبة . ومع ذلك أحاطت به الأشواك، أعنى زوجاته الأجنبيات غير المؤمنات " اللائى أملن قلبه وراء آلهة أخرى"، فلم يعد قلبه كاملاً أمام الرب واخطأ كثيراً، وأقام مرتفعات لآلهة الأمم " (امل١١: ٤- ٨) .

وشمشون فى أول حياته " ابتدأ روح الرب يحركه" (قض١٣: ٢٥). وحل عليه روح الرب (قض١٤: ٦) . ثم أحاطت الأشواك بهذه الأرض الجيدة، أعنى صاحبته دليلة، حتى فقد نذره، وقص شعره، وقلعوا عينيه، وصار يطحن فى بيت السجن (قض١٦: ٢١) وقيل وقتذاك " إن الرب قد فارقه " (قض ١٨: ٢٠) .

* * *

٢ - ومن عوامل الإثمار أن يتمتع الشجر بالغذاء والرى .

ومن أمثلة هذا الغذاء ، ما قيل عن الشجرة التى لم تصنع ثمراً ثلاث سنوات " أتركها هذه السنة أيضاً ، حتى أنقب حولها وأضع زبلاً، فإن صنعت ثمراً، وإلا ففيما بعد تقطعها" (لو١٣: ٨، ٩) . والزبل هو من أجود أنواع السماد البلدى .. إن كل إنسان يحتاج إلى غذاء روحى لكى يثمر ...

* * *

والأغذية الروحية اللازمة للإثمار كثيرة ومنها :

قراءة الكتاب المقدس والكتب الروحية ، كلمة الله التى يحيا بها الإنسان (مت٤: ٤) . كذلك التأملات الروحية ، والتداريب الروحية، والصلاة، والتناول من سر الإفخارستيا المقدس ... لقد قيل عن الشجرة التى لا تعطى ثمرها فى حينه " إنها مغروسة على

مجارى المياه " . والماء يمثل عمل ا لروح القدس فى القلب (يو٧: ٣٨) . إنه الماء الحى الذى يروى النفس .

* * *

إذن لكى تثمر لابد من عمل الله فيك .

لابد من ثباتك فى الله ، كما يثبت الغصن فى الكرمة . ولهذا قال السيد الرب " كما أن الغصن لا يقدر أن يأتى بثمر من ذاته، إن لم يثبت فى الكرمة ، كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فىّ " " الذى يثبت فىّ، وأنا فيه ، هذا يأتى بثمر كثير .. إن كان أحد لا يثبت فىّ، يطرح خارجاً كالغصن، فيجف ويجمعونه ويطرحونه فى النار، فيحترق" (يو١٥: ٤- ٦).

تثبت فى الله معناها أن تثبت فى محبته (لو١٥: ٩) ، ومعناها أيضاً أن تشترك مع روحه فى العمل ، فتدخل فى شركة الروح القدس (٢كو١٣: ١٤) .

* * *

فهل حياتك الروحية مغروسة على مجارى المياه ؟

وهل باستمرار تمتص من الله الماء الحى (أر٢) ؟

هل تأخذ من الماء الحى الذى وعد به المرأة السامرية ؟ (يو٤: ١٠، ١١) هذا الماء الذى " ينبع إلى حياة أبدية " .. وهل أنت مستمر على غذائك الروحى ، لا ينقطع عنك، بل تنمو به نفسك .. وماذا أيضاً :

* * *

٣ - لكى تعطى الشجرة ثمراً ، لابد أن تمنع عنها الآفات .

سواء الآفات البشرية أو الأعشاب المتطفلة المؤذية ، أو الأمراض الزراعية. وهكذا تتنقى الأرض ويتنقى الشجر ، فيثمر ولا يتلف ثمره ...

افحص نفسك ، ما هى الآفات التى تعطل ثمرك الروحى ؟ وهل أنت تلاحظ نفسك، وتحرص أن تتنقى باستمرار من هذه الآفات : سواء كانت أخطاء روحية أو نفسية أو فكرية ، أو عادات مسيطرة عليك، أو صداقات تجرك إلى أسفل .. وتذكر قول الشاعر:

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

* * *

ما فائدة أن تعطى أرضك الطيبة غذاءها الروحى ، ثم يأتى الطير فيلتقط ثمرها ، أو تحل عليه لطع تفسد الثمر ، أو تدخل الديدان فتأكله أو تتعرض لقول الكتاب " إن

المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة " (١كو١٥: ٣٣) .

فهل تتعرض إلى عثرات تفسد كل تأثيراتك الروحية ؟

★ ★ ★

★ لابد أن تموت نفسك عن كل أمور العالم . وكما يقول الكتاب عن حبة الحنطة إنها " إن ماتت تأتى بثمر كثير " (يو١٢: ٢٤) .

ثمار متعددة

هناك أنواع كثيرة من الثمر فى حياة الإنسان : بعضها نافع له والبعض غير نافع ...

هناك ثمر عقلانى ، مجرد فكر يعمل ، وله إنتاج فكرى، ولا علاقة له بالروح، وليس له ثمر فى حياة الإنسان الروحية .

وهناك ثمر إجتماعى : إنسان دائب العمل داخل المجتمع ومشاكله. وقد يكون لهذا النشاط الإجتماعى ثمر فى حياته، وقد لا يكون .

★ ★ ★

وهناك ثمر روحى ، وهو خاص بروحك ، أو بعلاقتك بالله، أو بعلاقتك بالناس :

فالخاص بعلاقتك بالله هو المحبة والإيمان .

والثمر الخاص بك هو الفرح والسلام والصلاح .

والثمر الخاص بعلاقتك بالناس هو الوداعة والتعفف واللطف ، وطول الأناة ، والمحبة أيضاً . كل هذه ثمار روحية (غل٥: ٢٢، ٢٣) . إذا ظهرت فى حياتك يعرفك الناس بها..

★ ★ ★

وهذه الثمار يسمونها أحياناً ثمر البر .

وعن هذه يقول الرسول " لكى تكونوا مخلصين وبلا عثرة إلى يوم المسيح، مملوئين من ثمر البر الذى بيسوع المسيح لمجد الله" (فى١: ١٠، ١١) . ويقول الكتاب " وثمر الروح يُزرع فى السلام" (يع٣: ١٨) ...

★ ★ ★

ومن ثمر البر ، ثمار التوبة ، كما قال المعمدان :

" **اصنعوا ثماراً تليق بالتوبة** " (مت٣: ٨) .

وثمر التوبة يظهر فى إنسحاق القلب وفى الدموع، كما قيل فى المزمور الخمسين

"القلب المنسحق والمتواضع لا يرذله الله " . وكما قيل أيضاً " الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالإبتهاج " (مز١٢٥) . ومن ثمار التوبة الحرارة الروحية ، والعمل على إصلاح الأخطاء الماضية، والشفقة على المخطئين وعدم إدانتهم (عب١٣: ٣) . وبهذه الثمار وأمثالها، لا يعود التائب يرجع إلى الوراء .

* * *

ومن الثمار الروحية أيضاً ما قال عنه القديس بولس الرسول إن الرب " لم يترك نفسه بلا شاهد. وهو يفعل خيراً. يعطينا من السماء أمطاراً، وأزمنة مثمرة ، ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً" (أع١٤: ١٧) . إذن الأزمنة القاحلة هى الخالية من كل خير . أما المثمرة فهى المملوءة بالعمل الصالح ... البعيدة عن " أعمال الظلمة غير المثمرة " (أف٥: ١١) .

* * *

ومن الثمار الروحية ثمر الخدمة فى كسب النفوس إلى الرب .

أتراك يا أخى لك ثمر فى خدمتك ، وثمر كثير يفرح به الرب، كما يقول الرسول "من رد خاطئاً عن طريق ضلاله ، يخلص نفساً من الموت ، ويستر كثرة من الخطايا " (يع٥: ٢٠) . اعلم إذن أن كل نفس تخلصها ، تكون ثمرة فى شجرة حياتك تقدمها حلوة إلى الله...

وهى ثمرة لمجد الله ، كما قال الرب " بهذا يتمجد أبى أن تأتوا بثمر كثير، فتكونون تلاميذى " (يو١٥: ٨) . بل حتى حياتنا الروحية وأعمالنا الصالحة، يكون ثمرها تمجيد الله أيضاً ، كما قال الرب أيضاً " لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات " (مت٥: ١٦) .

* * *

إن الكلمة الطيبة ، كلمة المنفعة أو كلمة التسبيح ، يسميها الكتاب ثمر الشفاه .

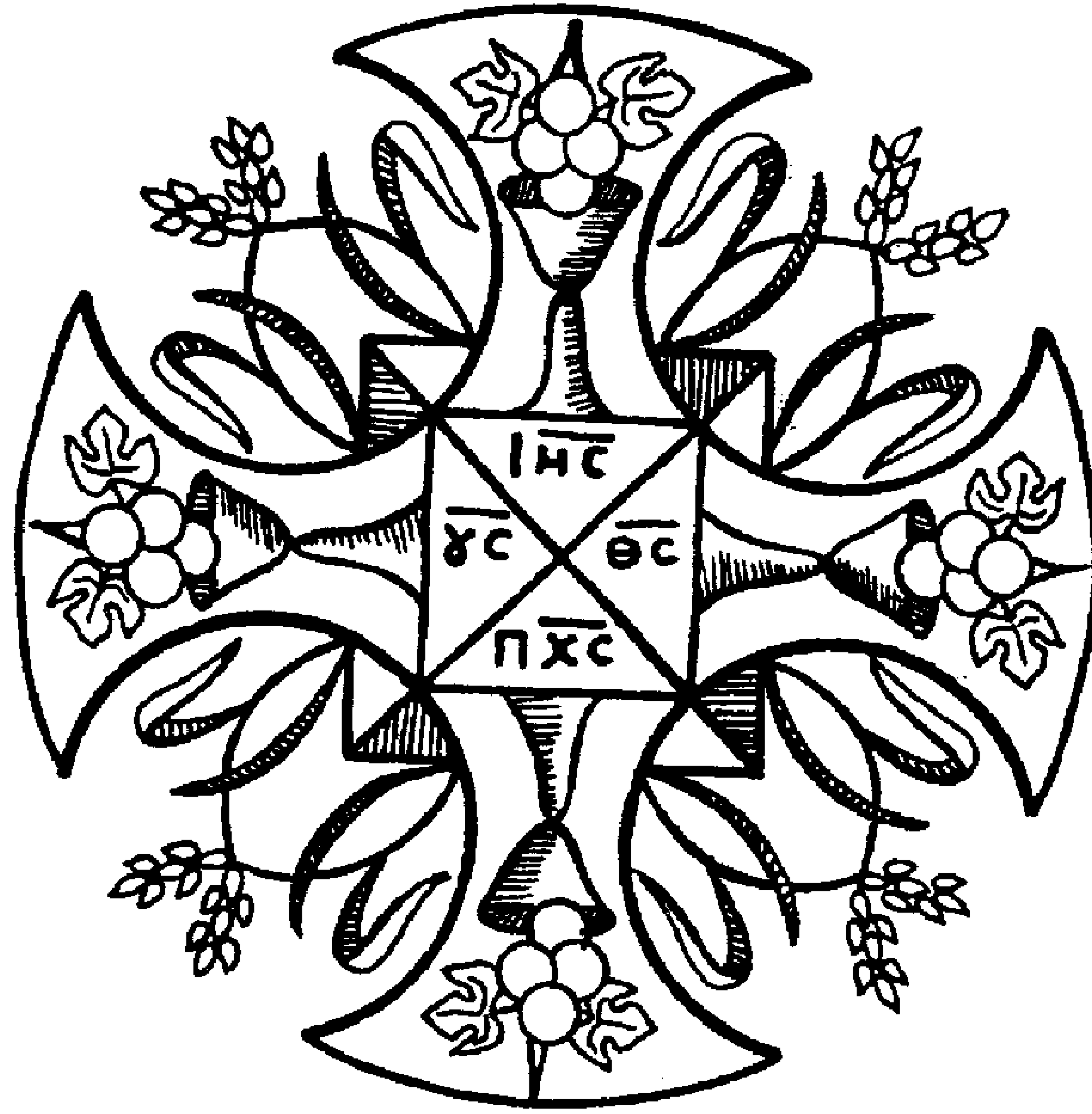
فيقول " فلنقدم به فى كل حين لله ذبيحة التسبيح ، أى ثمر شفاه معترفة باسمه " (عب١٣: ١٥) . فما هى الثمار التى تقدمها شفتاك للرب . كما يقول الكتاب " الصديق ينبوع حياة " (أم١٠: ١١) " فم الصديق ينبت الحكمة " (أم ١٠: ٣١) .

ومن أمثلة الثمار فى الخدمة ، أرسل القديس بولس الرسول إلى أهل رومية يقول لهم "قصدت مراراً كثيرة أن آتى إليكم .. ليكون لى ثمر فيكم أيضاً كما فى سائر الأمم " (رو١: ١٣) .

أخيراً يا إخوتى ، إن الثمر بركة من الرب .

كما قال الرب لمن يطيع وصاياه " مباركة تكون ثمرة أرضك، وثمرة بطنك، وثمرة بهائمك : نتاج بقرك وإناث غنمك" (تث٢٨: ٤). ويقول فى المزمور "إمرأتك مثل كرمة مثمرة فى جوانب بيتك " (مز١٢٨: ٣) .

حقاً إنها بركة من الرب ، ولكنها بسبب رضاه . ورضا الله بسبب حياة الإنسان الصالحة المقبولة أمامه . فلنسلك إذن حسناً قدامه ، لكيما يعطينا ثمراً فى حياتنا الروحية، وثمراً فى خدمتنا .. يعطينا ثمر الروح القدس العامل فى أرواحنا البشرية، هذا الذى شرحه القديس بولس الرسول فى (غل٥: ٢٢، ٢٣) .



أكاليل لمكافأة حياة الفضيلة والبرّ

حياة الفضيلة والبر ، هى حياة جهاد مع النفس ، وجهاد ضد المادة والعالم والشيطان .

والغالبون أو المنتصرون يكللون فى الأبدية بأكاليل ..

والسيد المسيح فى رسائله إلى الكنائس السبع التى فى آسيا ، يقول لملاك كنيسة فيلادلفيا " تمسك بما عندك ، لئلا يأخذ أحد إكليلك " (رؤ٣: ١١) . ونود اليوم أن نتحدث عن هذه الأكاليل .. لكيما تسأل نفسك أى إكليل ستحصل عليه ، أو أية أكاليل ...

أكليل البر :

يقول القديس بولس الرسول " جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعى ، حفظت الإيمان، وأخيراً وضع لى إكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الديان العادل . وليس لى فقط ، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً " (٢تى٤: ٨) .

* * *

فما هو إكليل البر هذا ؟ ما معنى أن نتكلل بالبر ؟

معناه أننا نحيا فى البر الدائم . لا نعود نخطئ . تتكلل طبيعتنا البشرية بالبر ، فتنتهى علاقتها تماماً بالخطية . ونصير كالملائكة الذين جازوا فترة الإختبار وانتصروا ، فتكللت طبيعتهم بالبر ، وما عادت تخطئ ، بعكس الشياطين الذين سقطوا ومازالوا يخطئون .

* * *

الأبرار فى الأبدية ، ليسوا فقط لا يقعون فى خطية ، إنما حتى مجرد معرفة الخطية تزول من ذاكرتهم تماماً .

كان آدم فى الفردوس باراً . وكان بسيطاً طاهراً لا يعرف شراً ، وكذلك حواء ولكنهما لما أكلا من شجرة معرفة الخير والشر ، تعكر صفو الطبيعة البشرية ، وبدأت تعرف الشر ، ثم تطورت إلى أن صارت تشتهى الشر ، ودخلت محبة الخطية إلى النفس البشرية. فهل ستظل الخطية قائمة أو سائدة إلى الأبد ؟ طبعاً لا .

الأبرار فى الأبدية ، ستنتهى علاقتهم بالخطية . سوف لا يعرفون سوى الخير فقط ، وتنتهى الخطية من معرفتهم ومن ذاكرتهم ومن عقولهم .

يعود المنتصرون إلى البساطة الأولى التى كانت للبشرية حينما كانت على صورة الله ومثاله ، قبل الخطية . بل يصيرون فى بساطة ونقاوة أسمى من حالة آدم وحواء .. أبوانا الأولان كانا فى حالة بساطة كاملة ونقاوة كاملة . ولكن معها حرية قابلة للسقوط ...

★ ★ ★

أما حرية الأبرار فى الأبدية، **فهى حرية غير قابلة للسقوط.. إنها "حرية مجد أولاد الله "** (رو٨: ٢١) . **لأن الخليقة " ستعتق من الفساد " ، وتتكلل بالبر .**

هذا العتق من الفساد ، يشمل القلب والفكر والإرادة ، يشمل الحياة كلها .. وبالبر نحيا فى المتعة بالله باستمرار . هنا إكليل آخر وهو :

إكليل الحياة :

إنه الذى وعد به السيد المسيح ملاك كنيسة سميرنا ، حينما قال له " كن أميناً إلى الموت، فسأعطيك إكليل الحياة " (رؤ٢: ١٠) .

إكليل الحياة يعنى أن يحيا الإنسان إلى الأبد ، ويحيا فى الرب . ففى الأبدية تنتهى الخطية ، وينتهى أيضاً الموت .

وكما قال الرسول فى الإصحاح الخاص بالقيامة " آخر عدو يبطل هو الموت " (١كو١٥: ٢٦) . وهذا طبيعى ، لأنه مادامت " أجرة الخطية هى موت " (رو٦: ٢٣) . فحينما تبطل الخطية فى الأبدية ، يبطل معها الموت .

★ ★ ★

ولا يعنى (إكليل الحياة) مجرد الخلود ، أو الحياة الدائمة ، التى يشتهيها الكل ولا يعنى فقط مجرد إنتهاء الموت ، الذى يخافه كل إنسان مهما علا قدره فى العالم .

إنما إكليل الحياة ، يعنى أيضاً الحياة فى الله ، ومعه .

لأن " فيه كانت الحياة " (يو١: ٤) ، وهو الذى قال " أنا هو القيامة والحياة . من آمن بى ولو مات فسيحيا " (يو١١: ٢٥) . حقاً ما أجمل قول الرسول " لى الحياة هى المسيح " (فى١: ٢١) " المسيح يحيا فىّ " (غل٢: ٢٠) .

★ ★ ★

حقاً ، إن الحياة فى الأبدية ، حياة غير عادية . إنها إكليل .

كيف تكون هذه الحياة ؟ هذا سر لم يعلن لنا بعد . إنها " ما لم تره عين ، ولم تسمع به أذن ، ولم يخطر على بال إنسان ، ما أعده الله للذين يحبونه " (١كو٢: ٩) .

إنها حياة للذين تعبوا هنا واحتملوا . يقول فى ذلك معلمنا يعقوب الرسول " طوبى للرجل الذى يحتمل التجربة . لأنه إن تزكى ينال إكليل الحياة الذى وعد به الرب الذين يحبونه " (يع٢: ١٢) .

* * *

إذن إكليل الحياة ، هو للذين يحبون الرب .

الذين كانوا من اجل محبته يسلمون دائماً للموت ، والموت يعمل فيهم (٢كو٤: ١١، ١٢) . ولكنهم بالموت ههنا من أجله ، يحيون معه إلى الأبد .. ولن تمح أسماؤهم من سفر الحياة (رؤ٣: ٥) . بل يأكلون من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله (رؤ٢: ٧) ننتقل إلى الكلام عن إكليل آخر وهو :

إكليل المجد :

فى الواقع إن الله حينما خلق الإنسان ، إنما خلقه للمجد ، فجعله على صورته ، وجعل له سلطاناً على الطبيعة (تك١: ٢٦) . وعن هذا قال المزمور "بالمجد والكرامة كللته ، وعلى أعمال يديك أقمته ، أخضعت كل شئ تحت قدميه " (عب٢: ٧، ٨) ، (مز٨: ٥). فكانت لآدم خشية على كل الكائنات ، وهكذا كان نوح أيضاً فى الفلك ...

الإنسان فقد كرامته بالخطية . ولكن الله فى الأبدية ، سيرده إلى رتبته الأولى ، يعيد إليه الصورة الإلهية ، ويكلله بالمجد .

* * *

قد يعترض البعض ويقول " المجد لله وحده " . ونحن نقول فى صلواتنا " لأن لك المجد والقوة .. " فنجيب : إن مجد الله شئ آخر ، مجد غير محدود ، ولا ينطق به . ومع أن الله له المجد ، إلا أنه من محبته للإنسان ، منحه أيضاً مجداً : " الذين سبق فعرفهم، سبق فعينهم . وهؤلاء دعاهم أيضاً ، وبررهم ، ومجدهم أيضاً " (رو٨: ٣٠) . بل ما أروع وأجمل قول السيد المسيح لله الآب :

" وأنا أعطيهم المجد الذى أعطيتنى " (يو١٧: ٢٢) .

نعم ، إن كنا نتألم معه ، فلكى نتمجد أيضاً معه " (رو٨: ١٧) . وفى ذلك يقول الرسول أيضاً " إن آلام الزمان الحاضر ، لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا " (رو٨: ١٨) " لأن خفة ضيقتنا الأرضية ، تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً " (٢كو٤: ١٧) .

كان عربون هذا المجد على جبل التجلى (مر٩: ٣ - ٥) .

وهناك أيضاً مجد القيامة ومجد الأبدية .

فعن القيامة يقول الرسول " نزرع فى هوان ، ونقام فى مجد " . ويشرح ذلك بأن الجسد سيقام جسداً روحياً ، وجسداً سماوياً (١كو١٥: ٤٣ - ٥٠) " على صورة جسد مجده " (فى٣: ٢١) . ويقول القديس بطرس الرسول للرعاة " ومتى ظهر رئيس الرعاة ، تنالون إكليل المجد الذى لا يبلى " (١بط٥: ٤) . ويقول الكتاب أيضاً " الفاهمون يضيئون كضياء الجلد. والذين ردوا كثيرين إلى البر، كالكواكب إلى أبد الدهور" (دا١٢: ٣). ويشبه الأبرار فى السماء بالنجوم ويقول " لأن نجماً يمتاز عن نجم فى المجد " (١كو١٥: ٤١) .

* * *

ومن المجد الذى يهبه الله لمحبيه ، أنهم يجلسون على عروش معه فى مجده !

قال لرسله القديسين " متى جلس إبن الإنسان على كرسى مجده ، تجلسون أنتم أيضاً على إثنى عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر " (مت١٩: ٢٨) . والقديس يوحنا فى رؤياه ، رأى عرش الله " وحول العرش أربعة وعشرون عرشاً ، ورأى عليها أربعة وعشرين قسيساً جالسين متسربلين بثياب بيض ، وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب " (رؤ ٤: ٤) . أى أكاليل مجد هذه ؟! ولكن لئلا يظن البعض أن هذا المجد هو للرسل فقط ومن فى مستواهم ، هوذا الرب يقول :

" من يغلب ، فسأعطيه أن يجلس معى فى عرشى ، كما غلبت أنا وجلست مع أبى فى عرشه " (رؤ٣: ٢١) .

* * *

وهذا المجد أيضاً سيكون فى المجئ الثانى ، حينما يأتى الرب " على سحاب السماء بقوة ومجد كثير " (مت٢٤: ٣٠) . " وجميع الملائكة القديسين معه " (مت٢٥: ٣١) . وليس مع هؤلاء فقط ، بل سيأتى " فى ربوات قديسيه " (يه١٤) . والقديسون سيلبسون

ثياباً بيضاً (رؤ٣: ٩) . رمزاً لبرهم ...

حقاً عن مجد الأبدية قال المرتل " وبعد إلى مجد تأخذنى " (مز٧٣: ٢٤) . وماذا غير إكليل المجد ؟ .

إكليل البهاء (الجمال) :

الذين لم ينالوا جمالاً على الأرض ، سينالونه فى الأبدية .

ففى الأبدية كل شئ جميل .. جمال فى الجسد الروحانى النورانى السماوى ، وجمال فى الروح أيضاً – وليس فقط فى الأبدية ، بل حتى على الأرض . يقول الرب للخاطئة أورشليم فى عمل نعمته معها " وضعت تاج جمال على رأسك . فصلحت لمملكة . وخرج لك إسم لجمالك ، لأنه كان كاملاً . ببهائى الذى جعلته عليك ، يقول السيد الرب " (حز١٦: ١٢، ١٣) .

* * *

ما أعجب أن بهاء الله ، يجعله على إنسان .

ولعل هذا يذكرنا بعبارة عجيبة قالها أشعياء النبى " فى ذلك اليوم يكون رب الجنود إكليل جمال ، وتاج بهاء ، لبقية شعبه " (أش٢٨: ٥) . ولعله يذكرنا بالثياب التى أمر الرب بصنعها لهارون رئيس الكهنة، إذ قال لموسى النبى "أصنع ثياباً مقدسة لهرون أخيك للمجد والبهاء" (خر٢٨: ٢) وكذلك لبنيه" تصنع لهم قلانس للمجد والبهاء" (خر٢: ٤٠) .

ماذا أيضاً غير إكليل المجد والبهاء ...

أكاليل أخرى :

لعل شخصاً كبولس الرسول قد تحلى بأكاليل كثيرة : منها إكليل الرسولية ، وإكليل الكهنوت ، وإكليل البتولية ، وإكليل الجهاد ، وإكليل الشهادة ، بالإضافة إلى إكليل البر .

إن القديس بولس الرسول يعتبر خدمته إكليله .

فيقول لشعبه فى فيلبى " يا سرورى وإكليلى " (فى٤: ١) .

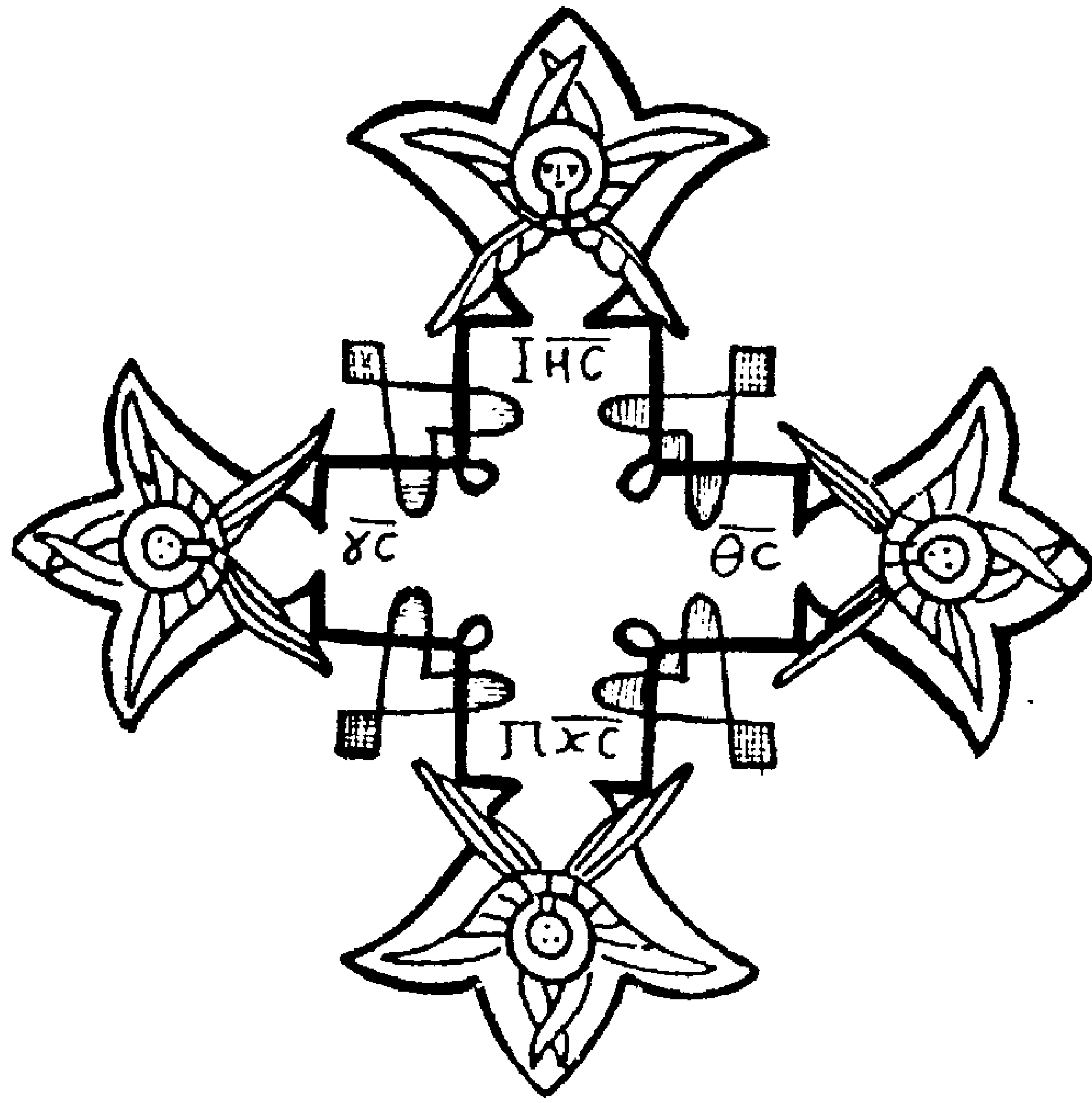
* * *

ولعل أول إكليل يناله الإنسان يكون فى المعمودية ، حينما يخرج منها فى برّ ، وقد "لبس المسيح " (غل٣: ٢٧) . وهكذا يلبس المعمدون أكاليل ذهب ، أكاليل فضة ، أكاليل حجر كريم ، وضعها الرب على المعمدين الأطهار .. "

★ ★ ★

إن أجمل إكليل قد لُبس ، هو إكليل الشوك الذى لبسه السيد المسيح له المجد (مر١٥: ١٧) .

وبهذا الإكليل فى الألم والبذل ، يمنحنا كل الأكاليل الأخرى .



فضائل
ولكنها وحدها لا تكفى

أحياناً يقول البعض : إننى أصوم وأصلى ، واعترف وأتناول، وأقرأ الكتاب المقدس والكتب الروحية ، وأخدم وأتصدق ، وأسلك فى فضائل كثيرة .. ومع ذلك فحياتى الروحية متوقفة لا تنمو .. ! فلماذا ؟

لعلها فضائل ناقصة . تنقصها صفة جوهرية .

إما ناقصة فى طبيعتها أو فى هدفها ، أو تنقصها فضائل أخرى يجب أن ترتبط بها..

وعلى هذا الأساس ، سنتناول فضائل كثيرة ونحللها ...

الصوم :

فى فترة الصوم : كثيراً ما يقول الواحد منا : صمت هذا الصوم سنوات عديدة ، كما صمت غيره من الأصوام أيضاً . ومع ذلك فحياتى كما هى ! لماذا إذن لم استفد من صومى ؟

إن الصوم لاشك فضيلة كبيرة ، حتى أنها تساعد على إخراج الشياطين حسب قول الرب (مت١٧: ٢١) . ولكن أى صوم تصوم أنت ؟

* * *

ربما تظن أن الصوم هو صوم الجسد . وربما تظن أن الصوم هو الإمتناع عن الأكل!

ولكن الإمتناع عن الطعام وحده لا يكفى . إن الزهد فى الطعام هو الأهم .

الزهد هو الذى يدل على إرتفاع القلب فوق مستوى المادة ، وفوق مستوى الأكل ، وهذا هو الأهم ، وهو المفيد لك روحياً ... لأنك بهذا تدخل فى روحانية الصوم .

وصوم الجسد وحده لا يكفى ، لابد أن يصحب الصوم بصوم النفس .

لابد أن تصوّم فكرك عن الأخطاء ، وتصوّم قلبك عن المشاعر والعواطف الردية ، وكذلك تصوّم لسانك عن الكلام الباطل .

* * *

ومع ذلك فكل هذه الفضائل فى الصوم لا تكفى . إنها تمثل فقط العنصر السلبى من الصوم ، وهو البعد عن أخطاء الفكر واللسان والقلب وشهوات النفس .

صوم الجسد والنفس لا يكفى . لابد أن يضاف إليه غذاء الروح .

ولذلك نقول فى صلوات القداس الإلهى " الصوم والصلاة هما اللذان يخرجان الشياطين" ، وليس الصوم وحده . إننا نصوم لكى نخرج من نطاق الجسد والمادة ، وندخل فى نطاق الروح ... فيجب أن نعطى الروح فرصتها أثناء الصوم . ويجب أن نعرف حقيقة هامة وهى :

الصوم ليس فضيلة للجسد ، إنما هو فضيلة للروح .

* * *

ننتقل بعد هذا إلى مثال آخر ، وهو :

الصلاة فضيلة من أهم الفضائل ، حتى أن كثيراً من القديسين تفرغوا لها .. ولكن ما هى الصلاة فى مفهومك ؟ أتراها مجرد الكلام مع الله ؟!

إن الكلام مع الله وحده لا يكفى .

فهناك خصائص روحية ، إن لم ترتبط بالصلاة ، فالصلاة وحدها لا تكفى ! ينبغى أن يضاف إلى الصلاة عنصر الحب ، كما قال داود النبى " محبوب هو إسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتى " (مز١١٩) " باسمك ارفع يدى ، فتشبع نفسى كما من شحم ودسم " .. والصلاة بغير حب ليست صلاة ، وهى غير مقبولة من الله الذى قال " هذا الشعب يكرمنى بشفتيه ، أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً " (مر٧: ٦) .

* * *

يجب أن تضاف مشاعر كثيرة للصلاة ، لأنها وحدها لا تكفى .

الحب ، والخشوع ، والفهم ، والحرارة ، والإيمان .. وكذلك أيضاً نقاوة القلب ، لأن "صلاة الأشرار مكرهة للرب " كما يقول الكتاب . وقد قال الرب لبنى إسرائيل أيام أشعياء النبى " حين تبسطون أيديكم ، أستر وجهى عنكم . وإن أكثرتم الصلاة ، لا أسمع . أيديكم ملآنة دماً " (أش١: ١٥) .

* * *

إذن الصلاة وحدها لا تكفى ، بدون نقاوة القلب .

ولا يقل إنسان " أنا أصلى " ، ويظن أن الصلاة مجرد ألفاظ !

الإعتراف :

الإعتراف بالخطية فضيلة ، وله فوائده الكثيرة ، روحياً وعقائدياً .. ومع ذلك الإعتراف وحده لا يكفى ، إذ ليس هو مجرد سرد للخطايا فى سمع الأب الكاهن وفى كلمات الصلاة ...

ينبغى أن يضاف إلى الإعتراف عنصر الندم والخزى .

مثلما فعل العشار الذى وقف من بعيد ، لا يجسر أن يرفع عينيه نحو السماء وقرع صدره قائلاً : ارحمنى يارب فإنى خاطئ (لو١٨: ١٣) . لذلك خرج مبرراً . إن بطرس الرسول بعد خطيته بكى بكاءً مراً (مت٢٦: ٧٥) . وداود النبى بلل فراشه بدموعه (مز٦). وأنت هل تعترف بعين جافة، وبلا ندم . انظر إلى دانيال النبى وهو يقول " لك يا سيد البر . أما لنا فخزى الوجوه .. لنا خزى الوجوه .. لأننا أخطأنا إليك " (دا٩: ٧، ٨).

* * *

كذلك الإعتراف وحده لا يكفى ، إن كان بلا توبة .

لذلك سر الإعتراف فى الكنيسة يسمى سر التوبة .

يمارسه الإنسان بروح التوبة ، بعزيمة صادقة أنه لا يعود إلى الخطية مرة أخرى ، باذلاً كل جهده فى ضبط نفسه وفى البعد عن كل أسباب الخطية وعثراتها .

* * *

وفى إعترافه يحاول أن يصلح نتائج خطيته .

مثلما قال زكا العشار فى اعترافه وتوبته : إن كنت ظلمت أحد فى شئ ، أرد أربعة أضعاف " (لو١٩: ٨) . وهكذا لا يقتصر الإعتراف على الماضى ، وإنما يتدرج للعمل بكل جهد من أجل المستقبل .

* * *

والإعتراف مفيد إن كان مصحوباً أيضاً بالإتضاع .

إنسان معترف بخطيئته ، يعامل نفسه كخاطئ ، وغير مستحق . لا يرتفع على غيره ولا يتعالى ، لأنه عارف بضعفه وبأنه أيضاً خاطئ . ولا يعود يفتخر فى المستقبل ، لأنه يذكر ماضيه . ويضع خطيئته أمامه فى كل حين (مز٥٠) . ويحتمل كل ما يأتيه ، لأنه معترف بخطيئته وشاعر بأنه يستحق كل جزاء .. مثلما حدث لداود النبى لما شتمه شمعى

بن جيرا ، وسبّه بأسلوب جارح .. فقال هذا النبى العظيم المعترف بخطيئته : " الرب قال له سبّ داود " (٢صم١٦: ١٠) .

من كل هذا يبدو أن الإعتراف وحده لا يكفى .

فرعون قال أكثر من مرة " أخطأت " ولكن بلا توبة .

قال لموسى وهرون " أخطأت إلى الرب إلهكما وإليكما . والآن اصفحا عن خطيئتى هذه المرة فقط .. " (خر١٠: ١٦) . وقال قبل ذلك " أخطأت هذه المرة . الرب هو البار ، وأنا وشعبى الأشرار " (خر٩: ٢٧) .. ولكنه كان اعترافاً بلا توبة ، وبلا رجوع إلى الحق . وظل قلبه قاسياً وهلك ...

القراءة :

القراءة فى الكتاب المقدس والكتب الروحية لها تأثيرها الكبير فى القلب . وهى فضيلة نافعة ، لأنها واسطة من وسائط النعمة .

فالقراءة وحدها لا تكفى ، بلا فهم ولا روح ولا تطبيق .

فالمفروض أن الإنسان الروحى يقرأ بعمق ، ويدخل إلى روح الكلمة ، ويحولها إلى حياة ، كما قال الرب " الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة " (يو٦: ٦٣) .

لذلك لكى تكون القراءة الروحية نافعة ، ينبغى أن ترتبط بالممارسة العملية والتداريب الروحية ، ولا تكون مجرد معلومات ، أو مادة للوعظ أو التباهى بالمعرفة ، أو لمجرد الدراسة . وإنما الإنسان يقرأ ، ويطبق على نفسه ويجعل القراءة تكشف له أخطاءه ، وتحثه على تركها ...

العطاء :

العطاء فضيلة جميلة جداً ، بسببها قال الرب لكثيرين " تعالوا يا مباركى أبى ، رثوا الملك المعد لكم .. لأنى كنت جوعاناً فأطعمتمونى ، عطشاناً فسقيتمونى ، عرياناً فكسوتمونى .. " (مت٢٥: ٣٤، ٣٥) . ومع ذلك فالعطاء وحده لا يكفى . لماذا ؟

★ ★ ★

لابد أن يمتزج العطاء بالفرح ، ولا يكون بتذمر . كقول الكتاب :

" **المعطى المسرور يحبه الرب " (٢كو٩: ٧) .**

لأن كثيرين يعطون عن إضطرار ، ويدفعون العشور بتضرر .. !

* * *

كذلك ينبغي أن يكون العطاء فى الخفاء وأن يعطى الإنسان بسخاء . ولا يقتصر فى عطائه على ما يفضل عنه ، أو يعطى فقط الأشياء المرفوضة .

* * *

وتظهر فضيلة العطاء ، إن كان الإنسان يعطى أفضل ما عنده ، أو يعطى من أعوازه.

كما أعطت الأرملة من أعوازها ، فامتدحها الرب (مر١٢: ٤٤) .

وكما قدم هابيل محرقة من أبكار غنمه ومن سمانها (تك٤: ٤) .

كذلك يشعر فى عطائه أنه سيعطى المسيح ، ويقول له فى عطائه " من يدك أعطيناك " (١أى ٢٩: ١٤) .

والعطاء بغير هذه المشاعر كلها ، يكون فيه نقص كفضيلة .

الإيمـــان :

يظن البعض أن الإيمان كل شئ ، ويقتصر على مجرد الإيمان النظرى أو الإسمى بالمسيح . ولا يفيده هذا الإيمان كثيراً ، كما قال القديس يعقوب الرسول :

" **إيمان بدون أعمال ميت " (يع ٢: ١٧، ٢٠) .**

* * *

وأيضاً قال القديس بولس الرسول " إن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ، وليست لى محبة ، فلست شيئاً " (١كو١٣: ٢) . فماذا ينتفع الإنسان إن كان له إيمان بدون ثمر؟! . إن كان إيمانه غير عامل بالمحبة؟! " (غل٥: ٦) .

* * *

لا يخلصك مجرد الإيمان بالمسيح ، إنما بالأكثر أن يحيا المسيح فيك .

وفى ذلك نترنم مع القديس بولس قائلاً " لكى أحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فىّ " (غل٢: ٢٠) .

تؤمن بالمسيح ، هذا حسن جداً ، ولكنه لا يكفى . بل ينبغى أن تتبعه ، وكما سلك ذاك، تحاول أن تسلك أنت أيضاً (١يو٢: ٦) . ويكون لك شركة معه ، وتتناول من جسده ودمه ، وتموت وتقوم معه ، وتكون لك أيضاً شركة مع الروح القدس . وتسلمه حياتك حتى يعمل هو فيك . ثم تنظر إلى كل ما عمله فيك .

أنا يارب من ذاتى لم أعمل شيئاً . وإنما كل شئ بك كان ، وبغيرك لم يكن شئ مما كان (يو١: ٣) .

العبادة :

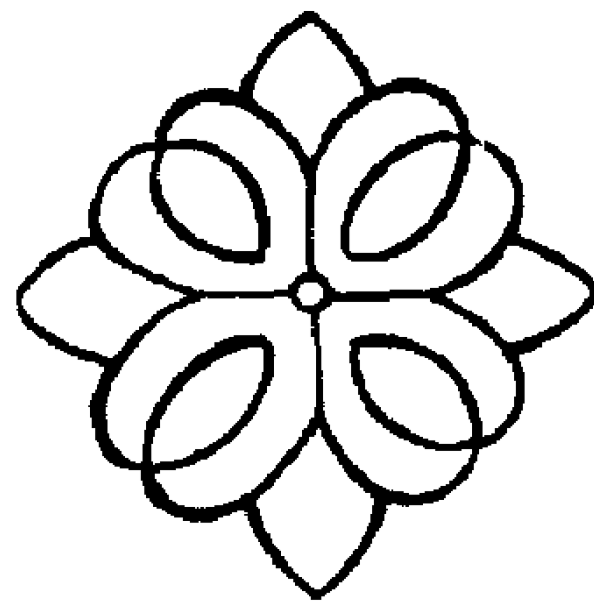
العبادة فضيلة بلا شك . ولكنها وحدها لا تكفى ، إن كانت بعيدة عن الله ، ولا تصدر عن نقاوة قلب . وقد وبخ الرب شعبه على هذه العبادة الباطلة فى أيام أشعياء النبى فقال لهم عن هذه العبادة " أبغضتها نفسى . صارت علىّ ثقلاً . مللت حملها " " لا تعودوا تأتون إلىّ بتقدمة باطلة .. لست أطيق الإثم والإعتكاف " (أش ١: ١٣، ١٤) .

كذلك العبادة لا تكفى ، إن كانت بلا روح ، بلا حكمة ، بلا إتضاع .

النشاط :

ما أكثر الذين يملأون الدنيا حيوية ونشاطاً ، ولهم الكثير من الإنجازات والأعمال فى مجالات متعددة ...

ولاشك أن هذه فضيلة ، ولكنها وحدها لا تكفى ، إن لم تكن مقرونة بالإتضاع والهدوء. لأن النشاط الذى يرتبط بالإفتخار والمجد الباطل ليس فضيلة . وكذلك النشاط الذى يحتك فيه الإنسان بالغير ويجور عليه ، ليس فضيلة ...



إن لـم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال

(مت ١٨ : ٣)

إنها وصية عجيبة وخطيرة كشرط أساسى وهام لدخول ملكوت السموات، بحيث إن لم نسلك فى الطفولة الروحية فلن ندخل الملكوت .

خطورة الوصية

هناك أمور جوهرية تمنع الملكوت .

مثال ذلك قول الرب " إن كان أحد لا يولد من الماء والروح، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله " (يو٣: ٥) . وقوله أيضاً " إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم " (يو٦: ٥٣). وقوله كذلك " إن لم تؤمنوا إنى أنا هو، تموتون فى خطاياكم " (يو٨: ٢٤) . وكذلك " إن لم تتوبوا، فجميعكم كذلك تهلكون " (لو١٣: ٣، ٥) . وهكذا جعل الرب هذه الأمور كلها لازمة للخلاص: المعمودية، والتناول ، والإيمان، والتوبة .

* * *

ونراه يضع شرط الرجوع إلى شبه الأطفال لازماً لدخول الملكوت .

بنفس عبارة " إن لم .. " التى قالها عن المعمودية والتناول والإيمان والتوبة، نراه يقول لتلاميذه القديسين " الحق أقول لكم، إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال، فلن تدخلوا ملكوت السموات" (مت١٨: ٣) .

وهذا يدل على خطورة هذه الوصية . ويجعلنا نتساءل :

* * *

ما هى الصفات التى يتصف بها الطفل ،
حتى نحاول أن نتشبه به ونصير مثله ؟

نحن نظن أننا نعلم الأطفال ، ونقف أمامهم كقدوة ، وهوذا **الرب يعكس الأمر، ويضع** الأطفال أمامنا كقدوة، حتى نتشبه بهم ، وإلا .. فإنه يقدم لنا تحذيراً خطيراً ، وهو عدم دخول الملكوت .

* * *

طبعاً لا نتشبه بالطفل فى العقل ، وإنما فى القلب والروح والنفسية . والمقصود طبعاً أن نتشبه بالطفل السوّى ، وليس الذى وُلد بميول أو طباع منحرفة ، سواء بالوراثة ، أو لأسباب أخرى .

صفات الأطفال

★ **أول صفة للأطفال هى البراءة والبساطة .**

وهكذا كان أبونا آدم قبل أن يعرف وهكذا كانت أمنا حواء . إذن كأن **الرب يقول لنا** : إن لم ترجعوا إلى البراءة والبساطة، فلن تدخلوا الملكوت ...

الطفل فى بدء حياته ، لا يشك فى شئ . يقبل الأمور فى براءة وثقة ، **إلى أن يغيره** المجتمع ، ويدخل الشك إلى قلبه ، وفى طباعه فتتعكر نقاوته . وقد يزيد الشك عنده فيصبح مرضاً ، سواء وُجد سبب للشك أم لم يوجد .

* * *

★ **الطفل يتصف أيضاً بحب المعرفة والتعليم .**

فهو يسأل ويريد أن يعرف . ولا يخجل من السؤال والإقرار بعدم المعرفة . وهو يقبل التعليم، وعن طريقه ينمو فى المعرفة يوماً بعد يوم .

أما الكبار ، **فقد يمنعهم عن التعليم** : إما كبرياء لا تريد أن تظهر أنها لا تعرف ، أو يمنعهم الخجل، أو الإكتفاء بما هم فيه من معرفة . وكلما كبر الإنسان فى سنه، قد يخجل من التعلم ، لئلا يخطئ أثناء تدربه فيخجل من خطئه . لذلك **فالطفل أقدر على تعلم اللغة** من كبير السن ، لأنه لا يخجل أن ينطق ولو نطقاً خاطئاً يصححه له معلمه ، بينما الكبير لا يفعل .

* * *

حاول إذن أن تنمو فى المعرفة ، وأقصد المعرفة النافعة لك .

ومادمت قد كبرت فى السن ، أمامك ألوان أساسية فى المعرفة غير ما يسعى إليه

الطفل . عليك أن تعرف نفسك ، وأن تعرف الله، وتعرف الحق، وتعرف الطريق السليم الذى يوصلك . وليكن لك التواضع الذى به تسأل وتطلب المعرفة ، دون أن تخجل. ودون أن ترتئى فوق ما ينبغى ، ظاناً أنك تعرف .. ودون أن تكون حكيماً فى عينى نفسك ...

* * *

★ من صفات الطفل أنه دائم النمو .

قيل عن يوحنا المعمدان فى طفولته " أما الصبى فكان ينمو ويتقوى بالروح . وكان فى البرارى إلى يوم ظهوره لإسرائيل " (لو١: ٨٠) . وقيل أيضاً عن الطفل يسوع " وأما يسوع فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس " (لو٢: ٥٢) .

من جهة القامة ، يصل الكبار إلى حد معين لا تنمو فيه قامتهم. ولكن هناك مجال آخر ينبغى أن يمارسوا فيه صفة النمو . وهو النمو فى الروح، في العقل ، فى المعرفة ، فى الحكمة، فى كل فضيلة وعمل صالح .

* * *

★ تعجبنى فى الطفل أيضاً صفة البشاشة .

هو باستمرار يحب البشاشة ، يحب المرح ، يحب أن يضحك، ويحب من يضحكه. إنه لا يحمل هموم الدنيا فوق كتفيه كما يفعل الكبار. ولا يحمل هماً ، ولا يفكر فى مشاكل الغد ومشاكل المستقبل، إنما يلقى كل ذلك - إن صادفه - على أبيه أو أمه. ويملك السلام على قلبه، حتى فى أشد الأوقات خطورة. تجد البيت كله منزعجاً، متوقعاً شراً ، ما عدا الطفل .

أريد لك يا أخى هذا السلام وهذا الفرح ، فهما من ثمار الروح (غل٥: ٢٢) .

* * *

★ من الصفات الجميلة فى الطفل أنه لا يحمل حقداً .

قد يوجد ما يغضبه أو يضايقه أو يحزنه - ولكن هذا كله يأخذ وقته وينتهى فى وقته ، دون أن يخزنه فى قلبه أو فى مشاعره. وما أسرع أن يتصافى ويلعب مع طفل آخر كان يتعارك معه منذ لحظات .

الذين يخزنون الإساءة هم الكبار ، فى ذاكرتهم التى كثيراً ما تنسى الخير ، ولكن لا تنسى الإساءة . ويتحول الغضب عندهم إلى حقد وإلى عداوة، وربما رغبة فى الإنتقام. وهؤلاء يقول لهم الرب " إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال .. " .

إن الطفل سريع التصالح . وقد يضربه أبوه أو أمه. وبسرعة يأتى فيرتمى فى حضنهما. وفى العطف والحنان الذى يأخذه، ينسى كل ما حدث .

* * *

★ **ليتنا نكون أيضاً مثل الطفل فى حبه الكبير .**

الحب الذى يتسع لكثيرين . والذى فيه يتصادق بسرعة مع كثيرين، ويزيد عدد معارفه وأحبائه . ويجعل الآخرين يحبونه، دون أن يعرف تحزباً . وقد يتشاجر الأب والأم معاً . بينما الطفل يحب الإثنين معاً بل قد يعمل على مصالحتهما ...

* * *

★ **والطفل عنده الإيمان والثقة .**

بعض الطوائف لا تعمد الأطفال ، وتنتظر إلى أن يؤمنوا أولاً. ولكننى أقول ليتنا جميعاً نكون مثل الأطفال فى عمق إيمانهم . الأطفال الذين يقبلون كل حقائق الإيمان دون أدنى شك أو سؤال .

إن الطفل يولد مؤمناً ، تقول له نصلى ، يصلى . ترفع يدك إلى السماء وتقول يارب، يفعل مثلك . يؤمن أن الله قادر على كل شئ، ولا يشك فى ذلك. بل يؤمن أن أباه الجسدى يقدر أن يعطيه كل شئ، وأن يحميه من كل خطر ولا شك ... إيمان الطفل إيمان عجيب، لا يفسده إلا الكبار ، حينما يدخلون إلى ذهنه أموراً تؤذيه .

★ ★ ★

★ **الطفل أيضاً يتميز بالصدق ، ولا يجامل على حساب الحق .**

وهو لا يعرف الرياء. فإن كان يحبك يقول لك إنه يحبك. ويكون ذلك من قلبه، وهو صادق فيما يقول . وإن كان يخافك أو قد آذيته قبلاً ، لا يمكن أن يجاملك كذباً ويقول لك إنه يحبك. بل يقول لك رأيه فيك بصراحة . إنه لا يعرف النفاق . هو صادق فى التعبير عن مشاعره .

★ ★ ★

محبة الأطفال محبة حارة أكثر من محبة الكبار .

وهى محبة بريئة وطاهرة . إنه يرتمى فى حضن من يحبه بكل عواطفه .

وقد يبكى من كل قلبه ، لأن أباه قد غاب عنه، أو أمه قد غابت عنه . ولا يستريح إلا إذا وجد من يحبه . ليتنا نحب مثلما الأطفال يحبون .

★ **والطفل يشتهى المثل العليا .**

إنه يستطيع أن يميز بفطرته . لذلك فهو يحب الخير بطبيعته . وله ضمير لم يفسده المجتمع يميز به بين من يحبه ومن لا يحبه ، وبين الإنسان الخير الذى يتصف بالروح الطيبة وغير ذلك. وهو يستطيع أن يحكم عليك من مجرد النظر إلى ملامحك . يعرف داخلك من نظرة عينيك، ومن تقاطيع وجهك ، ومن نبرة صوتك . وهو حسّاس جداً ، وحسه سليم . إنه لا يقبل أن يرى أباه غاضباً أو ثائراً، مقطب الملامح أو الجبين ، أو محتد الصوت. كل هذا ضد مثله العليا .

* * *

★ **ومن الأشياء الجميلة فى الطفل أن فضائله طبيعية تلقائية .**

بلا تصنع ، بلا تمثيل ، بلا جهاد فى الوصول إلى الفضائل ، فهى فيه بالفطرة .. لا يحاول أن يظهر فى زى فضيلة ليست فيه. لا يجاهد ليحصل على البساطة ، فهو بسيط بطبيعته. وهكذا باقى الفضائل .

★ ★ ★

★ **الطفل ليس عنده غرور .**

حتى عندما تمدحه . يرضى لكى يشعر بأنه تصرف حسناً ، دون أن يتكبر . الغرور رذيلة تتعب الكبار ...

المسيح والأطفال

كان السيد المسيح يحب الأطفال . وكان يحتضنهم ويباركهم (مر١٠: ١٦) . وكان يحذر الناس من أن يسببوا لهم عثرة . وهكذا قال " من أعثر أحد هؤلاء الصغار، فخير له أن يعلق فى عنقه حجر الرحى ويغرق فى لجة البحر " (مت١٨: ٦) . وقال فى محبته للأطفال " أنظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار .. " (مت١٨: ١٠) . بل جعلهم مثالاً يتشبه الكبار بهم .

* * *

والتاريخ وضع أمامنا أمثلة لأطفال قديسين .

مثل الطفل أبانوب الذى تبنى على إسمه كنائس فى مصر والمهجر . ومثل الطفل قرياقوص إبن القديسة يوليطة . ومثل صموئيل الطفل الذى كلّمه الله وأرسله يحذر عالى

الكاهن العظيم . ومثل القديس شنوده رئيس المتوحدين فى طفولته ... والأمثلة كثيرة. ليتنا نرجع ونصير مثل الأطفال فى فضائلهم .

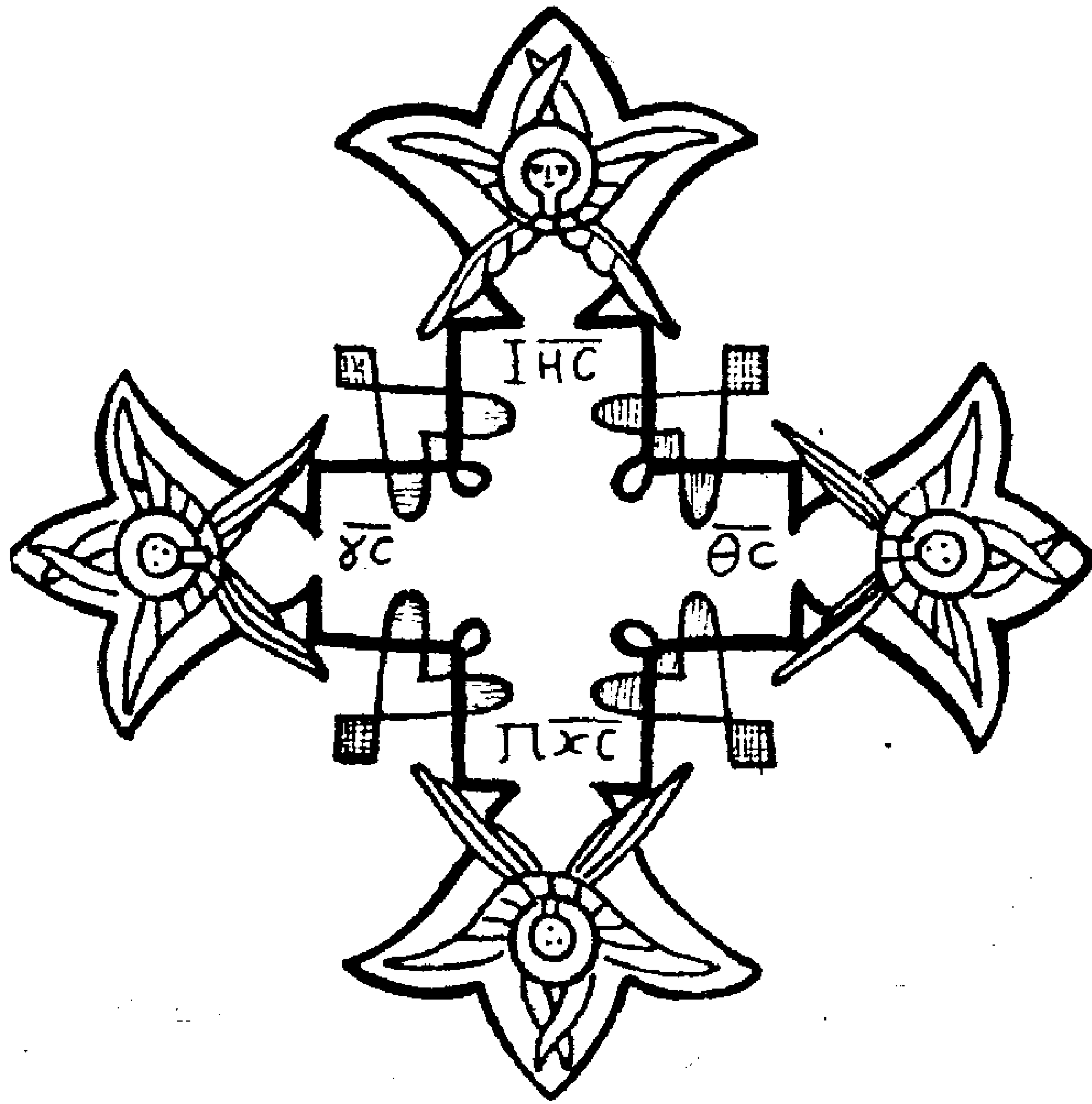
* * *

إن طبيعة الطفل الفاضلة هى أمثولة طيبة قبل أن تغرس فيه البيئة والتربية صفات أخرى لم تكن من طبيعته الأصلية .

وقبل أن يتعلم ممن حواليه أموراً يريدونها له لكى يصبح مثلهم فى طباعهم ، وقد لا تكون طباعهم مقدسة ولا صالحة ولا فاضلة..!

* * *

إنما السيد المسيح حينما أوصانا أن نرجع ونصير مثل الأطفال، إنما قصد أن نرجع عما اكتسبناه من صفات غرستها فينا البيئة والتربية والتعليم ، ونصير فى الطبيعة التى أرادها الله لنا ، فى البراءة التى كانت لآدم وحواء قبل الخطية، وقبل أن يأخذا من مصدر خارجى هو الحية ...



فضيلة ضبط النفس

قال سليمان الحكيم " البطئ الغضب خير من الجبار ، ومالك روحه خير ممن يملك مدينة " (أم١٦: ٣٢) .

فمن هو إذن الذى يملك روحه ؟ أى الذى يضبط نفسه ؟

لاشك أن ضبط النفس يشمل عناصر كثيرة منها :

ضبط اللسان ، وضبط الفكر ، وضبط الحواس ، وضبط البطن (من جهة الأكل) ، وضبط الرغبات والشهوات ، وضبط الأعصاب (من جهة الغضب) ، وضبط كل تصرفات الإنسان .

ضبط اللسان :

يقول الحكيم أيضاً " كثرة الكلام لا تخلو من معصية ، أما الضابط شفتيه فعاقل" (أم١٠: ١٩) . ويقول القديس يعقوب الرسول " وأما اللسان فلا يستطيع أحد أن يذلله . هو شر لا يضبط مملوء سماً مميتاً " (يع٣: ٨) . لذلك قال الرسول أيضاً :

إن كان أحد لا يعثر فى الكلام ، فذلك رجل كامل ، قادر أن يلجم كل الجسد أيضاً " (يع٣: ٢) .

ومن أجل هذا كان المرنم يلتمس معونة الله قائلاً :

" ضع يارب حافظاً لفمى ، باباً حصيناً لشفتى " .

* * *

والذى يضبط لسانه ينجو من خطايا عديدة جداً .

فلا يقع فى إهانة الآخرين بالشتيمة أو التهكم أو التوبيخ القاسى ، أو التهديد ، أو الترفع عليهم . ولا يقع فى الكذب ولا المبالغة ولا الحلفان ولا التجديف ... ولا فى كلام المجون، ولا في الثرثرة ... ولا فى المعلومات الخاطئة ، ولا فى الإفتخار والبر الذاتى، والحديث عن النفس ، ولا فى إدانة الآخرين ، ولا كلام الغضب بل ان الكتاب يقول :

" بل الأحمق إذا سكت ، يحسب حكيماً " (أم ١٧: ٢٨) .

وضبط الشفتين له فوائد إيجابية كثيرة :

فالذى يضبط شفتيه ، يعطى نفسه فرصة للتروى والتفكير قبل أن يتكلم ، ويأخذ فرصة أيضاً لإنتقاء الألفاظ واختيار الكلمة المناسبة ، وحسبان ردود الفعل لكل ما يقول .

* * *

لأن الكلمة التى تقولها تحسب عليك ، مهما اعتذرت عنها .

فمادمت قد لفظتها ، ووصلت إلى آذان الناس وإلى أذهانهم ومشاعرهم ، لم تعد ملكاً لك وحدك تتصرف فيها ! لقد كنت تحكم عليها قبل أن تقولها . أما بعد كلامك فقد أصبحت هى التى تحكم عليك " لأنه بكلامك تتبرر ، وبكلامك تدان " (مت١٢: ٣٧) .

يكفى أن القديس أرسانيوس قال مرة :

" **كثيراً ما تكلمت فندمت . أما عن سكوتى فما ندمت قط** " .

* * *

لذلك اضبط لسانك . القديسون أيضاً كانوا يسكتون لكى يعطوا أنفسهم فرصة للصلاة وللتأمل ، كما قال الشيخ الروحانى " سكت لسانك لكى يتكلم قلبك " وأيضاً "كثير الكلام يدل على أنه فارغ من الداخل ، أى من عمل الصلاة " . قال حكيم :

" **ليس كل ما يسمع يقال . وليس كل ما يقال يكتب** " .

فليس كل ما تسمعه ، ترردده على آذان غيرك ، وإلا فإنك قد توقع بذلك بين الناس . وتصل إلى النميمة أو إلى الغيبة ؟ وأخطر من ذلك ما تكتبه ، لأنه يصير وثيقة عليك .

ضبط الفكر :

فاحرس إذن أفكارك . ولا تقبل كل فكر يأتى إليك . واحرص على أن تكون أفكارك نقية . وإن وصل إليك فكر خاطئ ، احذر من التمادى فيه والتعامل معه . اطرده بسرعة لئلا يسيطر عليك ، ويتحول إلى مشاعر فى قلبك .

* * *

احذر من أفكار الغضب والإنتقام والشهوة ، ومن أفكار الإدانة وأفكار الأباطيل ، وأيضاً من فكر الحسد والغيرة والحقد ، ومن أفكار الكبرياء والمجد الباطل ... ومن كل فكر لا يمجد الله . وإن لم تستطع ، فانصت إلى المثل الذى يقول :

إن لم تستطع أن تمنع الطير من أن يحوم حول رأسك ، فعلى الأقل لا تجعله يعشش فى شعرك .

لا تستبق في داخلك فكراً خاطئاً . وحاول أن تشغل ذهنك باستمرار بأفكار نافعة ، أو بتأملات روحية ، حتى إن حارب الشيطان أفكارك لا يجدها متفرغة له ...

وهناك وسيلة أخرى لحفظ الفكر وهي ضبط الحواس :

* * *

ضبط الحواس :

الحواس هي أبواب للفكر . فاحرس هذه الأبواب :

اضبط السمع والنظر واللمس ... حتى لا تدخل إليك فكراً خاطئاً . ولتكن حواسك طاهرة . وما تقع عليه حواسك بدون إرادتك ، لا تفكر فيه ، ولا تعد إليه بإرادتك ...

قد تكون النظرة الأولى مصادفة أو بغير إرادتك . ولكن النظرة الثانية لاشك أنها إرادية تحاسب عليها .

* * *

اعرف أن حواسك لا تجلب لك أفكاراً فقط ، وإنما قد تترسب في عقلك الباطن ، وتتحول إلى أحلام وظنون ...

فضبط الحواس يساعد إذن على نقاوة الفكر ، ونقاوة الأحلام والظنون . بل يساعد على نقاوة المشاعر أيضاً .

ضبط المشاعر :

لتكن مشاعرك منضبطة . وإن وجدت شعوراً خاطئاً قد دخل إلى قلبك ، فلا تتجاوب معه . بل أطرده بسرعة ، قبل أن يرسخ فيك . وحاول باستمرار أن تحتفظ بنقاوة قلبك .

لا تستسلم لأية شهوة أو رغبة خاطئة .

بل قاومها ، قال القديس بولس الرسول " لم تقاوموا بعد حتى الدم ، مجاهدين ضد الخطية " (عب١٢: ٤) .

* * *

لا تجعل الأمر يتطور معك إلى أسوأ ...

اضبط حواسك حتى لا تجلب لك فكراً . وإن وصل إليك الفكر ، إضبطه حتى لا يتحول إلى شعور وإلى شهوة . وإن وصلت إلى مستوى الشهوة ، اضبطها حتى لا تتحول

إلى عمل ... وإن تدرجت إلى العمل ، فامتنع عنه بسرعة ، حتى لا يتحول إلى عادة ويسيطر عليك ...

أغصب نفسك باستمرار :

واعرف أن التغصب يدربك على قوة الإرادة ...

اغصب نفسك على تنفيذ الوصية ، وعلى الطاعة والخضوع .

اضبط نفسك فى طاعة الرب ، وفى طاعة القانون والنظام العام . ولا تتحايل على مخالفة قانون ، أو مخالفة ضميرك ، ولا تجلب لنفسك الأعذار . ولا تسمح أن يتسع ضميرك ليقبل أشياء كثيرة ...

* * *

اعرف أن الأعذار والتبريرات هما عدوان خطيران لضبط النفس .

فلا تعتذر نفسك فى أى خطأ من الأخطاء . وبدلاً من أن تدلل نفسك ، حاول أن تقوّمها، وترغمها على عمل الخير ، وتبعدها عن كل شر وشبه شر .

محبة الذات :

اضبط نفسك من جهة محبة الذات . فقد قال الرب " من يحب نفسه يهلكها . ومن يبغض نفسه فى هذا العالم ، يحفظها إلى حياة أبدية " (يو ١٢: ٢٥) .

ابعد عن محبة الذات ، وعن محبة النصيب الأكبر ، وعن محبة المتكآت الأولى . ولا تفضل ذاتك على غيرك . ولا تجعل راحتك على تعب الآخرين . وإن وجدت ذاتك منقادة فى طريق خاطئ ، اضبط مسيرتها بكل حزم .

* * *

واضبط نفسك من جهة الإندفاع والتهور ، ومن جهة إتخاذ أى قرار سريع .

إن وجدت نفسك منفعلاً ، اضبط أعصابك ، واضبط لسانك ، واضبط ملامحك ، واضبط حركاتك ، ولا تسمح لنفسك بأن تخطئ فى حق غيرك ، مهما أخطأ هو فى حقك.

* * *

واضبط نفسك من جهة استخدام الحرية .

حسن أن تتمتع بالحرية . ولكن لتكن حريتك منضبطة .

لتكن حرية طاهرة لا تفعل فيها ما لا يليق . ولتكن حرية مسالمة وعاقلة ، لا تتعدى فيها على حريات الغير ولا على حقوق الغير ، ولا على النظام العام .

ليتحرر قلبك أولاً من كل خطأ . فإن تحررت من الداخل ، يمكنك أن تستخدم حريتك الخارجية بحكمة وسلام .

الضبط الخارجي :

اعرف أنك إن لم تنضبط من الداخل ، فسوف تُرغم على الإنضباط من الخارج .

كإنسان يرغمه على الإنضباط : القانون والعرف والعقوبة . وكابن لا ينضبط من تلقاء نفسه ، فيضبطه التأديب وتربية والديه له . وكأى إنسان يضطر إلى الإنضباط بطريق الخوف ...

وهناك من يضطر إلى الإنضباط بدافع الخجل من الناس ، أو الخوف من الإنكشاف ومن الفضيحة .

أو لص يضطر إلى الإنضباط مؤقتاً خوفاً من الحراس .

أو إنسان يضطر إلى الإنضباط نتيجة للتوبيخ .

أو نتيجة لوجود موانع كعدم وجود قدرة ، أو عدم وجود فرصة ، أو لمقاومة الآخرين له . وكلها أسباب غير روحية .

★ ★ ★

أما الشخص الروحى فينضبط من الداخل ، بإرادته ، حباً منه للخير ، وحباً منه لله وتقويماً منه لنفسه .

وإنضباطه الداخلى يساعده على الإنضباط من الخارج أيضاً . أو أن إنضباطه الخارجي يكون هو التعبير العملى على الإنضباط الداخلى .

على أنه باستمرارية الإنضباط الخارجى ، سواء أكان الإنسان مرغماً عليه من الخارج، أو أنه يغصب نفسه على ذلك . بهذا الإستمرار قد يتعود الإنسان أن يكون منضبطاً ...

نفوس مريحة
ونفوس غير مريحة

النفوس المريحة هى التى تريح غيرها .

قد يجلس إنسان معك ، فتستريح لوجوده معك ، وتود لو أن جلسته تطول مهما مرّ الوقت . بينما يجلس إليك آخر ، فتظل تعد الدقائق وتتمنى لو أنه رحل عنك . ذلك لأن أحدهما مريح والآخر متعب .

إنسان يمرّ عليك كالنسيم الهادئ أو النسيم العطر .

وآخر يمرّ بك ، وكأنه عاصفة هوجاء .

فما هى إذن النفس المريحة ؟ وما هى صفاتها ؟

ولماذا تكون نفوس بعض الناس متعبة وغير مقبولة ؟

* * *

أول نفس مريحة فى تاريخ كل إنسان هى أمه .

يرى الطفل راحته فى صدرها الدافئ ، وفى رضاعته منها ، وفى نظراتها الحانية ، وفى إبتسامتها، وفى إستجابتها لإحتياجاته... ومعها يشعر بالإطمئنان والأمن .

والطفل الرضيع الذى نظن أنه لا يدرك شيئاً ، من العجيب أنه يستطيع أن يميز أمه - أو مرضعته - عن أى إمرأة أخرى . فهى حينما تحمله تبش له، ويبتسم هو لها فى فرح وبشاشة وبراءة . بينما تحمله إمرأة أخرى ، فيصرخ ...

* * *

الطفل حساس جداً من جهة ملامح الناس .

هو لا يتضايق مما يقال له من كلام ، لأنه لا يفهمه ، ولكنه يفهم الملامح : يميز النظرة المريحة من النظرة المتعبة . ويميز الملامح البشوشة من الملامح المزعجة . يطمئن إلى النفس المريحة من نوع النظرة ، وشكل الملامح ، ونبرة الصوت . ويميز النفس المريحة التى تداعبه وتلاعبه . لذلك احترسوا فى ضبط ملامحكم حينما تقابلون الأطفال . واحترسوا من جهة الإنتهار والتوبيخ، لأن الملامح فيه لا تكون مريحة .

* * *

وصدقونى ، نفس الأمر يكون فى معاملة الكبار .

هم أيضاً يحتاجون إلى التعامل مع النفوس المريحة . يريحهم شكل الإنسان ، كما تريحهم أيضاً ملامحه ، ومعاملاته . وربما ترى شخصاً لأول مرة ، فلا تستريح إليه ... لا تستريح إلى تعبيرات وجهه، ولا إلى نبرة صوته، ولا إلى حركاته ، ولا إلى شكله جملة ... يوحى إليك بعدم الإطمئنان وعدم الثقة .

ويحدث هذا أحياناً فى إختيار الأصدقاء . هناك من تنجذب إليه، وتشعر من أول مرة كما لو كنت تعرفه منذ زمان . وآخر تنفر منه تلقائياً .

★ ★ ★

نفس الكلام نقوله أيضاً عن الأطباء.

هناك طبيب يستريح إليه المريض : فى بشاشته من جهة، وفى شرحه للمرض وللعلاج . وفى إعطائه بريقاً من الأمل والرجاء مهما كان خطيراً . ويشعر المريض بالإطمئنان إلى أنه فى يد أمينة ، ومع قلب عطوف ...

بينما طبيب آخر - بعد مقابلته للمريض - يخرج المريض منهاراً .

* * *

ونفس الوضع بالنسبة إلى أب الإعتراف .

أب الإعتراف المريح ، هو الذى يعرف نفسية المعترف وظروفه وحروبه ، ويعطيه من الإرشادات ما يمكنه تنفيذها ، ويقود إلى التوبة وإلى الحياة الروحية فى هدوء وفى تدرج معقول. ويشعره بالحب والحنو ، ويفتح له باب الرجاء مهما كانت خطاياه . ويقوده إلى فتح قلبه فى الإعتراف بكل إطمئنان .

أما أب الإعتراف غير المريح ، فهو الذى يرتبك المعترف أمامه، ولا يدرى ما يقول. وربما يخاف ولا يستطيع أن يكمل إعترافه . يخشى إنتهاره له، أو قسوته عليه ، أو تغيير فكرته عنه، أو حرمانه من التناول ، أو قسوة عقوبته ...

بينما أب الإعتراف المريح ، قد يعاقب ولكن فى إحتمال المعترف ، مقنعاً إياه بأن العقوبة نافعة له فى تقويم حياته وفى إراحة ضميره ...

من صفات النفوس المريحة :

☩ الإنسان البشوش نفسه مريحة .

الناس يحبون البشاشة، ويستريحون للوجه البشوش، الذى من فيض سلامه القلبى

يفيض بالراحة والسلام القلبى على كل من يقابله ...

البشاشة هى فرح ينتقل من نفس إلى نفس . لذلك فإن غالبية الناس يحبون أصحاب النفوس المرحة التى تدخل البهجة إلى القلب. ومن أمثلة ذلك الفنانون الذين يرسمون الرسوم الكاريكاتيرية مع فكاهات لطيفة ، طالما أن الفكاهة بريئة ولطيفة ولا خطأ فيها .

* * *

ولأن البشاشة والفكاهة تريح النفس ، لذلك فإن المصورين قبل أن يلتقطوا الصور يطلبون إلى الناس أن يبتسموا أولاً ، لأن الوجه المبتسم هو وجه مريح لمن يراه . والبعض يبتسمون بطريقة مصطنعة أثناء التصوير .

غير أن البعض لهم بطبيعتهم وجوه مبتسمة بشوشة فى كل المناسبات ، وبدون تصنع. هؤلاء أصحاب نفوس مريحة .

* * *

☩ كذلك الإنسان الوديع الهادئ هو من النفوس المريحة .

بهدوئهم يدخلون الهدوء إلى قلوب الآخرين . ومهما كانت الأمور تبدو صعبة ، يعملون على تهوينها وتخفيف وقعها ، وبهذا يريحون غيرهم . وفى جو من الطمأنينة يبحثون معهم الأمور بهدوء للوصول إلى حلّ .

كذلك الإنسان الوديع هو إنسان مريح فى معاملته . لأنه يأخذ الأمور ببساطة . لا يغضب أحداً ، ولا يغضب من أحد . ويتعامل مع الناس فى سهولة ويسر ، ولا تتعقد الأمور مطلقاً فى التعامل معه

* * *

☩ المبشرون بالخير هم من أصحاب النفوس المريحة .

إن الناس يحبون من يبشرهم بخبر طيب ... يعتبرونه بشرة خير . ويستبشرون به . ولذلك يقول الكتاب " ما أجمل قدمى المبشر بالخيرات " (أش ٥٢: ٧) (نا ١: ١٥) .

بعكس الذى يجلب الحزن للنفوس بأخبار سيئة ينقلها إليهم . إنهم يعتبرونه كالبوم التى تنذر بالخراب . ومن أمثلة هؤلاء من ينقلون أخباراً بتعليقات متعبة للنفوس .

إن الأخبار التى تنشر فى الجرائد ، تختلف من واحدة إلى أخرى .. فمنها ما تريح النفوس بأخبارها ، ومنها ما تزعج الناس وتخيفهم ، وتشعرهم بأخطار مقبلة ومصائب يتوقعونها .

* * *

❋ صانعو الخير هم من أصحاب النفوس المريحة :

وفى ذلك ما أجمل ما قيل عن السيد المسيح إنه كان يجول يصنع خيراً (أع١٠: ٣٨) . كان يكرز بالإنجيل ، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب " (مت٤: ٢٣) . وهكذا كان تلاميذه، وهكذا كان القديسون فى كل زمان ، يصنعون الخير ويقومون بأعمال البر نحو كل أحد .

إن الناس يحبون من يعمل معهم خيراً .

عكس ذلك الذين يعقدون الأمور ، والذين يكون بإمكانهم أن يصنعوا خيراً ولا يفعلون. ما أخطر قول الكتاب " من يسمع صراخ المسكين ولا يستجيب ، يصرخ هو أيضاً ولا يستجاب له .

من صفات النفوس غير المريحة :

١ - من صفاتها القسوة .

سواء القسوة فى الألفاظ ، أو القسوة فى الأحكام، وفى التعامل مع الأخطاء بطريقة تتعب المخطئين دون أن تقوّمهم، أو باسلوب يحطم نفسياتهم ، ويتسبب فى هبوط معنوياتهم .

وقد يحدث هذا من بعض الآباء والأمهات فى توبيخهم ومعاقبتهم على أخطائهم باسلوب ربما يجعلهم يبحثون عن صدر حنون خارج البيت، مع ما يترتب على ذلك من نتائج خطيرة .

★ ★ ★

وربما تصدر هذه القسوة من الذين يقومون بأعمال الإدارة، فيصدرون الجزاء على أتفه الأخطاء. أو قد تصدر هذه القسوة من الذين يشرفون على أعمال التدريب او على الإختبارات الشخصية، فيحكمون على الشخص بعدم الصلاحية . أو قد تصدر من بعض الأساتذة والمدرسين ، فيخشى الطالب أن يقع فى يد أحد منهم .

★ ★ ★

ولكن من الأمثلة الصالحة ، ما قلناه عن الأرشيدياكون حبيب جرجس .

يا حكيماً أدب الناس وفى زجره حب وفى صوته عطفُ
لك اسلوب نزيهٌ طاهرٌ ولسانٌ أبيض الألفاظ عفُّ

لم تنل بالذم إنساناً ولـم تذكر السوء إذا ما حلّ وصـفُ
إنما بالحب والتشجيع قد تصلح الأعوجَ ، والأكدر يصفو

* * *

٢ - ومن صفات النفوس غير المريحة : النكد .

هناك أشخاص - وبخاصة فى المجال العائلى - يحاولون حلّ المشاكل عن طريق النكد ، ويضفون على المنزل جواً من الكآبة والحزن، يبحث بعض افراد الأسرة عن سلامهم القلبى بالهروب من البيت . وقد ينتهى الأمر بالزوجين إلى محاكم الأحوال الشخصية أو إلى المجلس الإكليريكى . ويشعر كل طرف فى الأسرة أنه يتعامل مع نفوس غير مريحة.

* * *

٣ - ومن صفات هذه النفوس غير المريحة : كثرة التحقيقات.

بحيث يشعر الشخص أنه محاصر بجو من الأسئلة تضيق الخناق عليه لتعرف تفاصيل التفاصيل . ماذا فعلت ؟ وأين كنت ؟ ومن قابلت ؟ ومتي؟ وما موضوع الحديث ؟ وماذا قلت وماذا قال؟ وما النتيجة ؟ وماذا فعلت ؟

ومهما بدا على الشخص أنه تضايق ، تلاحقه التحقيقات بغير هوادة ، وبغير مراعاة لنفسيته وأحساساته ، مما يؤدى به الأمر إلى الهروب من أمثال هؤلاء الأشخاص الذين لهم هذا الأسلوب من التحقيق . وربما لا تكون لبعضهم صفة تسمح له بكل هذه الأسئلة . ويقودنا هذا إلى نقطة أخرى وهى .

* * *

٤ - التدخل فى خصوصيات الغير .

كل إنسان له خصوصياته التى يحب أن يحتفظ بها ، ولا يحب أن يكشفها لكل أحد . بل يجب أن يحترمها الآخرون .

لهذا نجد فى كثير من البلاد الغربية : إذا وصل خطاب لإبن فى البيت، لا يستطيع الأب أو الأم أن يفتحه. وكذلك إن وصل خطاب للزوجة، لا يفتحه الزوج . وإنما بالحب الذى بين افراد الأسرة ، صاحب الخطاب يكشف ما جاء فيه ، أو بعضاً مما جاء فيه لأسرته دون أن يطالبوه بذلك .

* * *

ولكن المتعب أن بعضاً من المعارف يتدخلون فى خصوصيات غيرهم بطريقة يريدون بها أن يعرفوا كل شئ عنه ، سواء فى حياته الخاصة ، أو حياته العائلية ، أو فى مجال العمل ، كما لو كانوا يترصدون حركاته ، ويرهقونه بالأسئلة أو يرسلون من يتتبع أخباره ويقولها لهم . بحيث يشعر أن هؤلاء يتطفلون على حياته وخصوصياته ، بغير وجه حق وبطريقة متعبة ...

وإن لم يخبرهم يتهمونه بعدم الحب ، وبعدم الإخلاص فى صداقته، ويسألونه: ما هذا الشئ الذى تكتمه ؟ وهل فيه خطر أو خطأ؟ قل لنا ونحن ننصحك .

إنه لون من التطفل غير مقبول ، ويتعب النفس ، ويسئ إلى العلاقات .

* * *

٥ – من صفات النفوس المتعبة أيضاً : الشك .

هناك نفوس من طبيعتها الشك : يشكون فى صدق غيرهم، وفى محبته. ويشكون فى أقواله وفى أخباره . بل يشكون أيضاً فى سلوكه . ويبدو الشك فى طريقة كلامهم ، وفى لهجة صوتهم ، وفى نظراتهم ، وفى نوع أسئلتهم .

ويندر أن يقبل أحد أن يكون موضع شك . لذلك يعتبر الذين يشكون فيه من النفوس غير المريحة ، ويحاول أن يتجنبهم . ويعتبر شكهم نقصاً فى محبته . فالكتاب يقول المحبة لا تظن السوء " (١كو١٣: ٥) .

* * *

٦ – وعكس ذلك الذى يقابل غيره بروح الثقة والإحترام .

إنها صفة من صفات النفوس المريحة . والثقة تولد ثقة، وتدل على الإحترام. كما أن الإحترام يولد إحتراماً. وهكذا يعيش الناس مع بعضهم البعض بأسلوب سوىّ. وكل إنسان يستريح للذى يثق به .

* * *

٧ – أيضاً من صفات النفوس غير المريحة: الإلحاح، والمجادلة.

هناك أشخاص – فى كل ما يريدون – يستخدمون أسلوب الإلحاح والضغط . فإن أرادوا شيئاً من أحد ، يلحون عليه بطريقة متواصلة متتابعة ، فى كل يوم ، وربما مرات كل يوم . ولا يعطونه فرصة للتفكير أو التدبير . ولا يعطونه مجالاً للإعتذار ، وربما ما يطلبونه يكون فوق طاقته ، أو لا يريح ضميره ... ويتوالى إلحاحهم وضغطهم بطريقة

متعبة ، ربما تجعل من يلحون عليه يهرب من لقائهم بكافة الطرق .

وربما يكون الإلحاح والضغط فى معرفة بعض خصوصياته، كما حدث مع دليلة فى معرفة سرّ قوة شمشون (قض ١٦) .

* * *

٨ - ومن صفات النفوس غير المريحة أيضاً : فرض الرأى .

وفى هذا ضغط على الفكر، وضغط على التصرف . ومحاولة من هؤلاء أن يسير غيرهم فى تيارهم الفكرى أو السلوكى على الرغم منه، مما يشكل ضغطاً على حريته الخاصة، بشئ من السيطرة .

وقد يحدث فرض الرأى من أحد الأبوين ، بالنسبة إلى زواج إبنتهما، ضغطاً عليها فى الزواج بمن لا تحب ، مما يتسبب عنه تعاسة أو فشل فى حياتها الزوجية .

وفى فرض الرأى نوع من السيطرة هو صفة أخرى للنفوس غير المريحة .

* * *

٩ - ومن الصفات الأخرى للنفوس غير المريحة : كثرة الجدل

بحيث لا يمر أمر من الأمور سهلاً ، مهما كان بسيطاً . كل فكر وكل تصرف يتخذونه موضوعاً للجدل ، ربما يستغرق وقتاً طويلاً ، كما أنه يرهق الأعصاب ويضيع الوقت .

أمثال هؤلاء قد لا يحاول أحد أن يفتح لهم موضوعاً أو يبدى رأياً ، لأنه لن يخلص من مجادلاتهم العقيمة . وإن تكلموا هم، ربما يلجأ إلى الإجابات التقفيلية : " مثل ربنا يعمل ما فيه الخير" " نشكر ربنا على كل حال " أو أن يقول " هذا الموضوع لا أعرفه ، وليس لى فيه رأى يقينى" . كل ذلك ليهرب من الجدال وصدق الكتاب حينما قال " افعلوا كل شئ بلا دمدمة ولا مجادلة " (فى٢: ١٤) .

وقد يسأم الإنسان ويقول لمثل هؤلاء " ألا يمكن أن يتم شئ بدون مجادلة؟! أو يقول فيما بينه وبين نفسه " هل يستحق هذا الأمر البسيط كل هذا الجدل والنقاش " .

* * *

نصيحتى لك : لا تجادل إلا فى أمر هام أو أمر خطير يستحق ذلك . وأيضاً لاحظ فى نقاشك هل الذى تناقشه يقبل الكلام أم لا يقبله ، أو هو يريد النقاش لمجرد حب الجدل وتقضية الوقت ، أم ينطبق على هذا النقاش قول الرسول " المباحثات الغبية والسخيفة ، اجتنبها ، عالماً أنها تولد خصومات " (٢تى٢: ٢٣) .

وقد يكون الغرض من المجادلة هو فرض الرأى .

كإنسان يريد فرض رأيه فى إدارة الأمور ، أو فى تصريف أمور الكنيسة إن كان المناقش عضواً فى لجنة ما فى كنيسته، أو مجرد فرض رأيه كشخص يقول إنه صاحب رأى ، وإنه باستمرار على حق وذو علم ومعرفة .

وربما يكون فرضه لرأيه مصحوبا بالتهديد وبالتشهير .

* * *

١٠ - ومن النفوس غير المريحة من لا تقدر ظروف الآخرين

كأن يكلمك إنسان فى وقت أنت مشغول فيه ، فتعتذر إليه بضيق الوقت ، وتؤجل الموضوع إلى موعد آخر ، فيصر إصراراً شديداً لأن الموضوع مهم ولا يحتمل التأجيل ، ولا يبالى بأهمية مشغولياتك ، مما يجعلك تستمع إليه مضطراً وأنت شاعر بضغطه عليك، بينما الموضوع لا يستحق ذلك كله .

* * *

وربما يأتيك شخص وأنت مريض ، ويطلب منك ما لا تحتمله ظروفك الصحية . أو يظل يكلمك وأنت على فراش المرض ، مما يؤذيك صحياً وهو غير مقدر لذلك . مما جعل كثير من المستشفيات تحدد أوقاتاً تمنع فيه زيارة بعض المرضى .

* * *

أو قد يكلمك إنسان فى التليفون ، وقد تكون مشغولاً . ولكنه لا يبالى ويظل يتكلم ويتكلم مهما طال الوقت . ومهما حاولت أن تؤجل المكالمة أو تشرح ظروفك ، لا يهمه ذلك ويستمر فى حديثه. فتشعر أنه من النفوس المتعبة التى لا تقدر ظروف الآخرين ، وتتخذ منه موقفاً فى أحاديثه التالية .

* * *

يذكرنا هذا الأمر بالذين يزورون العائلات فى أوقات الإمتحانات النهائية للتلاميذ . ويتكلمون ويرفعون صوتهم ، ويوجدون جواً من الضوضاء لا يساعد على المذاكرة ، غير مبالين بمشاعر الطلاب وإمتحاناتهم، ويصبحون من النفوس المتعبة . وكذلك الذين يقيمون إحتفالات ويرفعون أصوات الميكروفونات ...

* * *

١١ - من النفوس المتعبة من تتصف بالغضب .

سواء سرعة الغضب ، أو حدة الغضب ، أو الغضب بدون سبب معقول ، أو الغضب المصحوب بأخطاء أو إهانات أو إعتداءات . أمثال هؤلاء الناس يتجنبهم غيرهم لإتقاء شرّهم . أو على الأقل عملاً بقول الكتاب : " لا تستصحب غضوباً ، ومع صاحب سخط لا تجئ " (أم٢٢: ٢٤) .

من له أذنان للسمع فليسمع

(مر٤: ٩، ٢٣)؟

الرسائل التى أرسلها الرب إلى الكنائس السبع التى فى آسيا كل منها تشمل عبارة أنا عارف أعمالك، وتنتهى بعبارة " من له اذنان للسمع فليسمع ما يقوله الروح للكنائس " ونريد اليوم أنَ نتأمل هذين الأمرين .

رسائل للكل :

جميل أن الله يرسل رسائل للناس ، يبعث كلمته للكل ، للأبرار وللأشرار معاً ، للذين يحبونه وللذين تركوا محبتهم الأولى . يرسل حتى إلى ملاك كنيسة ساردس الذى قال له الرب " إن لك إسماً أنك حى وأنت ميت " (رؤ٣: ١). وإلى ملاك كنيسة لاوديكية الذى قال له " لست حاراً ولا بارداً. بل أنت فاتر، أنا مزمع أن أتقيأك من فمى " (رؤ٣: ١٥، ١٦) . ومع ذلك يرسل إلى كل منهما رسالة .

* * *

كل إنسان فى الحياة ، لابد أن تصله رسالة من الله .

يتكلم فى قلبه، فى فكره ، يرسل له كلمة تناسبه بأية الطرق ، عن طريق كتاب، عظة، عن طريق نصيحة من إنسان ...

* * *

تصوروا أنه كلّم حتى قايين ، قبل أن يقتل أخاه .

وقال له "عند الباب خطية رابضة، وإليك إشتياقها، وأنت تسود عليها " (تك٤: ٧) . خذ حذرك مازال الأمر فى إرادتك. احترس من تلك الخطية.. ومن إشتياقك، احترس من مشاعرك . الله أرسل رسالة حتى إلى بلعام .

وفى الرسالة إلى العبرانيين ، يقول الرسول " الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً ، بأنواع وطرق شتى ، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى إبنه " (عب١: ١، ٢) .. بأنواع وطرق شتى ...

لا تستطيع أن تقول إن صوت الله لم يصل إليك .

البعض قد يكلمهم الله بالرؤى والأحلام . ولكن ليست كل الرؤى والأحلام من الله

وهناك من كلمهم الله بصوته شخصياً كما حدث للأنبياء ... والبعض كلمهم عن طريق الرسل، والكتاب يقول " إلى أقطار المسكونة بلغت أقوالهم " (مز ١٩) . والكل كلمهم الرب عن طريق الوحى المقدس ، الكتاب المقدس ، الذى هو كلمة الله إليك ... وهناك من كلمهم الرب عن طريق الملائكة ... والكل عن طريق الوعظ . كما كان بولس يقول "كأن الله يعظ بنا ... نطلب عن المسيح : تصالحوا مع الله " (٢كو٥: ١٩، ٢٠) .

* * *

جائز الكلمة التى يرسلها لك الرب تكون كلمة بركة، أو كلمة تعزية، أو تعليم، أو كلمة إنذار ...

وياليتك تسأل نفسك باستمرار : ما هى كلمة الله إلىّ ؟ إنك تسمع كثيراً من الناس ... ولكن ما هى كلمة الله إليك ؟ تصوروا أن السيد المسيح يقول : اكتب إلى ملاك كنيسة أفسس .. إلي ملاك كنيسة سميرنا .. إلي برغامس .. إلي ثياتيرا .. إلى فلادلفيا .. إلى ساردس .. إلي لاوديكية .. اكتب . كل واحد له رسالة ، الله يوجهها إليه .

* * *

إنها وصية إلهية : من له أذنان للسمع فليسمع .

هذه العبارة قالها السيد المسيح مرات عديدة فى الأناجيل :

قالها بعد كلامه عن يوحنا المعمدان (مت١١: ١٥)، وبعد مثل الزارع (مت١٣: ٩) (مر٤: ٩)، وبعد شرح مثل الحنطة والزوان (مت١٣: ٤٣) (مر٤: ٢٢) . وبعد كلامه عن أن ما يخرج من الفم هو الذى ينجس الإنسان (مر٧: ١٦) . وبعد كلامه عن الملح الذى يفسد (لو١٤: ٣٥) .. وهكذا قال فى سفر الرؤيا للكنائس السبع "من له أذنان فليسمع ما يقوله الروح للكنائس " سبع مرات (رؤ٢: ٣) .

وعبارة ما يقوله الروح للكنائس عبارة معزية :

تعنى أن الروح القدس مازال يكلم الكنائس . الروح يعمل فينا، ويرشدنا إلى جميع الحق (يو١٦: ١٣) ، ويذكرنا بكل ما قاله الرب لنا (يو١٤: ٢٦) ...

أذنان للسمع :

هناك أشخاص كانت لهم آذان تسمع وتستجيب وتطيع .

مثل ابرآم أبو الآباء ، حينما قال له الرب " اخرج من أهلك ومن عشيرتك" (تك١٢) . وحينما قال "خذ إبنك وحيدك الذى تحبه ، اسحق ، وقدمه لى محرقة .. " (تك٢٢). أطاع، ولم يناقش . له أذنان للسمع ... لوط لما قال له الملاك اخرج من سادوم ... لا تقف فى كل الدائرة (تك١٩) .. سمع وأطاع ..

★ ★ ★

من أكثر خلق الله سمعاً لكلامه : الملائكة .

يقول عنهم المرتل فى المزمور " باركوا الله يا ملائكته .. الفاعلين أمره، عند سماع صوت كلامه " (مز١٠٣: ٢٠) بمجرد سماع الكلمة ينفذون ، سواء للإنقاذ أو للعقاب .. لذلك ونحن نريد أن نكون سامعين لكلمة اللـه ، منفذين لمشيئته نقول " كما فى السماء، كذلك على الأرض" .. أى نطلب أن تكون لنا آذان للسمع ...

★ ★ ★

ومن أمثلة الذين سمعوا الكلمة واستجابوا ، تلاميذ المسيح .

متى (لاوى) حالما سمع كلمة الله "اتبعنى" ترك مكان الجباية وتبعه (مت٩: ٩). وكذلك بطرس وأخوه إندراوس تركا السفينة والشباك والأهل، حالما سمعا عبارة هلّم ورائى فأجعلكما صيادى الناس (مر١: ١٧، ١٨) وكذلك فعل يوحنا ويعقوب .. ونفس الوضع أيضاً مع شاول الطرسوسى (أع٩) ، ولهذا قال السيد المسيح مطوباً تلاميذه :

" **أما أنتم فطوبى لآذانكم لأنها تسمع** " .

★ ★ ★

ذلك لأن هناك آخرين لهم آذان لا تسمع (مز٨: ١١) (رو٢٨: ٢١) . وما أكثر الأمثلة لهذا النوع وما أكثر أسبابها .. السيد المسيح نفسه ، كان كثير من معاصريه ، لهم آذان ولكنها لا تسمع .

آذان لا تسمع :

أول أذن لم تسمع ، كانت لآدم وحواء .

سمعا الوصية ، وكأنهما لم يسمعا . تذكرا الوصية بحذافيرها ، وعملا العكس ! (تك٣) لماذا ؟ لأن كلمة أخرى قالتها الحية ، غطت على كلمة الله إليهما، وكانت أكثر تأثيراً وأكثر إغراء، وإذا كلمة الله وكأنها لم تُسمع .

لذلك احترس من أن الكلمة ، يخطفها أحد منك .

كما قيل فى مثل الزارع أن بذاراً خطفها الطير فلم تنبت (مت١٣: ٤). ألقيت البذار، أى نزلت على الأذن ، ولكن هناك من خطفها .. تسمع النصيحة أو العظة ، وتتأثر ، ويأتى إنسان آخر ، تأثير آخر يغطى على الكلمة ويخطفها منك ، ويترك عندك تأثيره هو.

★ ★ ★

قايين سمع الإنذار من الله ، وكأنه لم يسمع ! فلماذا ؟

كانت هناك مشاعر وإنفعالات فى القلب ، غطت على كلمة الله ، وأزالت تأثيرها .. وكأنه لم يسمع !

كانت مشاعر الحسد والحقد والغضب التى فى قلبه ، كأنها حاجز قوى يمنع كلمة الله من أن تدخل . فسمعها ، وكأنه لم يسمع .. كان مشغولاً بسماع صوت الحقد والحزن الذى فى قلبه ... قال له الله احترس ، الخطية أمامك ، ولا تزال تسود عليها . احرص ألا تخطئ ..ولكن الإنفعالات الداخلية كانت تمنعه من سماع النصيحة .. وبعد أن كلمه الله ، ذهب وقتل أخاه !!

★ ★ ★

احترس إذن من إنفعالاتك الداخلية، ومن سيطرتها .

الشاب الغنى ، كلمه المسيح ، وقدم له كلمة منفعة . ولكنه مضى حزيناً، ولم يسمع للرب (مت١٩: ٢٢) . فلماذا ؟

لأن هناك شهوة فى القلب ، تمنع وصول الكلمة للقلب .

مع أن هذا الشاب كان يحفظ الوصايا منذ حداثته . ولكنه عند الوصية الخاصة بالمال، لم يستطع أن يسمع . لأن هنا كانت الشهوة المسيطرة التى تحجب كل وصية وكل كلمة وتصد وترد ...

★ ★ ★

كإنسان مستعد أن يسمع لك فى كل شئ ، ما عدا شيئاً واحداً لا يستطيعه .

هنا عدم السمع ليس مطلقاً ، ولكنه فى شئ واحد . فى نقطة الضعف ، فى الشهوة المسيطرة ... مثال سليمان الحكيم ، كان أحكم الناس جميعاً ، وقد أخذ الحكمة من الله .. ولكنه من جهة شهوة النساء والتزوج بالنساء الغريبات ، لم يستطع أن يسمع كلمة الله، ولم يكن قلبه أميناً للرب مثل أبيه (١مل١١: ١- ١٠) ولم يحفظ ما أوصى به الرب ...

إذا وجدت أذنك لا تسمع ، ابحث ما هو السبب ؟

اذهب إلى طبيب آذان يعالجك ، بل اذهب بالأكثر إلى طبيب قلب، يكشف ما في قلبك من شهوات . مثل أي إنسان يخالف أباه وأمه، ويخالف الوصية والكنيسة، ويخالف القانون أيضاً، لأن هناك شهوة في قلبه يريد أن يحققها . والشهوة تصم أذنيه عن السماع ...

* * *

أحياناً يكون عدم السماع بسبب قساوة القلب ...

ولذلك يقول الكتاب " إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم " (عب٣: ١٥) .. فرعون كان من هذا النوع القاسي القلب ، الذي لم يستطع أن يسمع لكل إنذارات الله ، ولم تؤثر فيه كل الضربات . وكم من مرة صرخ إلى موسى وهرون، ووعد بأن ينفذ، ثم عاد كما كان.

والقساوة تولد العناد . والعناد يمنع من سماع الكلمة .

العناد الذي يغلق القلب ، ويغلق الفكر ، ومهما قيل له من كلام نافع ومقنع ، لا يسمع! إنسان متشبث بفكره ، مهما كلمته ، كأنك لم تتكلم . لأن في التشبث بالفكر نوعاً من الكبرياء . تغلق الأذن عن السماع ، بعكس الوديع المتواضع يمكن أن يسمع . حتى إن أخطأ، يقبل التأنيب والنصيحة ، ويصلح طريقه ويسمع .

* * *

الهراطقة كانت لهم آذان لا تسمع ، أغلقها العناد والكبرياء .

آريوس مثلاً ، لم يسمع لصوت بطريركه ، ولا لصوت المجمع المحلي الذي عقد في الأسكندرية من مائة أسقف، ولم يسمع لإقناعات القديس أثناسيوس ، ولم يسمع لقرار المجمع المسكوني . كان عناده يغلق أذنيه ، وكانت كبرياؤه تغلق أذنيه . ومات في هرطقته، دون أن يسمع ... تمنعه العزة بالذات ، والتمسك بالفكر ....

* * *

وكذلك كل حوار لاهوتي من نفس النوع .

قد تحاور إنساناً ، وتجده متحفزاً للرد قبل أن تكمل كلامك . لسانه أسرع من اذنيه ، لا رغبة لدية في السماع ، ولا رغبة في الإقتناع . يمنعه التشبث والعناد . له آذان ولكنها لا تسمع . وبالمثل كل إنسان متمسك بفكره الخاص ، مصر على فكره ، كأنك تكلم صخراً صلباً . لا توجد منافذ تدخل منها الكلمة ...

* * *

ونفس الوضع مع كل إنسان معتز بكرامته .

قد يشعر أن نصيحتك كأنها تهينه ، وتهز كرامته ، وتشعره بخطأه ، وتتعب نفسيته .. فلا يكون مستعداً إطلاقاً أن يسمع ، لأن السماع يحتاج إلى تواضع . ولهذا ليس كل عتاب يأتى بنتيجة : المتواضع المحب تعاتبه فتكسبه . والمتكبر المعتز بكرامته ، تعاتبه فيزداد الأمر سوءاً ...

* * *

هيرودس الملك ، لم يستطع أن يسمع كلمة يوحنا المعمدان .

كلام يوحنا المعمدان واضح " لا يحل لك أن تكون لك إمرأة أخيك " (متى١٤: ٤) . إنها وصية إلهية واضحة فى موانع الزواج (لا ١٦:١٨) . والكتاب يعتبرها نجاسة (لا٢٠: ٢١) . ولكن هيرودس لا يسمع . إغراء هيروديا يمنعه . كما كان إغراء دليلة يمنع شمشون من بقاء وصية النذير فى أذنيه (قض١٣: ٧) .

* * *

هناك تأثير آخر ، يمنع تأثير كلمة الرب عليه .

هناك محبة أخرى طغت على محبة الله ، فمنعت الأذن من أن تسمع .. كم نسمع كلام الله فى القراءات وفى العظات فى كل قداس ، وكأننا لم نسمع ، والطبع هو نفس الطبع . شعب اليهود كانت تتلى عليه البركات من فوق جبل جرزيم ، واللعنات من فوق جبل عيبال بإستمرار (تث٢٧، ٢٨) . ومع ذلك ما كان يعبأ !!

* * *

السيد المسيح كان يكلم علماء اليهود ، فلا يسمعون ، على الرغم من قوة إقناعاته ، ولكنهم تشبثوا بآرائهم .

كانت الحرفية وتقاليد آبائهم الخاطئة وتعاليمهم ، تمنعهم من السماع ...

وربما كانت هناك مشاعر الحسد التى فى قلوبهم التى كانت تدفعهم إلى محاولة التخلص من السيد المسيح ، وليس سماع كلامه . وماذا أيضاً . هل هناك أسباب أخرى تمنع من السماع ؟

* * *

الخوف أيضاً يسد الأذن أحياناً عن السماع .

بيلاطس البنطى كان مقتنعاً ببراءة المسيح ، وقال إنه لا يجد فيه علة تستوجب الموت (لو٢٣: ٢٢) . وقد حذرته زوجته قائلة " إياك وذلك البار ، لأنى تألمت اليوم كثيراً فى حلم لأجله" (مت٢٧: ١٩). ولكنه لم يسمع ، لأن الخوف كان يمنعه من السماع . كان

يخاف أن يشكوه إلى قيصر . الخوف على المركز وربما نفس الخوف منع أغريباس الملك من سماع تبشير القديس بولس الرسول ، مع أنه قال له " بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً" (أع٢٦: ٢٨).. إن قبل أغريباس المسيحية ، سيضيع منه منصب الملك .

كثيرون يضيعون البعض بالخوف .. إن فتحت فمك لتتكلم ، إن هربت منا، إن كشفت المؤامرة ، إن لم تخضع ، سيحدث كذا وكذا من التهديد . وبهذا الخوف لا تنفع معه كل نصيحة لإنقاذه ! تكلمه ، كأنه لا يسمع .. الخوف يسد أذنيه ...

* * *

هناك سبب آخر يمنع الأذن من السماع ، وهو الإستهتار واللامبالاة .

أهل سدوم نصحهم لوط أن يخرجوا من المدينة قبل أن تحترق ، فقابلوا كلامه باستهزاء " وكان كمازح فى وسط أصهاره" (تك١٩: ١٤) . ونفس الوضع حينما تكلم بولس الرسول فى مدينة أثينا ، قابلوه بنفس التهكم قائلين " ماذا يريد هذا المهذار أن يقول" (أع١٧: ١٨) . إنه أيضاً نوع من الإستهتار ، لم يأخذوا فيه الكلام بجدية. لذلك لم تكن آذانهم للسمع ... كإنسان تنصحه ، فيقابلك بتهكم ، أو يحول الجو إلى عبث .. ولا يسمع، بل يتهكم ويهزأ ..

* * *

إنسان أيضاً لا يسمع ، لأنه يعرج بين الفرقتين .

آخاب إن سمع كلمة من إيليا تستطيع إيزابل أن تعمل له غسيل مخ ، وتحوله إلى الناحية الأخرى .. فإن أردت أن تعطى نفسك فرصة للسماع ، لابد أن تبعد عن الجو الذى يمكنه أن يحولك ... كشاب يسمع عظة ، فيضيع تأثيرها بسبب أصدقائه .

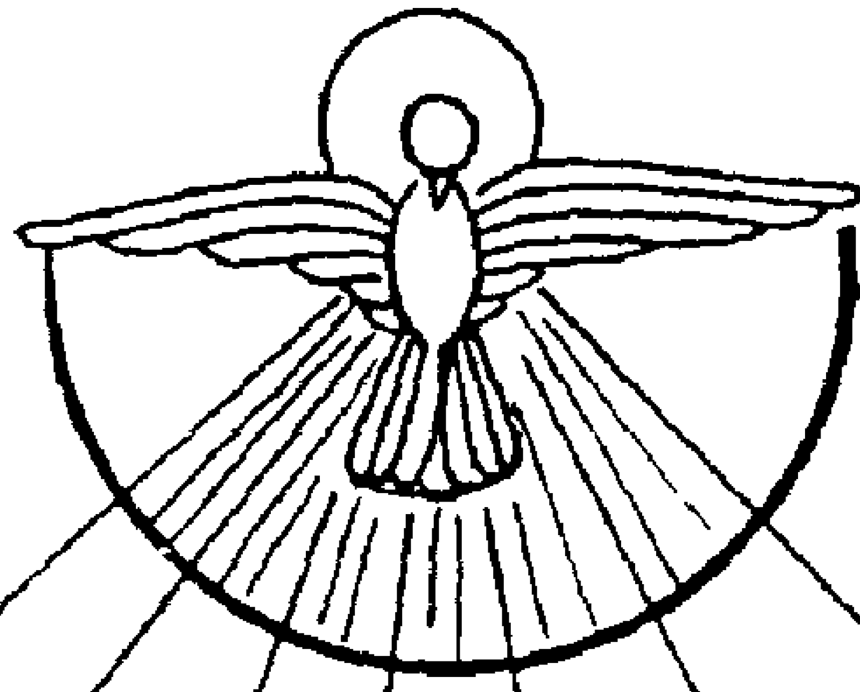
* * *

أصعب مثل فى عدم السماع، هو مثال يهوذا ، الذى كانت تمنعه الخيانة من السماع. كم مرة أنذره السيد المسيح ... ولكن الخيانة كانت تصم أذنيه ، مضافة إليها شهوة المال. القلب كان فى تلف ، كذلك تلفت أذناه فلم تسمع .

* * *

لكى تسمع أذناك ، ينبغى أن تكون لك رغبة فى أن تسمع ، وتكون لك الجدية فى التنفيذ ، وتكون مشتاقاً أن تسمع الكلمة ، ولو أدى الأمر أن تبذل حياتك من أجلها . إن أتاك الصوت الإلهى ، احتفظ به فى قلبك وفى إرادتك . كما فعل القديس أنطونيوس لما سمع كلمة الرب ، وللحال نفذها فى جدية ، بغير إبطاء بغير توان .

ولنحاسب أنفسنا ، كم مرة سمعنا ولم نعمل ، وكأننا لم نسمع .



الباب الرابع

عوائق الفضيلة

عَوائق للفضيلة ولكنها ليسَت مَوانع

حياة البر والفضيلة لا تسير سهلة باستمرار، إنما تصادفها عوائق في الطريق . حتى في سير القديسين صادفتهم في حياتهم عوائق :

لماذا سمح الله بهذه العوائق ؟ ما مصادرها وأسبابها وفوائدها ؟

أسباب العوائق ومصادرها :

١- هناك عوائق سببها الشيطان :

الذى يجول مثل أسد زائر يلتمس فريسة . الذى يلقى الزوان فى كل حقل . الذى ألقى نصيحة مهلكة فى أذن أمنا حواء .. هذا الى يجب أن نحترس منه ، كما قال معلمنا بولس الرسول " لأننا لا نجهل أفكاره " (٢كو٢: ١١) .

إن القديس أثناسيوس فى جهاده ضد الأريوسية قال " إن عدونا الأول ليس هو الأريوسية وإنما الشيطان " .

من ضمن أسبابها : الأكاليل الناتجة عنها :

فإذا وُجدت عوائق ، وانتصر الإنسان عليها ، إنما يدل بذلك على محبته لله ، وإصراره على السير فى الطريق الروحى ، مهما صادفته من عقبات . وهكذا ينال أكاليل على محبته وجهاده وإنتصاره .. فلا يقل أحد : تصادفنى متاعب فى البيت والعمل والبيئة، نقول له : هذه طبيعة الطريق الروحى .. لابد أن يكون هكذا .. فلماذا ؟

★ ★ ★

هناك ما يسمونه " حسد الشياطين " يحسدون الأبرار على برهم .

يحسدونهم على أنهم نجحوا فى منهج ، فشلوا هم فيه . يحسدونهم على إختبارهم حياة القداسة والنقاوة ، وعلى علاقتهم الطيبة بالله . ويحسدونهم على النعمة المصاحبة لهم وعلى عمل الروح القدس فيهم .. بل يحسدونهم على الحياة مع الله .. لذلك يثيرون حولهم الزوابع ، لكيما يفشلوا ويصيروا مثلهم ضمن مملكتهم .

فإن وجدت عوائق ، اطمئن ، لأنك سائر فى الطريق السليم :

لو كنت سائراً فى طريق الشيطان ، ما كان يحاربك ! بل على العكس يسهل طريقك ويشجعك . أما محاربته لك أو محاربة أعوانه ، فدليل أكيد على أن مسلكك يتعب الشيطان.. ولهذا قال السيد المسيح له المجد :

" لو كنتم من العالم ، لكان العالم يحب خاصته . ولكن لأنكم لستم من العالم ، بل أنا أخترتكم من العالم ، لذلك يبغضكم العالم " ، " إن كان العالم يبغضكم، فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم " (يو١٥: ١٩، ١٨) .. إن بغضة العالم لك ، ومضايقته لطرقك ، أمر طبيعى ومطمئن ، ووسام على صدرك .

* * *

وقد وصف الرب الباب بأنه ضيق ، والطريق بأنه كرب " (مت٧: ١٤) .

إن العمل العظيم هو الذى يستحق المحاربة من عدو الخير ، كذلك فإن البداية الطيبة تخيفه ، لئلا تنمو وتثمر .. لذلك نرى كثيراً أن البدايات تكون صعبة فى كل عمل ناجح. لأنك كلما تبدأ فى عمل الخير ، يبدأ الشيطان وأعوانه عملاً مضاداً لك ...

* * *

حتى فى حياة الرسل وكبار الآباء القديسين ، كانت هناك عوائق أمام خدمتهم وكرازتهم .

قام ضدهم أباطرة وملوك وولاة وحكام وقضاة ، ودفعوا إلى محاكمات وسجون ونفى، وتعرضوا لظلم وإضطهادات ووقفت ضدهم الديانات والفلسفات القديمة . ويكفى قول السيد لهم " وتكونون مبغضين من الجميع لأجل إسمى " (مت١٠: ٢٢) ، وقوله أيضاً " تأتى ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله " (يو١٦: ٢) . ولكننا فى كل ذلك نقول :

كانت هناك عوائق ، ولكنها لم تكن موانع :

* * *

قامت ، عوائق كثيرة ضد الكرازة ، ولكنها لم تستطع أن تمنع الكرازة . بل امتد الإيمان وانتشر ، وتأسست الكنائس فى كل مكان . ويكفى فى ذلك قول الكتاب " والذين تشتتوا ، جالوا مبشرين بالكلمة " (أع٨: ٤) ، وقيل ما يشبه ذلك فى العهد القديم " ولكن بحسبما أذلوهم ، هكذا نموا وانتشروا " (خر١: ١٢). وقيل أيضاً عن الكنيسة " كل آلة صورت ضدك لا تنجح " (أش٥٤: ١٧) .

وقف العالم كله ضد أثناسيوس الرسولى ، ونفى عدة مرات ، وعزلوه ورجع إلى منصبه. ومع كل ذلك انتصر أثناسيوس على كل مقاوميه .

* * *

٢ – من العوائق أيضاً : العالم ومحبته ، والحواس وطياشتها .

فالحواس هى أبواب للفكر ، والفكر يوصل إلى القلب والمشاعر ، والعالم يقدم حروباً كثيرة وعوائق فى طريق الروح .. وهكذا الجسد وكل عوائقه .

* * *

٣ – ومن العوائق أيضاً : الأخوة الكذبة والمرشدون المضلون والعشرة الردية .

كما قال الرب لإسرائيل ، " مرشدوك مضلون " (أش٣: ١٢) . وكما وصف الرب الكتبة والفريسيين بأنهم قادة عميان (مت٢٣) . وقال إن أعمى يقود أعمى ، كلاهما يسقطان فى حفرة ...

* * *

ويدخل فى هذا الأمر المفاهيم الخاطئة ، التى تنتشر فى وسط أى جماعة فتضللها وتعيقها عن الوصول إلى الله . إن بطرس بمفهومه الخاطئ عن الآلام وقف معثرة أمام الرب، فانتهره وقال له " اذهب عنى .. " (مت١٦: ٢٣) .

ومن ضمن هذه المعوقات الكتب والمطبوعات الخاطئة ..

* * *

٤ – ومن المعوقات أيضاً الطباع الشخصية للإنسان :

وربما تكون بعضها طباعاً موروثة ، أو طباعاً مكتسبة من البيئة ، أو من كثرة الممارسة .. ولكن على الإنسان أن ينتصر عليها ، سواء كان الشخص غضوباً أو سماعاً أو متسرعاً .. إلخ .

* * *

٥ – هناك عوائق من شهوات النفس الداخلية :

ومن أهدافها الخاطئة . كما قال الكتاب " لم تصبكم تجربة إلا بشرية " . ونحن نصلى إلى الله أن ينقذنا من كل العوائق أياً كانت مصادرها .

ولكننى فى كل هذه العوائق والمحاربات ، أحب أن أطمئنك وأقول لك : لا تخف ، بل أثبت واستمر . فهناك حقيقة .

أنت لست وحدك فى محاربتك . إنما معك المعونة الإلهية :

الشيطان يعيقك ، والنعمة تشجعك وتقويك .. الله يسمح بوجود العوائق ، هذه نصف الحقيقة ، أما النصف الآخر فهو أن الله في نفس الوقت ، يعطيك القوة التى تجاهد بها وتنتصر ، بل هو نفسه يقودك فى موكب نصرته (٢كو٢: ١٤) .. إنه يسمح بالتجارب ، ولكنه " أمين ، لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون . بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ، لتستطيعوا أن تحتملوا " (١كو١٠: ١٣) . ولكنك لعلك تسأل : ولماذا يسمح الله بالتجربة ؟ ولماذا يسمح بالعوائق ؟ وهذا ينقلنا إلى نقطة أخرى وهى :

الإختبار :

سمح الله بالعوائق لإختبار محبتنا . ولإختبار إرادتنا ، وإختبار مدى طاعتنا . .

كل إنسان يمكنه أن يقدم نية طيبة . ووعوداً طيبة ، مثلما فعل بطرس حينما قال : "وإن شك فيك الجميع. فأنا لا أشك أبداً " ، " ولو إضطررت أن أموت معك لا أنكرك" (مت٢٦: ٣٣، ٣٥) .. ولكن فى ساعة التنفيذ ، حينما تبدو المخاوف والمخاطر ، هنا يقف الإختبار أمام كل الكلام النظرى ، وكل النيات الطيبة .

* * *

وهناك أمثلة كثيرة ، ترينا كيف تقع العوائق كإختبار :

أ – إنسان متيسر وغنى ، يستطيع أن يعطى ، دون أن يؤثر العطاء على مركزه المالى. أما إن وجدت عوائق من الإحتياج أو العوز ، فهنا تختبر فضيلة العطاء ، وهكذا ظهرت فضيلة الأرملة التى أعطت من أعوازها ، مدحها الرب (مر١٢: ٤٤) . وهكذا أيضاً ظهرت فضيلة أرملة صرفة صيدا ، التى أعطت إيليا النبى – فى أيام المجاعة ما معها من دقيق وزيت ، ستعمله ، ليكون أكلتها الأخيرة هى وإبنها ، ثم يموتان " (١مل١٧: ١٢) .. إذن فالذى يدفع للرب – وليس عنده تكون محبته أعمق ، وأجره أكبر ...

* * *

ب – وينطبق العطاء من العوز ، على الوقت . وعلى العشور أيضاً . كما ينطبق كذلك على القوة والصحة .

فالذى يدفع العشور ، وهو فقير ، كل إيراده لا يكفيه ، هذا الذى انتصر على عائق

الفقر ، وأطاع الوصية علىالرغم من العوائق ، بعكس الذى يتخذ العوز عذراً يغطى أو يبرر به عدم طاعته . كذلك الخادم الذى يستمر فى خدمته ، فى عمق أيام الإمتحانات ، وليس لديه وقت على الإطلاق ، بل هو محتاج إلى كل دقيقة .. وكذلك الذى يتعب فى الخدمة ، على الرغم من ضعف صحته .. كل هؤلاء فى إنتصارهم على العوائق . دلوا على أن محبتهم لله وللناس أكثر عمقاً . وبرهنوا على تمسكهم بعمل الخير مهما كانت العوائق ...

* * *

ج - وكذلك من يحتمل غيره ، على الرغم من عمق الإساءة . وعلى الرغم من الإحراج أمام الناس ...

إنه يدل على أن فضيلة الإحتمال التى عنده انتصرت على العوائق .. ولذلك قال السيد المسيح له المجد " لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم ، فأى أجر لكم ؟ أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك . وإن سلمتم على أخوتكم فقط ، فأى فضل تصنعون ؟ .. أما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، احسنوا إلى مبغضيكم .. " (مت٥: ٤٤- ٤٧) .. هنا المحبة والسلام على الرغم من طول المدة فى الإحتمال .. وكذلك من يحتمل خيانة صديق على الرغم من عمق الخيانة ونتائجها :

* * *

د - كذلك من يقول كلمة حق ، مع عوائق من النتائج المتعبة :

سهل أن تقال كلمة الحق ، إن كانت سهلة ، ولا أذية من قولها .. أما من يقول كلمة الحق ، على الرغم من الإضطهاد الذى يلحقه بسببها ، فهذا يدل على مدى إهتمامه بالشهادة للحق ، كما يدل أيضاً على شجاعة وجرأة . ومن أمثلة ذلك القديس يوحنا المعمدان ، الذى قال للملك هيرودس : " لا يحل لك أن تأخذ إمرأة أخيك" (مر٦: ١٨) . وكانت النتيجة أن يوحنا ألقى به فى السجن ، وقطعت رأسه على طبق ...

* * *

هـ - مثال آخر ، هو الشكر على الرغم من العوائق :

كل إنسان يمكنه أن يشكر الله فى حالات الصحة والراحة والسعة والنجاح .. أما أن تشكر الله وأنت فى المرض والألم ، أو تشكره وأنت تحتمل ظلماً وإضطهاداً ، أو تشكره وأنت فى الفقر والعوز ، أو تشكره وقد صليت صلوات كثيرة ولم تشعر

باستجابته... ففى هذا كله يظهر عمق فضيلة الشكر عندك ، ويظهر أنك تحب الله من أجل ذاته ، وليس من أجل خيراته ...

* * *

العوائق تظهر مدى ثبات الإنسان فى إيمانه ، وفى علاقته بالله والناس .

إن الشهداء أظهروا عمق إيمانهم ، على الرغم من التهديدات والعذابات والسجن والنفى، وعلى الرغم من الإغراءات الكثيرة التى عرضت عليهم .. برهنوا أنهم كانوا أقوى من كل ذلك . وانتصروا على عوائق الألم والإغراء ، ونالوا الأكاليل .

* * *

وأيوب الصديق ظهرت فضيلته على الرغم من فقده ماله وأولاده وصحته ، كما فقد العطف من أصدقائه وزوجته ، وفقد الإحترام من عبيده ، بل فقد كل شئ. لكنه إستطاع أن يقول "الرب أعطى ، الرب أخذ ، ليكن إسم الرب مباركاً " (أى١: ٢١) .

* * *

كذلك فى التعامل مع الأصدقاء والمعارف ، يبدو عمق العلاقة إن إستطاع الإنسان أن يحتفظ بمحبته ، ولا يضحى بها بسبب خطأ يحدث ، أو إهمال مقصود أو غير مقصود، أو بسبب تقصير أو زلفة لسان ... إلخ .

* * *

الفضيلة الثابتة على الرغم من العوائق ، تشبه البيت المبنى على الصخر :

ثبات هذا البيت تعرض لعوائق من الرياح والأمطار والأنهار، ولكنه انتصر ولم يسقط (مت٧)، كذلك الإنسان الروحى الذى يبقى إيمانه ثابتاً ، ولا يفقد هدوءه ولا سلامه ولا محبته ، على الرغم من كل العوائق ... لا يهتز ، ولا يتغير ، ولا يضطرب ، ولا يشك ، ولا يضعف .. تدل الإختبارات على أن معدنه طيب وقوى ، وعلى أنه يحيا حياة الإنتصار باستمرار ...

* * *

مثال ذلك : إبراهيم أبو الآباء ، فى كل إختبارات إيمانه :

كانت دعوته الأولى : أن يترك أهله وعشيرته وبيت أبيه (تك١٢)، ويمضى وراء الله " وهو لا يعلم إلى أين يذهب " (عب١١: ٨) ، ومع ذلك " لما دعى أطاع " . ولم يناقش ، ثم كان الإختبار الثانى والأصعب ، أن يأخذ إبنه وحيده الذى تحبه نفسه ، ويقدمه لله

محرقة على أحد الجبال " (تك٢٢: ٢) ، ولم يقف هذا الأمر عائقاً أمام محبة إبراهيم لله . ولا أمام إيمانه ولا طاعته ...

* * *

كذلك هناك فرق كبير بين الخدمة السهلة والخدمة الصعبة :

كثيرون يفضلون الخدمة السهلة المريحة . وبلاشك أن أجرها عند الله لا يمكن أن يكون فى مستوى الخدمة الصعبة ، التى بلا إمكانيات ، مثل كرازة مارمرقس فى أرض مصر.. أو تكون خدمة فيها مشاكل ومتاعب من الأوضاع أو من الناس أو من أخوة كذبة، كما حدث لبولس الرسول (٢كو٤، ٦، ١١) . الذى قال أيضاً " حاربت وحوشاً فى أفسس " (١كو٣: ٨). فكلما انتصر الإنسان على عوائق الخدمة لأجل بناء ملكوت الله ، هكذا يكون أجره عظيماً فى السماء .

فوائد العوائق :

١ - العوائق تذكرنا بضعف طبيعتنا ، وتقودنا إلى الإتضاع .

ربما لو كانت الحياة الروحية سهلة وبلا عوائق ، وسلسلة من الإنتصارات ، لوقع الإنسان فى المجد الباطل والشعور بالقوة . بينما العوائق كثيراً ما توقفنا أمام حقيقة أنفسنا، فنشعر بأننا ضعفاء ، وأن الأمر ليس سهلاً ، ويحتاج إلى جهد قد يكون فوق مستوانا .

وهكذا تتضع قلوبنا من الداخل ، وبخاصة إن فشلنا فى بادئ الأمر ، كما حدث مع بطرس ، ومع داود ، ومع شمشون .

* * *

٢ - وهذه العوائق كما تسبب لنا الإتضاع ، تدعونا إلى الصلاة :

فلا نعتمد على أنفسنا ، إنما نعتمد على الله ، ونقول مع المرتل : "لولا أن الرب كان معنا .. لابتلعونا ونحن أحياء " (مز١٢٤) .

ونقول للرب أيضاً " إصغ إلى صراخى ، لأنى قد تذللت جداً . نجنى من الذين يضطهدوننى ، لأنهم أشد منى. فصرخت إليك يارب. وقلت أنت هو رجائى وحظى فى أرض الأحياء " (مز١٤٢) . والعوائق تجعل صلواتنا أكثر عمقاً وأكثر حرارة .

* * *

٣ - والعوائق أيضاً تعطينا خبرة روحية ، ونلمس يد الله وتدخلها لإنقاذنا .

أليس هو القائل " بدونــى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً " (يو١٥: ٥). نلمس قولـه " أنـا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر " (مت ٢٨: ٢٠) .، وهكذا نرى عملياً كيف أن الله يحل لنا المشاكل ، ويزيل العوائق والعقبات . وندرك عملياً قول الله عن زربابل " من أنت أيها الجبل العظيم؟ أمام زربابل تصير سهلاً " (زك٤: ٧) . ونختبر كيف يحول الله الشر إلى خير، وكيف يتدخل فى الأحداث ، ويدبرها حسب مشيئته ، ويجعلها كلها تؤول إلى مجد إسمه .

* * *

وبخبراتنا فى الإنتصار على العوائق بمعونة إلهية نختبر عملياً تفسير الآية التى تقول :

" **قفوا وانظروا خلاص الرب .. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون** " (خر١٤: ١٣-١٤) . .

وإذا بالقصص التى نقرؤها فى الكتاب ، تصبح واقعاً عملياً أمامنا ، كقصة الثلاثة فتية فى الأتون ، أو قصة دانيال فى الجب. ونضيف إلى حياتنا سجلاً واقعياً من معاملات الله معنا، أو مع أقاربنا وأصحابنا وزملائنا .. وبالتالى ، نكتسب شجاعة وقوة ، ولا نعود نخاف من الشدائد ولا العوائق، ولا من الأمور الصعبة ... ونرى كيف أن الله يسمح بالعوائق ، ولكنه يوجد طريقاً داخلها للفكاك منها ..

* * *

٤ - وبهذا على الرغم من العوائق ، ندخل فى حياة الشكر .

الشكر لله الذى أنقذ ودبر وأزال العوائق . الله الذى يفتح ولا أحد يغلق . الله الذى هو أقوى من فرعون ومن نيرون ومن ديقلديانوس . وهكذا نرتل قائلين " نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين .. الفخ إنكسر ونحن نجونا عوننا من عند الرب الذى خلق السماء والأرض " (مز١٢٤) .

* * *

ونرى فى كل العوائق أن الذين معنا أكثر من الذين علينا (٢مل٦: ١٦) .

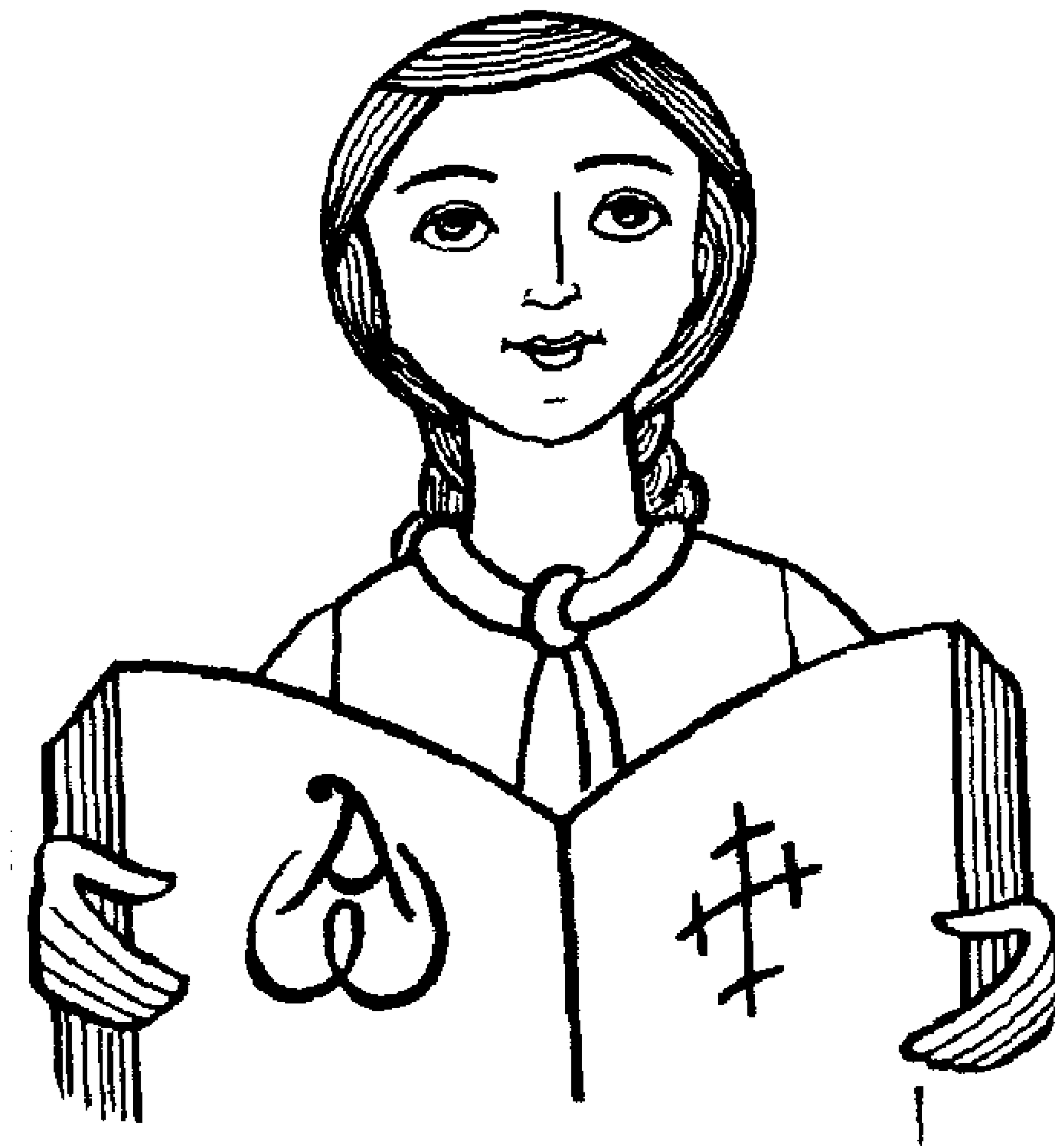
نرى أن الملائكة المحاربين معنا ، أكثر من الشياطين القائمين علينا . ونرى أن عمل الله الهادئ أكثر من قوى الشر الصاخبة . وعمل الروح القدس أعمق من كل الإغراءات المضادة ... إن آدم لم يشعر بقيمة كل الخيرات المحيطة به وهو فى جنة عدن . ولكن

الشعب التائه فى سيناء، عرف قيمة الماء المتفجر من الصخرة، والمن النازل من السماء.
لأن الإحتياج يعطى قيمة للشئ أكثر من توافره ...

* * *

٥ - العوائق تنشط أرواحنا للقتال مع العدو .

وهكذا يغنى القلب الذى يواجه العوائق ، ويقول " مبارك الرب .. الذى يعلم يدى القتال، وأصابعى الحرب" (مز ١٤٤: ١) . لولا جليات ما اختبر داود قوة رب الجنود ، ولولا الحروب الروحية ، ما كنا نحصل على تعاليم الآباء الذين جربوا خداع العدو، ووصفوا لنا قتالاته وطريقة الإنتصار عليها ... لقد عاش بولس البسيط فى ظل صلوات القديس أنطونيوس الكبير . ثم دعاه القديس أن يسكن بمفرده فى الوحدة " لكى يجرب قتالات العدو " لكى تنشط روحه فى الجهاد ، وتختبر الإنتصار .



أكبر عائق للفضيلة
هو الذات

خطورة الذات :

ما أسهل أن الذات تضيع الإنسان ، كما قال السيد المسيح :

" **من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجلى يجدها** " (مت١٠: ٣٩) .

حقاً ما أخطر أن يركز الإنسان كل إهتمامه على ذاته ، كيف تكبر وتعظم . ويحب أن يكون باراً فى عينى نفسه (أع٣٢: ١) ، وعظيماً فى عينى نفسه وفى أعين الناس (أع١٢: ٢١- ٢٣) . وأن يكون حكيماً فى عينى نفسه (أم٣: ٧) الأمر الذى نهى الرب عنه .

وحرب الذات من الخطايا الأمهات . تلد كثيراً من الخطايا ، كما سنرى فيما بعد ...

* * *

وهى أول خطية فى العالم :

هى الخطية التى سقط بها الشيطان ، حينما قال فى قلبه " أصعد إلى السموات، أرفع كرسّى فوق كواكب الله .. أصير مثل العلى " (أش١٤: ١٣، ١٤) . وبنفس الخطية ذاتها أغرى أبوينا الأولين على السقوط ، بقوله لهما " تصيران مثل الله .. " (تك٣: ٥) .

* * *

موضوع (الذات) يذكرنا بخطية يونان النبى .

الذى خاف أن تسقط كلمته إلى الأرض . إذ ينذر أهل نينوى بانقلاب مدينتهم ، فتكون النتيجة أن يتوبوا فيرحمهم الله، وتسقط كلمة يونان. ويغتم يونان غماً شديداً ويغتاظ (يون٤: ١) .

وثقة الإنسان أنه بار فى عينى نفسه ، كانت مشكلة أيوب (أى ٣٢: ١) . ونفس الوضع من جهة الثقة بالحكمة الشخصية ، إذ يقول الكتاب :

" **لا تكن حكيماً فى عينى نفسك** " (أم ٣: ٧) .

إذ يثق الإنسان بفكره الخاص وبحسن تدبيره ، دون سماع مشورة من أحد ، ويرى أنه على حق فى كل شئ . الأمر الذى نهى عنه الكتاب قائلاً " وعلى فكر لا تعتمد " (أم٣:

٦) . وقال أيضاً توجد طريق تبدو للإنسان مستقيمة وعاقبتها طرق المـوت " (أم١٤: ١٢) (أم١٦: ٣٥) .

نتائج حرب الذات :

١ - أن تكون الذات فى قمة الإهتمامات .

بحيث كل ما يدور فى فكر هذا الشخص : مستقبلى ، مركزى ، كرامتى ، رأيى، شخصيتى... بل تتحول الذات إلى هدف ، وهى محصلة كل أعماله وأقواله وتصرفاته . وتكثر فى فكره وفى أقواله عبارة (أنا) .

* * *

٢ - وربما يصل إلى إمتداح نفسه لنفسه .

فيفقد الإتضاع ، ويتعلق بمحبة المجد الباطل ، وهكذا لا يستطيع أن يلوم نفسه فى شئ. ويحاول باستمرار أن يبرر نفسه فى كل شئ. وقد لا يستطيع أن يحتمل كلمة عتاب من أحد، وليس فقط كلمة تبكيت ، ولا يكون فقط باراً فى عينى نفسه ، إنما يحب بالأكثر أن يكون ايضاً باراً فى أعين الآخرين ، ويسعى إلى مديحهم وتطويبهم ، ويسرّ بذلك .

ولأجل هذا ، ولغيره أيضاً ، قال السيد الرب :

" **من أراد أن يأتي ورائي ، فلينكر نفسه ، ويحمل صليبه ويتبعنى** " (مت١٦: ٢٤) .

وفى بعض الترجمات " يمجد نفسه" وفى ترجمات أخرى "يكفر بنفسه" وقال الرب أيضاً " من أضاع نفسه من أجلى يجدها " (مت١٠: ٣٩) . بل قال كذلك أن يبغض الإنسان حتى نفسه لكى يكون تلميذاً للرب " (لو١٤: ٢٦) .

* * *

٣ - هذه الذات التى تجعل الإنسان يقف أحياناً ضد الله .

يعاديه ويقاومه ، وينفصل عنه ، ويكسر وصاياه ، وينضم إلى أعدائه . كل ذلك لكى يشبع الشخص رغباته ، ويسير حسب هواه .

وإن طلب من الله طلباً ، يصرّ أن يكون الله مجرد منفذ لرغباته ، دون أن يضع فى إعتباره حكمة الله ومشيئته . وإن تأخر الله عليه ، أو ظن أن الله قد تأخر ، يغضب ويتضايق.. ويشك فى محبة الله ورعايته ، ويتذمر ، ويهدد بترك الكنيسة أو إجتماعاتها..

* * *

بل إن الوجوديين أنكروا وجود الله ، شاعرين أنه ضد رغباتهم وضد تمتعهم (بالوجود) !!

وهكذا نرى إلى أى حد يمكن أن تكون محبة الذات ..! وقد قادت الشيوعيين أيضاً إلى الإلحاد ، وقادت كثيراً من الفلاسفة إلى الوثوق بأفكارهم أكثر من الثقة بكلمة الله ، وهكذا فعلت الذات مع بعض رجال الدين فى الغرب الذين وضعوا عقولهم رقيبة على الكتاب المقدس نفسه !! يقبلون منه ما يوافق هواهم وفكرهم ، وينكرون الباقى !!

* * *

٤ - والذات أيضاً دخلت فى محيط الأبوة الروحية والجسدية .

واصبح البعض لا يطيع الأب الروحى إلا فيما يوافق هواه ، وإلا يغيره ..! أو أنه لا يعرض عليه ، إلا ما يعرف مسبقاً أنه سيوافق عليه !!

ونفس الوضع فى محيط الأسرة بالنسبة إلى طاعة الوالدين ، ومن هم فى مرتبتهما من الكبار فى العائلة ، وحتى فى الكنيسة من المشيرين والمدبرين .

* * *

٥ - وكانت للذات أثرها فى مجال الخدمة أيضاً .

من جهة محبة الرئاسة والقيادة والسيطرة وفرض الرأى، الأمر الذى سبب إنقسامات فى مناطق متعددة . كل (خادم) يحب أن يفرض رأيه ومنهجه وأسلوبه ، هو الذى يقود ولا يقاد . أو على الأقل يكوّن له مجموعة تتبعه ، وتقف ضد كل من يعارضه أياً كان مركزه .

* * *

إنه فى الخدمة يبحث عن (ملكوته) هو، وليس عن ملكوت الله !!

حتى لو أدّى الإنقسام إلى تدخل الطوائف الأخرى وضياع الخدمة ! وحتى لو أصبح الإنقسام عثرة للمخدومين وشتتهم ! المهم عند هؤلاء هو الذات وإشباعها من حب السيطرة وتنفيذ الرأى الخاص والحصول على الكرامة الشخصية ، ولو استوفوا خيراتهم على الأرض " (لو١٦: ٢٥) .

* * *

٦ - بل قد تدخل الذات فى محيط العقيدة !

حيث يصر (الخادم) فى محيط التعليم ، أن يكون له فكره الخاص ، ينشره ولو كان

ضد كل التعليم المعروف في الكنيسة ، وضد التقليد والإجماع العام !! المهم عنده هو فكره وثقته بعلمه . وإن جاءه توجيه ، يقاوم . ويرى نفسه أكبر من كل الموجهين !

حقاً ، كيف ظهرت البدع والهرطقات إلا من الذات والإعتداد بالفكر الخاص ، حتى لو كان الهرطوقى قد أنذر مرة وإثنتين وأكثر . ولكن إلتصاقه بذاته أقوى من كل إنذار ...

* * *

٧ - محبة الذات قد توصل إلى عبادة الذات .

حيث لا يريد الشخص فقط أن يكون الأول، إنما بالأكثر أن يكون الوحيد ، وكأنه يقول " أنا وليس غيرى" !! وقد يصل في محبته لذاته ، أن يقف ضد الأخرين . وقد يهاجم بعنف . وقد يستخدم أسلوباً عدوانياً . ويهاجم كل من هو ضد رأيه .

* * *

٨ - وتوصله محبة الذات إلى العناد .

وإلى تصلب الفكر ، وعدم قبول أى رأى غير رأيه أو ضد الرأى. إما أنه لا يحب أن يسمع ، أو يسمع ويرفض . أو يصل في المجادلة إلى التشبث بفكره مهما سمع من إقناعات .

* * *

٩ - والذات هي التي تضيّع الأسرة .

وتصبح هي العامل الأول في الخلافات الزوجية ، إذا تشبث فيها كل طرف بفكره . وإذا بحث أحد الطرفين عن راحته فقط ، ولو على تعب الطرف الآخر . أو إن أصرّ أن يخضع له الطرف الأخر في كل ما يقوله أو يريده ، ولو عن غير إقتناع وضد رغبته ، وبدون تفاهم! المهم عنده هو الخضوع ، مهما كان ثمنه ، ومهما كانت نتائجه ...

* * *

١٠ - بل الذات تتلف كل المجتمعات .

فالمجتمع يقوم على تبادل الرأى ، وليس على فرض الرأى . ويبنى القرار على الحوار. فإن أراد أحد أن يخضع الجميع لرأيه ، أو إن تجاهل فكر غيره، ينقسم المجتمع ولا يثبت .

والذات تقود باستمرار إلى الأنانية .

والأنانية لا تبنى أية علاقة إجتماعية ، بل تهدمها ...

مظاهر محبة الذات :

الذى يهتم بذاته ، إما أن يكون من ناحية الجسد ، أو من ناحيـة النفس ، أو مـن ناحيـة الروح .

فمن ناحية الجسد ، يسعى إلى شهوة الجسد وشهوة العيـن (ايو٢: ١٦) أى فـى محبـة العالم والمادة البعيدة عن محبة الله .

* * *

وفى محبة الجسد والمادة وقع سليمان الحكيم ، ففقد حكمته .

قال " بنيت لنفسى بيوتاً ، غرست لنفسى كروماً ، عملـت لنفسـى جنـات وفراديس ... جمعت لنفسى أيضاً فضـة وذهبـاً .. اتخذت مغنين ومغنيات وتنعمـات بنـى البشـر سيدة وسيدات " (جا٢: ٤- ٨) .

لاحظوا عبارة (نفسى) أى ذاتى ، التى تكررت كثيراً فى كلامه ...

وماذا كانت النتيجة ؟ يقول الكتاب فى زمان شـيخوخة سـليمان ، أن نسـاءه أملـن قلبـه إلى آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب كقلب داود أبيه " (١مل١١: ٤) .

* * *

ومثل سليمان ، نتكلم عن شمشون وعن داود فى خطية كل منهما . وفى حياة الرفاهيـة والمال والنساء والعظمة وشهوة الجسد ، وعقوبة الله لكل من هؤلاء .

كلهم أرادوا أن يبنوا أنفسهم بطريقة غير روحية .

بتحقيق شهواتهم ، بالمغنين والمغنيات ، بالسيدة والسيدات ، بدليلة وبتشـبع .. وانطبـق عليهم قول الرب " من وجد حياته يضيعها " .

* * *

والفضيلة تكون هنا فى الإنتصار على الذات .

فى ضبط النفس . فى قول القديس بولس الرسول " اقمع جسدى واستعبده ، لئلا بعدمـا كرزت لآخرين ، أكون أنا نفسى مرفوضاً " (١كو٩: ٢٧) .

* * *

ومن جهة النفس ، الذى يريد أن يشبع رغبات نفسه ، قد يقع فى الغيرة والحسد ، لأنـه يريد لنفسه ما فى يد غيره .. وقد يقع فى مصارعات مع الآخرين .. قد يقع فيما وقع فيـه

إخوة يوسف لما حسدوا أخاهم (تك٣٧) . أو فى الشعور السئ الذى كان للأخ الكبير تجاه أخيه الأصغر الذى ذبح له أبوه العجل المسمن (لو١٥) .. أو ما حدث بين يعقوب وعيسو الذى قال " أقوم واقتل يعقوب أخى " (تك٣٧: ٤١) .. أو ما حدث بين راحيل وليئة التى قالت " مصارعات الله صارعت مع أختى " (تك٣٠: ٨) .. هؤلاء كلهم دخلوا فى صراعات ، وانطبق عليهم ما قيل عن إبراهيم ولوط :

" **ولم تحتملهما الأرض أن يسكنا معاً** " (تك١٣: ٦) .

لذلك فإن ابانا ابراهيم البعيد عن الذات ، ترك للوط حرية إختيار الأرض . واختار لوط لضياعه فيما بعد ، فى سبى سادوم (تك١٤) وفى حريقها (تك١٩) .

* * *

إن لصراعات الذات دخل فى شكوى مرثا من مريم بقولها " اختى تركتنى أخدم وحدى" (لو١٠: ٤٠) . وكانت مريم قد اختارت النصيب الصالح، الشكوى التى قدمت ضدها كانت من جهة صلاحها !!

ولكن الذات تقف حتى ضد الأخوات !!

وضد الأخوة معاً ، والأقارب ، والخدام ...!!

لا أنـا :

ما أجمل وما أعمق قول القديس بولس الرسول :

" **فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ** " (غل٢: ٢٠) .

هنا النكران الكامل للذات فى كل شئ .. " لتكن لا مشيئتى بل مشيئتك" هكذا كان السيد المسيح يقول للآب ، وهكذا نقول أيضاً فى الصلاة الربانية كل يوم " لتكن مشيئتك " .

* * *

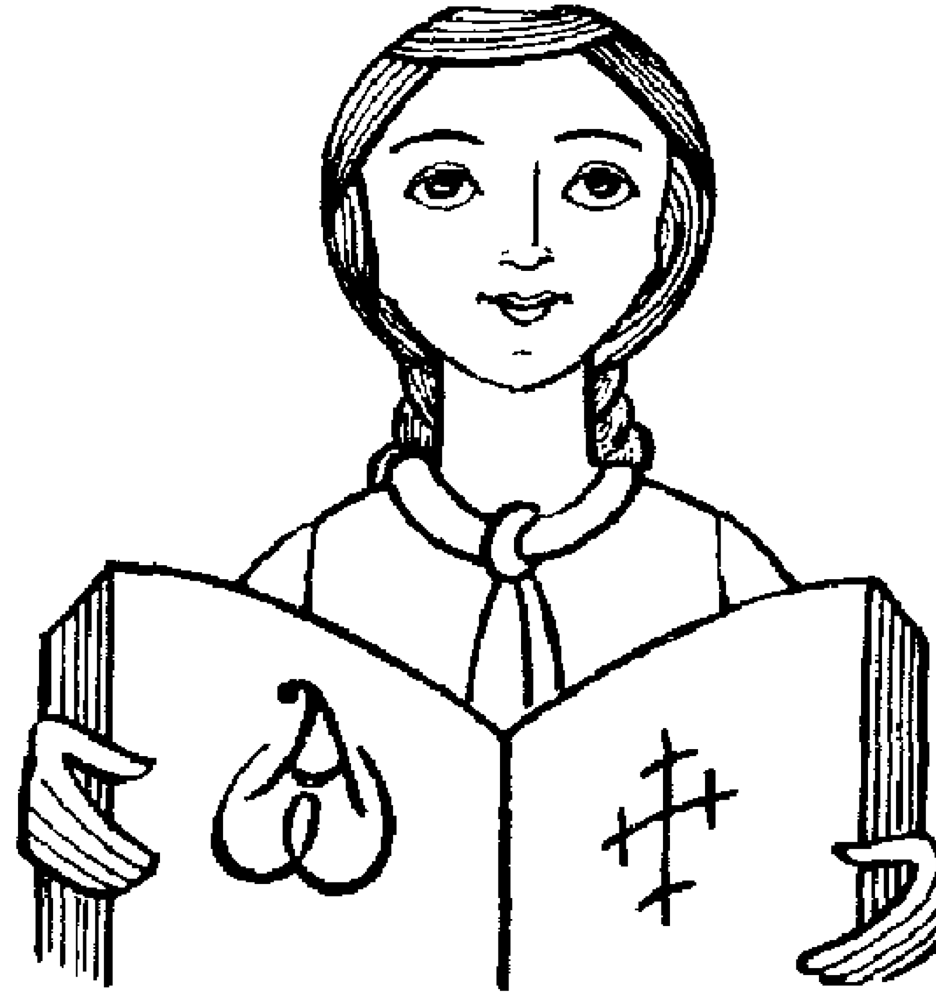
وهكذا فعل أبونا ابراهيم حينما قال له الرب " اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك" (تك١٢) . " فخرج وهو لا يعلم إلى أين يذهب " (عب١١: ٨) . وفى طاعته تخلى عن ذاته وعن كل شئ .. بل فى طاعته لما أمره الله بتقديم إبنه الوحيد محرقة (تك٢٢: ٢) تخلى عن عواطفه وآماله . وترك كل ما يتعلق بالذات ، منشغلاً بالله وحده . وفى قلبه أيضاً عبارة (لا أنا) " لا مشيئتى ، بل مشيئتك " .

ومثل القديس بولس وأبينا ابراهيم ، القديس يوحنا المعمدان أيضاً .

كان يختفى لكى يظهر المسيح . ويقول " من له العروس ، فهو العريس " أما أنا فمجرد صديق للعريس اسمع وافرح " ينبغى أن ذاك يزيد، وأنى أنا أنقص" (يو٣: ٢٩ ٣٠) .

ومع ذلك ، فهذا الذى قال " أنا أنقص " قال عنه الرب " لم تلد النساء من هو أعظم من يوحنا المعمدان " (مت١١: ١١) .

وعبارة " أنا أنقص " أكملها بولس الرسول بقوله " لا أنا " ...



وإذ لم يكن له أصل جف (مت ١٣: ٦)

كثير من الناس يبدأون الحياة مع الله ولا يستمرون .

إما أنهم يبدأون بحرارة ، ثم يبردون ، أو كما يقول الكتاب أحياناً أن بعض الناس يرتدون . وأحياناً البعض قد يتركون محبتهم الأولى ، أو يفترون ، أو يبردون ...

والسيد المسيح لما قدم لنا مثل الزارع ، أعطانا صوراً عن أناس وقعت البذار فى أرضهم، ولكن بعضهم فشلوا . وأريد أن أحدثكم اليوم عن نوع واحد من هؤلاء ، قال عنه الرب إنه " إذ لم يكن له أصل جف " (مت١٣: ٦) .

★ ★ ★

هذا النوع بدأ بداية ، ربما تبدو طيبة .

قيل عنه إنه نبت حالاً (مت١٣: ٥) . وإنه النوع " الذى يسمع الكلمة ، وحالاً يقبلها بفرح " (مت١٣: ٢٠) . ومع ذلك قيل مرة إنه جف ، ومرة أخرى إنه احترق . لماذا لأنه " لم يكن له أصل فى ذاته ، بل هو إلى حين " ، وإنه " ليس له عمق أرض " .

★ ★ ★

المشكلة أنه " ليس له أصل " أى ليست لـه جذور قوية ممتدة ، أو ليس لـه عمق أرض .

هذا النوع هوائى ، ليست له عمق صلة مع الله ، لذلك استمر فى علاقة مع الله إلى حين ، ثم جف ... مع أنه قبل الكلمة حالاً بفرح .. إنها مأساة لأناس يقبلون الكلمة بفرح وبسرعة . ومع ذلك لأنه لا توجد لهم تربة عميقة ، فيجفون . نسمع عن أمثال هؤلاء ما يقوله القديس بولس الرسول :

" لأن كثيرين .. ممن كنت أذكرهم لكم مراراً ، والآن أذكرهم أيضاً باكياً ، وهم أعداء صليب المسيح ... " (فى٣: ١٨) .

ويكمل الرسول فيقول " الذين نهايتهم الهلاك .. ومجدهم فى خزيهم ، الذين يفتكرون فى الأرضيات " .. هؤلاء كانوا من مساعديه ، من أقوى العاملين معه . آمنوا، وخدموا

مع الرسول .. قبلوا الكلمة بفرح ، وساروا مع الله شوطاً .. ومـع ذلـك يذكرهـم الرسـول الآن وهو باك، وقد صاروا أعداء صليب المسيح ...

★ ★ ★

لعله من أمثلة هؤلاء ديماس ، أحد مساعدى الرسول الكبار .

الذى كان يذكره أحياناً إلى جوار أسماء لوقا ومرقس الإنجيليين ، وارسترخس .. ثم قال عنه الرسول أخيراً " ديماس تركنى لأنه أحب العالم الحاضر " (٢تى٤: ١٠) . نبت قليلاً، بعد أن قبل الكلمة بفرح. ولكن " إذ لم يكن له أصل جف " بل احترق (مت١٣: ٦).

★ ★ ★

ومن الأمثلة أيضاً " الذين بدأوا بالروح وكملوا بالجسد " .

فرق بين الذين يجفون أو يحترقون ، والذين يفترون .

ملاك كنيسة لاودكية كان فاتراً ، وكانت أمامه فرصة للتوبة (رؤ٣: ١٦، ١٩) . وملاك كنيسة أفسس ترك محبته الأولى ، وكانت له أيضاً فرصة للتوبة (رؤ٢: ٤، ٥).. وهناك نوع أصعب من هذين . وهو ملاك كنيسة ساردس ، الذى قال له السيد المسيح : "لك إسم إنك حى، وأنت ميت " (رؤ٣: ١) . ولكن الجميل أن هؤلاء الملائكة الثلاثة ، على الرغم من سوء حالتهم ، السيد أرسل لهم رسائل يدعوهم إلى التوبة .. هنا قلب المسيح الطيب الذى يتحنن حتى على الذى له إسم إنه حى وهو ميت .. إنه لا يشاء موت الخاطئ مثلما يرجع ويحيا ، بل هو يدعو الكل إلى الخلاص .. ولكن

★ ★ ★

من هذا الذى ليس له أصل ، وليست له جذور عميقة ؟

هناك أشجار لها جذر عميق فى الأرض مثل النخلة . وأشجار لها جذور تمتد عرضياً بقوة مثل أشجار الكافور ، ولها عمق أيضاً . والجذور القوية تستطيع أن تحمل الشجرة، وتحمى الشجرة مهما صدمتها الرياح والزوابع والرمال ...

ونحن قد تعلمنا هذا الدرس من الأشجار ، وطبقناه فى المبانى . فجعلنا لها اساسات قوية وعميقة من الخراسانات العادية والمسلحة ، قواعد تربطها سملات عرضية . وكلما ارتفع البيت ، يستعد له المهندسون بأساسات أقوى وأكثر عمقاً تحميه .. ولكن مسكين ذلك البيت الذى ليس له أساس ولا عمق ، بل هو مبنى على الرمل ، إنه يسقط مثل أوراق الشجر ...

ما هى الجذور العميقة ؟

أول جذر عميق يربط الإنسان بالله ، هو الحب .

لأن هناك أناساً يتحركون فى حياة الفضيلة ، ويتحركون داخل الكنيسة حتى فى حياة الخدمة، ومع ذلك لا يربطهم بالله حب ، الواحد منهم يصلى ويصوم وليست له محبة إلهية، كما وبخ السيد المسيح أولئك اليهود الذين انطبق عليهم قول الرب فى سفر اشعياء النبى " هذا الشعب قد اقترب إلىّ بفمه ، وأكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً " (أش٢٩: ١٣) (مت١٥: ٨) .

★ ★ ★

يكرمنى بشفتيه تعنى النبات الظاهر على وجه الأرض .

وقلبه مبتعد تعنى عدم وجود جذور تربطه بالأرض .

كم من أناس يصلون ، وقلبهم بعيد عن الله . ويرفعون أيديهم إلى الله ، والله رافض لهذه الصلاة ، كما قال الرب لهؤلاء " حين تبسطون أيديكم استر وجهى عنكم . وإن أكثرتم الصلاة لا اسمع . أيديكم ملآنة دماً " (أش١: ١٥) . هؤلاء قد يصلون ، ولكن لا محبة فى قلوبهم من نحو الله والناس ..! ولذلك يجف ...

★ ★ ★

قد يوجد إنسان يجف ، وهو داخل الكنيسة ... !

من الجائز أن هذا الإنسان يخدم ، وله نشاط جبار يخدم فى فروع عديدة ، وفى بلاد وفى مؤتمرات ، وله إسم وله شهرة . ومع ذلك ليس له أصل من الحب يربطه بالله .. ربما تسمع عن نشاطه فتُعجب به . فإذا إصطدمت به وعاملك بعنف ، تعَجَب منه ...

إنسان يجف وهو داخل الكنيسة ، مثل إبنة يايرس التى ماتت وهى فى بيت أبيها . ومثل الإبن الضال الكبير الذى أساء إلى أبيه (لو١٥: ٢٨- ٣٠) . وقال لأبيه "ها أنا أخدمك سنين عديدة ... وقط لم تعطنى جدياً لأفرح مع أصدقائى " وكأنه يصف أباه بالبخل والظلم .. إنه كان يخدم الأب ، ولكن قلبه مبتعد عنه بعيداً ...

★ ★ ★

أناس أثناء معجزة ظهور العذراء فى الزيتون انتعشوا روحياً ...

وربما نذروا نذوراً ، وفرحوا بالرب ، وصاموا وصلوا وتناولوا ، وتحدثوا فى إعزاز عن كرامة العذراء والقديسين .. ولكنهم إلى حين ! وابحثوا عنهم الآن تجدوا الشعور

الروحي قد انتهى . لقد قبلوا المعجزة بفرح .. وهللوا لها .. ولكن لم يكن في قلوبهم حب عميق نحو الله .. وإذ لم يكن لهم أصل جفوا ...

★ ★ ★

من أهمية محبة القلب لله ، يقول الرب :

" يا إبنى اعطنى قلبك " (أم٢٣: ٢٦) .

ولماذا تطلب يارب هذا القلب ؟ لكى أمدّ جذوره فى الأرض ، واجعل لـه فروعاً فـى كل مكان ، وأثبته وأقويه ، فلا يقتصر فقط على العمل الخارجى ...

الكل مؤمنون . ولكن هـل للكـل جـذور قويـة ، تمتص الحيـاة وترسـلها إلـى الفـروع، وتضخهـا ضخـاً إلـى الجـذع والفـروع والأوراق . لذلـك يقـال عـن القلـب أنـه مضخـة . وعصارة الحياة تصل إلى كل الشجرة .

★ ★ ★

أما الشجرة التى ليس لها جذور فإنها تجف .

الشجرة القوية خضرتها داكنة وقوية . فإذا لم تصلها عصـارة الحيـاة مـن الجـذور تبـدأ تجف .. وكيف ؟ خضرتها تبهت قليـلاً ، ثـم تصفـر ، وتفقـد حيويتهـا ، وتجـف ، وتسقط أوراقها .

★ ★ ★

ما هى إذن المحبة الإلهية التى عندك ، التى هى مضخة ، توصل الحب إلى صلواتك، وأصوامك وتأملاتك ، وخدمتك ومعاملاتك للناس .

عندما بدأت حياتك : هل بدأتها بالسماع عن الله ، أم بالإيمان القوى بالله؟ ولذلك كمـا قلنا إن المحبة هى جذر من الجذور القوية فى النبات الروحى ، نقول أيضاً :

★ ★ ★

الإيمان هو أصل من الأصول القوية التى تحفظ الحياة .

فهل عندك هذا الإيمان . أم دخلت الكنيسة وأنـت طفل علـى إيمـان والديـك . وظللـت حتى الآن على إيمان والديك ، وليس لك الإيمان الشخصـى الـذى ينمو فـى محبـة اللـه ؟! هل عشت بالإيمان . فإن كان لك الإيمان القوى ، لا يمكن أن تجف . بل الذى له مثل هذا الإيمان، يقول مع المرتل :

إن سرت فى وادى ظل الموت ، لا أخاف شراً (مز٢٣) .

لماذا ؟ لأن الرب معى . أنا أؤمن بوجوده فى حياتى ، فلا أخاف مطلقاً أننى أجـف .. حتى إن ضعفت ، حتى إن سقطت . فالكتاب يقول " إن الصديق يسقط سبع مرات ويقوم" (أم٢٤: ١٩) . إن بطرس كان له إيمان كبير بالرب ، ومع ذلك سقط ، ولكنه قال للرب: هذا سقوط ضعف ، وليس سقوط خيانة . حدث أن بطرس الرسول سقط وسب ولعن وقال لا أعرف الرجل ، ومع ذلك قال للرب بعد القيامة " أنت تعلم يـارب كـل شـئ. أنـت تعلم أنى أحبك" (يو ٢١: ١٧) .

★ ★ ★

بعد سقطة بطرس بكى بكاءاً مراً ، لأن الجذر القـوى مـده بـالدموع وبالتوبـة . وهكـذا فالشخص الذى له أصل فى الأرض ، إن سقط يقول :

" لا تشمتى بى يا عدوتى ، فإنى إن سقطت أقوم " (مى٧: ٨) .

له أصل فى الأرض ، يقيمه إن سقط . والرب يقول إن الذى ليس له اصل " إذا حدث ضيق أو إضطهاد من أجل الكلمة ، فحالاً يعثر " (مت١٣: ٢١) . لذلـك يقـال عـن الـذى يرتد فى وقت الضيقة ، إنه " ليس له أصل " ، فجف وسقط .. لذلك لابد أن يكون للمؤمن أصول قوية ، منها الحب ، ومنها الإيمان .

★ ★ ★

من ضمن هذا الإيمان ، الإقتناع القوى بالحياة الروحية .

يكون مقتنعاً بالفضائل ، بكل تفاصيلها . ونحن نرى مثلاً أن الإقتناع يدفـع إلـى العمـل دفعاً قوياً . فالذى يكون مؤمناً بأهمية كرامته الشخصية مثلاً . إذا مـا مسـت هـذه الكرامـة تراه يثور لها ، وتقوم الدنيـا ولا تقعـد بسـبب ذلـك . كذلـك الـذى يؤمـن بأهميـة الإتضـاع والتسامح والوداعة مهما حاربه التأثر لكرامته يبقى إيمانه بالفضيلـة وبالروحيـات وإيمانـه بالطيبة والوداعة والتسامح. جائز أن البعض يؤمنون بالفضيلة مجرد إيمان عقلى .

أى أنه بعقله يقول إن المغفرة أفضل من الحقد ، والتسامح أفضل مـن انتقامـه لنفسـه . والإحتمال أفضل من الغضب والثورة . ولكـن عمليـاً هـذا غـير موجـود فـى حياتـه . إنـه مجرد إيمان عقلى ، وليس إيماناً قلبياً ولا عملياً . إنه إيمـان عقلـى بالفضيلـة ، ولكنـه فـى دائرة العقل فقط ، وليس له أصل ولا جذور داخـل القلـب ، إذا اختـبر عمليـاً لا يكـون لـه وجود ...

قيل إن الشياطين يؤمنون ويقشعرون .

إنه مجرد إيمان عقلى ، ليس له جذور ، غير مبنى على حب إلهى ، ولا إقتناع داخلى بالتنفيذ ...

★ ★ ★

لذلك أريدكم لا أن تهتموا فقط بالأعمال الظاهرة ...

إنما إهتموا بالأكثر بالعوامل الداخلية وليس الظاهرية فى الإيمان والحب .

لذلك فالشخص المؤمن إيماناً عملياً بالفضيلة والخير والحب نحو الله والناس ، إذا حورب فإن أصله الداخلى لا يسمح له بالسقوط . لذلك فإنها عبارة عجيبة أن يقول شخص:

" فلان كان يحبنى زمان ، أما الآن فليرحمنا الله " .

يقول " فلان تغير . لم يعد كما كان أولاً " ! لماذا ؟ هل هذا الحب لم يكن له أصل ، فلما هبت الرياح على هذا البيت سقط . ولماذا سقط ؟ لأنه لم يكن له أصل وأساس قوى ! ولم يكن له عمق ...

★ ★ ★

والمعروف أنه كلما يزيد الإرتفاع لأى مبنى ، لابد أن اساسه يزداد عمقاً وقوة ليحتمل، كما فى " ناطحات السحاب " .

وأنت بناؤك الروحى ، ليس هو مجرد ناطحات سحاب ، بل أنه يرتفع حتى السماء الثالثة، بل يصل إلى أورشليم السمائية مسكن الله مع الناس (رؤ ٢١: ٣) . فلابد أن تعمق أساساتك ، تجعل جذورك تمتد . وكلما تنمو يجب أن تجعل جذورك تمتد إلى تحت .

★ ★ ★

لذلك فإنه من الجذور التى تحمى الإنسان : تواضع القلب .

مهما إرتفع ، تواضع القلب يحميه ، ارتفع فى مركزه فى شعبيته ، فى قيمته عند الناس ، لابد أن يكون عنده إنسحاق قلب نازل إلى تحت ، تحت التراب ، حتى إنه مهما إرتفع من الخارج ، فإن جذور التواضع تجذبه إلى أسفل ، وتقول له : أعرف من أنت ؟ أنت مجرد تراب ورماد ، مهما إرتفعت .. هذا حقاً له أصل .

★ ★ ★

للأسف كثير من الناس يهتمون بالأعمال الخارجية الظاهرية ، ولا يهتمون بالجذور التى تحت .

يقول واحد منهم " لا أريد أن أغضب " . ويظل يكبت الغضب في داخله ، ولا يلفظ بأية لفظة خارجة . يضبط لسانه ويحاول أن يضبط أعصابه ، ولكن القلب من الداخل كله ثورة وسخط . وسكوت هذا الإنسان من الظاهر ليس له أصل .. ليس له أصل من الوداعة ، ولا من الإتضاع ، ولا من الحب ، ولا من الإحتمال . لذلك قد يضبط نفسه إلى حين ... وبعدها ينفجر !

أما الإنسان المتواضع ، فإن جذوره الداخلية تقول له : ألا تتذكر خطاياك . أنت فعلاً أخطأت فى أشياء كثيرة ، ولعلك تستحق ما يفعله هذا الإنسان بك ...

★ ★ ★

وهذا ما قاله بعض الآباء عن تحويل الخد الآخر ..

قال : بينما يكون المسئ إليك قد لطمك على خدك من الخارج ، تكون أنت تلطم نفسك من الداخل بتوبيخك لنفسك وبتذكرك خطاياك . فيكون هناك توافق بين داخلك وخارجك. أما مجرد الإحتمال الظاهرى الخارجى مع ثورة القلب الداخلية ، فإن هذا يوقعك فى الثنائية المتعبة . وتجد نفسك فى صراع بين ما هو كائن فيك ، وما ينبغى أن يكون ...

★ ★ ★

إنسان آخر قد يتقن صمت اللسان من الخارج ، ولكن قلبه من الداخل يروى فنوناً وفيه أفكار كثيرة .

إنه ليس له أصل ، مهما حاول أن يمسك لسانه فلا يتكلم ؟ حقاً إنه امتنع عن الخطأ بلسانه ، ولكن الخطأ فى قلبه لا يزال موجوداً . إنه إنسان ليس له أصل ، والله قارئ الأفكار وفاحص القلوب ، يعرف ما كان يريد هذا الإنسان أن يقوله ...

★ ★ ★

كإنسان يصوم من الخارج ، وليس له زهد فى الداخل .

هو يصوم الأربعين المقدسة ، وأسبوع الآلام ، ثم يقول " انتقمت لنفسى فى أيام الخمسين ، ومهما اشتهته عيناى فى تلك الأيام لم أمنعه عنهما ... إنه إنسان ليس له أصل فى الصوم ، كالذى يصوم وهو يحاول أن يتحايل على الصوم بالتفنن فى الأطعمة الصيامية وصنعها بطريقة مشتهاة .. إنه يصوم ولا ينتفع بالصوم ، وذلك بسبب أسلوبه الخاطئ ، ولأنه ليس له أصل فى الزهد فى المادة وفى شهوات الجسد ، وليس له أصل فى الإهتمام بالروح والسمو بها ...

طرق تبدو مستقيمة

هناك آية تكررت مرتين بنفس النص في سفر الأمثال وهي :

" توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة ، وعاقبتها طرق الموت " (أم١٤: ١٢) .

وهي بنفسها في (أم١٦: ٢٥) . ولابد أن لهذا التكرار أهمية خاصة ، في التركيز على نفس المعنى . فما هو هذا المعنى ؟

لعل المقصود أولاً ، أن الإنسان لا يجوز له أن يعتمد على مجرد رؤيته الخاصة للأمور وفهمه الخاص . فمن الممكن أن يخطئ ، ويظن أن الخير له في طريق تضره. ولذلك يقول الكتاب في نفس السفر :

" .. وعلى فهمك لا تعتمد " (أم٣: ٥) .

* * *

ولذلك لا يجوز للإنسان أن ينفذ كل ما يطرأ على ذهنه من أفكار ، أو من رغبات، قد تبدو له سليمة، بينما تتعبه أخيراً ... إذن فهمك وحده ، لا تعتمد عليه ، ولا تثق ثقة مطلقة بكل أفكارك وأتجاهاتك ...

هوذا الكتاب يلوم الإنسان " الحكيم في عيني نفسه ... " .

ويقول " أرأيت إنساناً حكيماً في عيني نفسه ؟ الرجاء بالجاهل أكثر من الرجاء به " (أم٢٦: ١٢) . إن الحكيم في عيني نفسه ، يسير حسب فكره وحده . وربما يرى إحدى الطرق مستقيمة ، بينما عاقبتها طرق الموت .

* * *

أول خطية للإنسان ، كانت تبدو له مستقيمة ، بينما عاقبتها الموت .

قالت الحية في إغرائها للأكل من الشجرة " تصيران مثل الله ، عارفين الخير والشر" . ولكن هذا الإغراء لم يتحقق، ووقع الإنسان تحت حكم الموت ، وطرده الله من الجنة...

* * *

والشيطان نفسه ، كانت طريقه تبدو له مستقيمة !

وذلك حيث قال " اصعد إلى السموات . أرفع كرسيّ فوق كواكب الله .. أصعد فوق مرتفعات السحاب . أصير مثل العليّ " (أش١٤: ١٣، ١٤) .. وكانت النتيجة أنه " إنحدر

إلى الهاوية ، إلى أسافل الجب " . وفقد مركزه كملاك ، وإنفصل عن الله إلى الأبد .

آدم دفعه الشيطان . أما الشيطان فدفعته شهوة قلبه الردية .

* * *

حقاً، كم من أناس، تجذبهم طرق تبدو أمامهم مستقيمة، كالباب الواسع والطريق الرحب...!

وقد حذر الرب من هذا الطريق في آخر العظة على الجبل . وقال عن هذا الباب الواسع إنه " يؤدى إلى الهلاك . وكثيرون يدخلون منه " (مت٧: ١٣) .. وعكس ذلك الباب الضيق والطريق الكرب المؤدى إلى الحياة ... ولاشك أن كثيرين ربما يختارون الباب الواسع ، ويظنون الطرق الرحبة هى الطرق المستقيمة !!

إذن لا تعتمد على فكرك فقط ، فربما يضيعك .

* * *

الإبن الضال كان يرى أن الخروج من بيت أبيه طريقاً مستقيمة ! (لو١٥) .

ستؤدى به إلى الحرية والمتعة ، وصحبة الأصدقاء ، والإنفاق كما يشاء ، وعدم الخضوع لقيود وأوامر ووصايا من الأب أو من نظام بيت أبيه . ولكن هذه الطريق التى كانت تبدو أمامه مستقيمة ، كانت نتيجتها هى ضياعه !

* * *

نفس الوضع مع رحبعام ، كان يرى أن طريق السلطة والكرامة هى الطريق المستقيمة .

كان يرى أنه ليس من الحكمة أن يتمرد أفراد الشعب على سلطانه ، قال لهم فى إعتزازه بالقوة " أبى أدبكم بالسياط ، وأنا أؤدبكم بالعقارب . أبى ثقّل نيركم، وأنا أزيد على نيركم " (١مل١٢: ١٤) . فكانت النتيجة أن عشرة أسباط إنقسموا عليه ، وكونوا لهم مملكة مستقلة عنه !!

* * *

مشورة اخيتوفل ، كانت تبدو مستقيمة فعلاً !

كان اخيتوفل مشيراً لداود النبى والملك ، قبل إنشقاقه عليه . وكان حكيماً فى نظر الناس. " كانت مشورة أخيتوفل التى يشير بها فى تلك الأيام ، كمن يسأل بكلام الله" (٢صم١٦: ٢٣) . كانت فى نظر الكل مستقيمة ، بينما " عاقبتها طرق الموت" . لذلك صرخ داود إلى الرب قائلاً " حمّق يارب مشورة أخيتوفل " (٢صم١٥: ٣١) ...

شاول الطرسوسى فى إضطهاده للكنيسة ، كان تبدو له طريقة مستقيمة .

ولذلك قال مرة مفتخراً "من جهة الناموس فريسى . من جهة الغيرة مضطهد للكنيسة" (فى٣: ٦) . كان يسمى إضطهاد الكنيسة غيرة مقدسة ! وفى سبيل هذه الغيرة " كان ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب " وكان يسوق رجالاً ونساءً موثقين إلى أورشليم " (أع٩: ١، ٢) .. واستمر فى هذه الطريقة ، حتى ظهر له الرب ، وأبعده عن هذه الطريق التى تبدو مستقيمة ، وعاقبتها طرق الموت ...

* * *

نفس الوضع بالنسبة إلى نيرون ودقلديانوس ...

وكل أباطرة الرومان الذين إضطهدوا المسيحية بكل عنف وقسوة ، ومعهم ولاتهم الجبابرة أمثال أريانوس والى أنصنا .. أولئك الذين افتنوا فى وسائل تعذيب المسيحيين ، وسجنهم وقتلهم . وكانون يظنون أن تلك هى الطريقة المستقيمة ، حفظاً لديانتهم الوثنية من خطر عبادة الله الحى ...

* * *

قيافا رئيس الكهنة ، ومعه مجمع السنهدريم ، فى إتهامهم للمسيح .

وكانوا يرون أن تلك طريق تبدو مستقيمة ، للتخلص من هذا المسيح الذى قالوا عنه إن الكل قد سار وراءه . وهكذا عقدوا مجمعاً وقالوا " ماذا نصنع ؟ فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة. فإن تركناه هكذا ، يؤمن الجميع به ، فيأتى الرومان ويأخذون موضعنا وأمتنا"!! وقال قيافا رئيس الكهنة فى تلك السنة " خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب، ولا تهلك الأمة كلها " !! (يو١٢: ٤٧- ٥٠) .. إنها طريق تبدو أمامه مستقيمة!!

* * *

وبنفس الغيرة التى تبدو مستقيمة ، ألقى دانيال فى جب الأسود ، والثلاثة فتية فى أتون النار (دا٣، ٦) .

وبنفس الشعور تقريباً صاح أهل أفسس فى ثورة عارمة دفاعاً عن آلهتهم قائلين "عظيمة هى أرطاميس الأفسسيين " (أع١٩: ٣٤) . وامتلأت المدينة غضباً . وأوشكوا أن يقتلوا القديس بولس الرسول فى ذلك اليوم .. إنها طريق تبدو لهم مستقيمة ، تدفعهم إليها غيرة جاهلة !

* * *

سليمان الحكيم فى كثرة زيجاته ومتعه ، كان يظنها طريقاً مستقيمة .

وهكذا شرح كل متعه هذه فى سفر الجامعة (٢: ٤ - ١٠) . وقال " عظّمت عملى .. فعظمت وإزددت أكثر من جميع الذين كانوا قبلى فى أورشليم . وبقيت أيضاً حكمتى معى. ومهما إشتهته عيناى لم أمسكه عنهما . لم أمنع قلبى من كل فرح " ... وأخيراً أضاعته كل هذه المتع ، وأضاعته نساؤه ، "وأملن قلبه وراء آلهة أخرى . ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه ، كقلب داود أبيه " (١مل١١: ٤) . وأخيراً عرف أن كل ذلك باطل ، وعاقبته طرق الموت ...

* * *

العجيب أن كل إنسان تبدو طريقه جميلة فى عينيه .

فكره هو أحسن فكر ، ورأيه هو أفضل رأى ! وتصرفه هو أحكم تصرف! ويعارض كل رأى يخالفه . وكما قال الكتاب " كل طرق الإنسان نقية فى عينى نفسه . والله هو وازن الأرواح " (أم١٦: ٢) .

حتى الذى يعيش فى الملاهى والخمر والمخدرات ...

يظن واهماً أن سعادته فى هذا اللهو ، والسكر ، وفى المخدرات التى تنقله إلى عالم آخر ، وعاقبتها طرق الموت .. طريق تبدو أمامه مستقيمة تدفعه إليها الشهوة .. وربما بسببها يسرق ويحتال ويقتل ، ليصل إلى هذه المتعة الجميلة فى عينيه ...

* * *

حتى طوائف المبتدعين والهراطقة ، يظنون طريقهم مستقيمة !

وليسوا فقط يتمسكون بها، بل ويدعون الناس إليها، ويحاورون من أجلها فى إصرار أو فى عناد شديد. ويحاربون الإيمان السليم فى عنف وبكل الوسائل، ويستخدمون الكتاب المقدس فى محاولة لإثبات هرطقاتهم .. طريق تبدو للإنسان مستقيمة ، وعاقبتها طرق الموت ... يقول كل واحد : مذهبى أحسن مذهب ، وعقيدتى أصح عقيدة . والباقون مخطئون .

* * *

التلميذ الذى يغش فى الإمتحان ، ألا يجد طريقه مستقيمة ؟!

طريقة سهلة فى الوصول إلى النجاح بأسهل السبل ، بدون تعب ومشقة ! بينما قد تؤدى به إلى الرفت ، وعاقبتها طرق الموت ..!

كذلك الإنسان الذى ينتقم ويتشفى ، ولو بمؤامرات ، تسأله ، فيقول : لابد أن أنتصر ، مهما كان الأمر ، وأكون أنا الأقوى. ويسمى تصرفه إنتصاراً .. إنها طريق تبدو مستقيمة.. وقس على ذلك أمثلة لا تحصى .

أسباب :

١ - جائز الطريق تبدو مستقيمة ، بسبب الجهل .

أو نتيجة التعليم الخاطئ ، يقبله إنسان ساذج أو جاهل ، فيظنه أنه الحق ، ويتمسك به ويدافع عنه ، ربما ثقة بمعلمه ، أو لأنه لم يسمع كلاماً مقنعاً عكس هذا الكلام . فيبدو أمامه هذا الفكر مستقيماً ، ويعتنقه .. وعاقبته طرق الموت .

★ ★ ★

ولذلك قال الرب " هلك شعبى من عدم المعرفة " (هو٤: ٦) .

من أجل ذلك كانت التوعية السليمة لازمة فى كل المجالات: فى الدين ، فى الروحيات فى العلم، فى الإجتماع ، فى الأسرة ، فى كل مجال .. لتقديم الفكر السليم الروحى ...

بالتوعية أمكن لنا بنعمة الله إصلاح ما كان يحدث فى (الموالد) وفى (المآتم)، وأبطلت كثير من الأعمال الخاطئة ، التى كان الناس قد تعودوها ، وكانت تبدو لهم مستقيمة .

★ ★ ★

٢ - جائز تبدو الطريق مستقيمة ، من أجل شهوة فى القلب .

وهذه الشهوة مسيطرة ، ويمكنها أن تخضع العقل لها ! حتى إننى قلت كثيراً: ما أسهل أن يكون العقل خادماً مطيعاً لرغبات النفس ! وهكذا تعمل كل قواه العقلية فى إثبات صحة ما يشتهيه وفائدته وشرعيته ، وتبدو طريقه أمامه مستقيمة !

كإنسان يجد سعادته فى تطليق زوجته ، يظل يبحث عن أسباب ، ويقنع نفسه ، ويحاول أن يقنع غيره ، بكافة الإثباتات ، أن تطليق هذه الزوجة هى الطريق المستقيمة ... لأنها الحل الوحيد لسعادته ... وعاقبتها طريق الموت ...

ومثال ذلك أيضاً من يحب إمرأة من غير دينه ، ويتعلق قلبه بها ، ويحب أن يتزوجها مهما ضحى ، حتى بدينه !

الشهوة دائماً تعمى العقل عن الرؤية السليمة .

★ ★ ★

٣- ممكن تصير كل طريق مستقيمة ، إذا تحول العقل الى الدهاء .

الى المكر ، الى الحيلة ، أو التحايل ، الذى يستطيع أن يجد حلاً لكل مشكلة ، وله مسالك كثيرة ، ويجعل كل التصرفات تلبس ملابس بيضاء لاخطأ فيها ... والعجيب أن الناس قد يمتدحون هذا العقل فى كل حيلة ويقولون "فلان ده جن"!! كما لو كان وصفه بالجن مديحاً !! وتبدو الطريق مستقيمة ...

★ ★ ★

٤- قد تبدو الطريق مستقيمة ، بتأثير الصحبة الشريرة .

التى تقدم للعقل أساليب جديدة ، وتبرر له كل مسلك خاطئ ، بل قد تغير تفكيره تماماً، وتعمل له ما يسميه البعض "غسل مخ" . فيتغير ، ويقبل ما كان يرفضه من قبل ، ويعتبره طريقاً مستقيماً ...

★ ★ ★

٥ - من الجائز أن التعلق بالمادة والعالميات ، يصور أموراً كثيرة بأنها مستقيمة .

هل تظنون أن التمسك بالروحيات ، وعدم محبة العالم وما فيه ، والزهد فى الماديات.. هل كل هذه تبدو عند الناس مستقيمة ، كلا ، طبعاً . بل يظنون العكس هو الوضع السليم، لأن المبادئ الروحية غير راسخة فيهم . يقول الرسول عن أمثال هؤلاء " الذين نهايتهم الهلاك، الذين آلهتهم بطونهم ، ومجدهم فى خزيهم ، الذين يفتكرون فى الأرضيات " (فى٣: ١٩) ... مع أن هذه الأرضيات ، عاقبتها طرق الموت ...

بل إنهم ينتقدون الشخص الروحى، ويقولون عنه إنه إنسان مسكين، محروم من الدنيا .

كما لو كانت (الدنيا) هى الهدف وهى الطريق المستقيمة ... ولاشك أن هؤلاء يحاربون التكريس والطريق الروحى ، ويلومون من يسيرون فى هذا الإتجاه ، لأنهم فى نظرهم مساكين لم يتمتعوا بالدنيا !!

★ ★ ★

ولكى ينجو الإنسان من طرق الموت ، لابد أن يرجع إلى الله ويعرف بطلان هذا العالم .

هذه الحقيقة هى التى عرفها سليمان الحكيم ، بعد أن تاه طويلاً فى متع العالم ، واكتشف أخيراً أن كلها باطل وقبض الريح .

هل الجسد عائق للفضيلة ؟ ومتى يكون عائقاً لهـا ؟

أحب أن أقول أولاً أن الجسد ليس خطيئة فى ذاته :

الجسد ليس خطيئة :

ليس الجسد شراً فى ذاته ، لأسباب عديدة :

١ - لو كان الجسد شراً ، ما كان الله قد خلقه . ونلاحظ أنه بعد أن خلق الله الإنسان - وله هذا الجسد - " نظر الله إلى كل ما عمله ، فإذا هو حسن جداً " (تك١: ٣١) .

٢ - لو كان الجسد شراً فى ذاته ، ما كان السيد المسيح قد تجسد ، ولبس جسداً مثلنا. وقيل عنه " والكلمة صار جسداً " (يو ١: ١٤) .

٣ - لو كان الجسد شراً ، ما كان الكتاب يقول " ألستم تعلمون أن جسدكم هو هكيل للروح القدس الذى فيكم .. " (١كو٦: ١٩) . وما كان يقول أيضاً " ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح " (١كو٦: ١٥) .

٤ - لو كان الجسد شراً ، ما كان الله يقيم هذا الجسد !! ويكفى أن الإنسان قد احتمله على الأرض، ولا داعى أن يحتمله أيضاً فى الأبدية !!

٥ - لو كان الجسد شراً ، ما كان الله يمجد هذا الجسد فى القيامة ، فيقوم جسداً روحياً وجسداً سماوياً (١كو١٥: ٤٤، ٤٩) .. " يقام فى قوة ، وفى مجد ، ويلبس عدم موت " (١كو١٥: ٤٣، ٥٣). بل يكون ممجداً فى شبه جسد الرب الممجد ، كما يقول الرسول عن الرب " الذى سيغير شكل جسد تواضعنا، ليكون على صورة جسد مجده " (فى٣: ٢١) .

٦ - لو كان الجسد شراً ، ما كان الكتاب يقول " قدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة .. (رو١٢: ١) . بل ما كان يقول " مجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله (١كو٦: ٢٠) .

وعلى الرغم من كل هذا يتحدث الكتاب كثيراً ضد الجسد (رو٨) ، و" أعمال الجسد" (غل ٥: ١٩) ، والإهتمام بالجسد ، والسلوك حسب الجسد (رو٨: ١- ٩) ...

فعن أى جسد يتكلم ؟ إنه لا يتكلم عن الجسد فى ذاته ، أو الجسد بصفة عامة ، إنما عن الجسد الخاطئ .

الجسد الخاطئ :

☩ إنه الجسد الذى يقاوم الروح ...

هذا الذى قال عنه الرسول " الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد ، وهذان يقاوم أحدهما الآخر ، حتى تفعلون ما لا تريدون " (غل٥: ١٧) .

هذا الجسد الخاطئ ، ذكر الرسول فى نفس الرسالة أمثلة عديدة من أعماله الخاطئة (غل٥: ١٩- ٢١) .

★ ★ ★

☩ والجسد الخاطئ هو الجسد الشهوانى .

وشهواته مادية ونجسة . ولذلك يقول الرسول " اسلكوا بالروح، فلا تكملوا شهوة الجسد" (غل٥: ١٦) . وشهوة الجسد قد تكون " الزنى والنجاسة والدعارة " (غل ٥: ١٩). وقد تكون شهوة البطنة التى هى فى الطعام والشراب والسكر . أو قد تكون فى شهوة أمور حسية تتحول إلى عادة مسيطرة أو إلى إدمان ، مثل التدخين والمخدرات ...

★ ★ ★

☩ والجسد الخاطئ هو الذى يقود الروح والنفس إلى الخطأ .

فحينما تخطئ حواسه ، تشرك معها نفسه وروحه ، فيتدنس الإنسان كله روحاً وجسداً. كما قال الرب " من نظر إلى إمرأة ليشتهيها ، فقد زنى بها فى قلبه " (مت٥: ٢٨). فهناك إشتراك بين الجسد فى نظره ، وبين النفس فى شهواتها ، والروح التى يمثلها القلب ...

★ ★ ★

انظروا إلى سليمان كيف أخطأ حينما استسلم إلى شهوات الجسد .

وقال " بنيت لنفسى بيوتاً ، غرست لنفسى كروماً ، عملت لنفسى جنات وفراديس ... جمعت لنفسى أيضاً فضة وذهباً .. أتخذت لنفسى مغنين ومغنيات ، وتنعمات بنى البشر سيدة وسيدات .. ومهما اشتهته عيناى لم أمسكه عنهما " (جا٢: ٤- ١٠) . وهكذا عاش

حياة جسدانية .. وسقط عن طريق النساء (١مل١١) . بل يقول عنه الكتاب إن " نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى. ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب " (١مل١١: ٤) .

* * *

وهكذا استطاع جسده أن يهوى بروحه إلى عمق الخطية .

ولم يمجد الله فى روحه ، ولا فى جسده . بل سقط كله !

حقاً ما أعمق العبارة التى قالها القديس بولس الرسول :

" **ويحى أنا الإنسان الشقى . من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟!**" (رو٧: ٢٤) .

أعضاء خاطئة :

قد لا يخطئ الجسد كله ، ولكن يخطئ عضو واحد منه ، فيتدنس الجسد كله ، ويدنس الروح معه أيضاً .

*** خذوا اللسان كمثال ، وهو عضو صغير .**

ولكن كما يقول القديس يعقوب الرسول " هكذا اللسان أيضاً ، هو عضو صغير ويفتخر متعظماً . هوذا نار قليلة ، أى وقود تحرق . فاللسان نار ، عالم الإثم .. الذى يدنس الجسم كله . ويضرم دائرة الكون ويضرم من جهنم " (يع٣: ٥، ٦) .

انظروا كم هو عدد الخطايا ، التى يقع فيها الإنسان نتيجة لسقطات اللسان ، كما يقول الكتاب " بكلامك تتبرر ، وبكلامك تدان " (مت١٢: ٣٧) .

بل باللسان يتنجس الإنسان ، كما يقول الرب " .. بل ما يخرج من الفم ، هذا ينجس الإنسان " (مت١٥: ١١) .

* * *

وكما نذكر دنس اللسان ، نذكر دنس العين أيضاً .

فإن كانت محبة العالم هى عداوة لله كما قال القديس يعقوب الرسول (يع٤: ٤) ... فهوذا القديس يوحنا الرسول يقول " إن أحب أحد العالم ، فليست فيه محبة الآب . لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد ، وشهوة العين ، وتعظم المعيشة " (١يو٢: ١٥، ١٦) .

شهوة العين التى وقعت فيها أمنا حواء ، لما نظرت إلى الشجرة فإذا هى " بهجة للعيون، وشهية للنظر " (تك٣: ٦) .

وما أكثر الخطايا التى تقع فيها العين .

حينما ينظر الإنسان نظرة شهوة ، أو نظرة غضب أو حقد ، أو نظرة حسد أو إنتقام، أو نظرة كبرياء أو أستهزاء بالغير ، أو ينظر نظرة ماكرة ، أو نظرة قاسية .. وتتعدد الخطايا ، وتظهر صورتها واضحة فى العين .

* * *

وما أكثر الأعضاء الأخرى التى تخطئ ...

اليد التى تسرع إلى الضرب ، أو إلى القتل ، أو إلى السرقة ، أو إلى خطايا أخرى عديدة ...

والقدم التى تسرع إلى أماكن الخطية ...

أو ملامح الوجه ، التى تظهر عليها الكبرياء ، أو الغضب ، أو القسوة .. وكل هذه ناتجة عن نزوات الجسد أو إنفعالاته أو شهواته ...

لهذا كله ولغيره ، تحدث الكتاب عن إخضاع الجسد .

إخضاع الجسد :

✠ لعل من أهم الآيات وأخطرها فى إخضاع الجسد ، هو قول القديس بولس الرسول "بل أقمع جسدى واستعبده . حتى بعد ما كرزت لآخرين ، لا أصير أنا نفسى مرفوضاً " (١كو٩: ٢٧) .. إنها عبارة مرعبة يقولها هذا القديس الذى صعد إلى السماء الثالثة (٢كو١٢: ٢) . والذى تعب أكثر من جميع الرسل (١كو١٥: ١٠) .. لكى يرينا بهذا خطورة الجسد ، وأهمية إخضاعه وقمعه وإستعباده ...

* * *

✠ ومن الأقوال البارزة أيضاً فى إخضاع الجسد ، هى قول الرسول " ولكن الذين هم للمسيح ، قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات " (غل٥: ٢٤) . أى أن كل شهوة للجسد ضد السلوك بالروح ، يدقون فيها مسماراً ويصلبونها ، فلا تتحرك فيهم فيما بعد .

* * *

ومن الوسائل الهامة لإخضاع الجسد ، فضيلة الصوم .

سواء من جهة إخضاع الجسد بالإمتناع عن الطعام ، وبتحمل الجوع ، أو بالإمتناع عما تشتهيه من الأطعمة ، كما قال دانيال النبى فى صومه " لم آكل طعاماً شهياً ، ولم

يدخل فمى لحم ولا خمر" (دا١٠: ٣) . وإن لم تستطع الإمتناع الكامل ، فلتقلل .

وكما تمنع جسدك عن الأكل ، تمنعه عن الشهوات الأخرى .

* * *

ومن وسائل إخضاع الجسد ، ضبط الحواس ، واللسان .

ضبط النظر ، والشم ، واللمس ... وكما قال الرب فى العظة على الجبل " إن كانت عينك اليمنى تعثرك، فاقلعها والقها عنك .. وإن كانت يدك اليمنى تعثرك ، فاقطعها والقها عنك " (مت٥: ٢٩، ٣٠) .. على الأقل تقطع شهواتها ...

* * *

من وسائل ضبط الجسد أيضاً السهر .

ونقصد به السهر فى الصلاة والعبادة . كما قال الرب " اسهروا وصلوا ، لئلا تدخلوا فى تجربة " (مت٢٦: ٤١) . وكما قال أحد الآباء " اغصب نفسك فى صلاة الليل ، وزدها مزامير " ...

* * *

ومن وسائل ضبط الجسد : الزهد والنسك .

على الأقل البعد عن الترفيهات والكماليات ، وعن المبالغة فى الزينة العالمية ، فقد ركز الرسول على " زينة الروح الوديع الهادئ ، الذى هو قدام الله كثير الثمن " (١بط٣: ٤) المهم هو أن تتزين الروح بالفضائل . كما يقول عنها فى النشيد " معطرة بالمر واللبان وكل أذرة التاجر " (نش٣: ٦) .

وليعرف الإنسان أن الجسد ليس للمتعة والترفيه .

بل هو لتمجيد الله ، كما قال الرسول " مجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله " (١كو٦: ٢٠) .

كيف نمجد الله بأجسادنا ؟

أولاً : باشتراك الجسد مع الروح فى عملها .

الروح مثلاً تصلى ، والجسد يشترك معها فى الوقفة الخاشعة ، وفى رفع اليدين ، وحفظ الحواس ، وفى الركوع والسجود .. نقول ذلك لأن البعض يخطئون ويظنون أن الله

" إله قلوب " فقط ، فلا يهتمون باشتراك الجسد !! وقد يصلون وهم جلوس ، وربما وهم مستلقون على الفراش !!

أو بعض الأجانب الذين لا يخلعون أحذيتهم فى دخولهم إلى الهيكل ناسين قول الكتاب " أخلع حذاءك من قدميك ، لأن المكان الذى أنت واقف عليه موضع مقدس " (خر٣: ٥) (يش٥: ١٥) .

* * *

٢ - **نمجد الله بتعب الجسد فى الخدمة .**

كما قال الرسول عن خدمته " فى أتعاب فى اسهار فى أصوام " (٢كو٦: ٥) وأيضاً "فى الأتعاب أكثر .. بأسفار مراراً كثيرة .. بأخطار فى البرية ، بأخطار فى البحر .. فى تعب وكد ، فى أسهار مراراً كثيرة ، فى جوع وعطش، فى أصوام مراراً كثيرة ، فى برد وعرى .. " (٢كو١١: ٢٣- ٢٧) .

آباؤنا كانوا فى خدمتهم وفى بذلهم كالشمعة التى تذوب لكى تضئ للآخرين . لذلك نوقد الشموع أمام أيقونات القديسين ، لأن حياتهم كانت نوراً ، ولأنهم بذلوا أنفسهم فى خدمتهم وعبادتهم .

* * *

٣ - **آباؤنا الشهداء لاشك مجدوا الله بأجسادهم .**

ولذلك فالكنيسة ترفع الشهداء فوق درجات القديسين الآخرين ، لأنهم تألموا كثيراً من أجله . وكما يقول الكتاب " إن كنا نتألم معه ، فلكى نتمجد معه أيضاً " (رو٨: ١٧) .

* * *

٤ - **أما نحن ، فعلى الأقل فلنمجده بتعب الجسد .**

كان القديس الأنبا بولا يتعب كثيراً بالجسد فى نسكه وفى جهاده الروحى ، حتى ظهر له الرب وقال له " كفاك تعباً يا حبيبى بولا " . فرد القديس " وماذا يكون تعبى إلى جوار ما بذلته لأجلنا يارب " .

* * *

٥ - **إننا نمجد الله أيضاً عن طريق طهارة الجسد .**

حتى يستريح روح الله فى داخلنا ، إذ يجد أجسادنا هياكل مقدسة له ... وحتى بطهارة الجسد نقدم للناس الصورة الإلهية ، وأيضاً نستطيع التقدم إلى الأسرار المقدسة ، ونتطهر

بها أيضاً ...

ومن مظاهر هذه الطهارة العفة ، والحشمة .

أجساد القديسين :

هؤلاء القديسون الذين مجدوا الله في أجسادهم ، مجد الله أجسادهم كذلك .

مثال ذلك جسد العذراء الذى أصعده الله إلى السماء .

وكذلك الكرامة التى كانت تمنح لهذه الأجساد ، حتى أن عظام أليشع كان لها البركة التى لمسها ميت فقام (٢مل١٣: ٢١) .

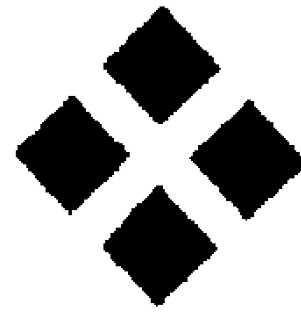
★ ★ ★

وقد مجد الله أجساد القديسين حتى فى حياتهم .

مثل وجه موسى النبى الذى أضاء بنور بعد مقابلته للرب على الجبل، حتى أن الشعب لم يستطع النظر إليه ، فوضع على وجهه برقعاً ، ليمكنهم النظر إليه (خر٣٤: ٣٠- ٣٥).

ومثل وجه اسطفانوس الشماس الذى أثناء محاكمته " شخص إليه جميع الجالسين فى المجمع ورأوا وجهه كأنه وجه ملاك " (أع٦: ١٥) .

ومن أمثلة ذلك المناديل ، والعصائب التى كانوا يأخذونها من على أجساد الرسل ، فتشفى الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة (أع١٩: ١٢) .



مِـن عَـوائـق الفضـيـلة
التسـاهل مع الخطيـَـة

كثيرون يبدأون مع الله بداية طيبة ، مشتعلة بالحب ، ولكنهم لا يستمرون ، وتبرد فيهم هذه المحبة الأولى ، فما السبب ؟

من ضمن الأسباب البارزة : التساهل مع الخطية ومع النفس ...

* * *

كيف سقط الإنسان الأول ؟ سقط بالتساهل مع الخطية .

تساهل لنفسه أن يجلس إلى الحية ويسمع منها كلاماً ضد الوصية ، فقاده إلى الإغراء، ثم إلى الضعف فالسقوط .

لم تكن حواء حازمة مع الفكر الخاطئ الذى قدمته الحية . إنما قبلته ، وناقشته ، ثم استسلمت له وانتصر عليها الفكر ثم تطورت إلى خطايا أخرى كثيرة . وفقدت بساطتها ، ونقاوتها ...

* * *

كثيرون سقطوا نتيجة للتساهل وعدم التدقيق ، كما فى سفر القضاة .

يحكى لنا هذا السفر ، كيف أن بنى إسرائيل وقعوا فى عبادة الأصنام ، وعبدوا آلهة الأمم . وعبدوا ملوك الأمم ، وأسلمهم الرب إلى أيدى أعدائهم فأذلوهم . فكيف حدث هذا؟

نبحث عن سبب هذا السقوط وهذا الذل ، فنجد أنهم لما دخلوا الأرض ، استبقوا بعض الكنعانيين فيها ، مجرد إهمال ، أو تساهل ، أو رغبة فى فائدة معينة .. ثم اختلطوا بهم، وزادت الصلة ، وتزاوجوا منهم .. وتطور الأمر إلى أنهم عبدوا آلهتهم .. وكل هذه المشكلة سببها التساهل فى الإختلاط بالأمم !

* * *

لا تظنوا أن الشيطان عندما يوقع الناس ، يبدأ بضربة قاضية ! كلا ، بل قد يبدأ بشئ بسيط ، ثم يتدرج به ...

قال عنه أحد الآباء إنه " فتال حبال " وحباله طويلة إلى أبعد الحدود . قد يرسم خطة

لعشرة سنوات ، يسقط فيها إنساناً بعد هذه المدة ، بسياسة بعيدة المدى، سياسة التدرج والنفس الطويل ، بطريقة قد تبدو غير محسوسة ... !

★ ★ ★

فلنأخذ مثالاً آخر للسقوط التدريجى ، هو شمشون الجبار .

إنه رجل الله ، الذى حل عليه روح الرب . كان يسكن فى أورشليم، وتساهل فى أن يذهب منها أحياناً إلى غزة . وفى غزة وجد لذة لنفسه ، فكثر تردده عليها، وأقام ، واتخذ له إمرأة . ثم تدرجت علاقاته الخاطئة ، إلى أن تعرف أخيراً على دليلة ، وتدرك معها حتى باح لها أخيراً بسره ، وبنذره وسقط السقوط الأكبر الخطير .

ومتى صحا لنفسه ، أخيراً .. بعد أن فقد بصره ، وأذله أعداؤه ، وطلب إلى الرب أن تموت نفسه معهم ...!

★ ★ ★

يعقوب أبو الآباء تساهل فى غلطة تحولت عنده إلى طبع .

تساهل مع نفسه ، فى استخدام الحكمة البشرية ، بدلاً من مشيئة الله ، فاعتمد على ذكائه ودهائه وجلب لنفسه الويل .

استخدم ذكاءه وحيلته لما وجد أخاه جائعاً ويطلب منه طعاماً ، فاتخذها فرصة لأن يشترى بكوريته . ثم استخدم أيضاً الحيلة والعمل البشرى لما خدع أباه وأخذ البركة . واستخدم نفس الأسلوب في الإستيلاء على غنم خاله لابان . واستخدم الفكر البشرى فى النجاة من أخيه عيسو ، وصار هذا الأمر طبعاً تطبع به ...

وقد أدبه الرب بأن أذاقه من نفس الكأس ، فسمح أن يخدعه خاله في تزويجه من ليئة، وأن يخدعه أبناؤه فى قولهم له إن يوسف قد افترسه وحش ردئ .

إن يعقوب لم يترك تصريف أموره لله منذ البدء ، وتساهل فى استخدام الحيل البشرية ، حتى تمكن منه هذا الطبع .

وكثيرون وقعوا فى نفس الخطية ، تركوا الوصية جانباً ، ولجأوا إلى الحكمة البشرية والذكاء الخاص ، لعلهم يصلون بهذا !

★ ★ ★

كثير من السرقات الروحية ، تأتى بالتدرج البطئ ، الذى لا يحس .

إن الهبوط المفاجئ الشديد ، يتنبه له الإنسان ، ولكنه قد لا يشعر بالنزول التدريجى

البطئ ، فتسرقه خطة الشيطان ، لهذا ما أجمل قول الكتاب فى سفر نشيد الأناشيد :

" خذوا لنا الثعالب ، الثعالب الصغيرة ، المفسدة للكروم " ...

إن الثعلب الكبير الماكر قد يلفت نظرك ، وقد يقتحم أسوارك بصعوبة ، أما الثعالب الصغيرة ، فإنها قد تجد لها مدخلاً إليك ، من أى ثقب بسيط داخل نفسك لست ملتفتاً إليه .

كثيرون سقطوا ، لأنهم وقعوا فيما نسميه بالصحو المتأخر .

أى أنهم لم يستيقظوا لأنفسهم ويعرفوا حالتهم إلا متأخرين ، بعد أن تمكنت الخطية منهم . وسنضرب لذلك أمثلة :

* * *

لنأخذ مثال لوط ، وكيف صحا متأخراً جداً ، فسقط كثيراً .

بدأت خطة الشيطان بفصله عن أبينا ابراهيم ، عن القدوة الصالحة ، عن رجل الله ، وعن المذبح والإرشاد الإلهى ، وتساهل لوط فى هذه النقطة ، ووافق أن يسكن بعيداً ، ثم وافق أن يختار لنفسه ، وفى الإختيار سقط فى محبة الأرض المعشبة ، وهكذا اختار سادوم على الرغم من فسادها ...

وفى سكنى سادوم ، تدرج أيضاً فلم يدخل فى أعماقها مرة واحدة . ولكنه ما لبث أن اختلط بأهلها ، ثم تزاوج معهم . ووقع معهم فى السبى ، لم يستيقظ ضميره . وظل فى المدينة، كان الرجل البار يعذب نفسه يوماً يوماً فى الإختلاط بهؤلاء الأشرار (٢بط٢: ٨).

وأخيراً متى صحا ؟ عندما جاءه الملاكان ينذرانه بهلاك المدينة وخرج منها . وقد فقد كل ما كان له حتى زوجته .

* * *

كان لوط درساً . فلنأخذ مثالاً لتدقيق القديسين ، من قول الكتاب :

" كل كلمة بطالة تخرج من أفواهكم ، تعطون عنها حساباً فى يوم الدين " .

لم يفهم القديسون عبارة (الكلمة البطالة) على أنها الكلمة الشريرة مثل الكذب والشتيمة والتجديف والإدانة، وإنما فهموا الكلمة البطالة ، على أنها كل كلمة ليست للمنفعة، ليس للبنيان، لا تبنى نفس السامع ، ولا تبنى الملكوت ... وهكذا صمتوا ، لا يتكلمون إلا بحساب ، حينما يرون أن كلامهم سيكون للبنيان .. الروحى .

* * *

لاشك أن الذى يدقق فى كلامه ، بحيث لا يلفظ إلا بكلام نافع روحياً ، ليس من السهل

أن يلفظ بكلمة شريرة ...

إن التدقيق هام جداً ، نرى له مثالاً فى وصية الرب :

" **إن أعثرتك عينك فاقلعها عنك . وإن أعثرتك يدك اليمنى فاقطعها ... " إلى هذا الحد، طلب الرب منا أن ندقق .**

* * *

من أمثلة التساهل مع الخطية ، التساهل مع الأفكار ...

فبينما يقول بولس الرسول " مستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح " نجد إنساناً يتساهل مع الفكر ، فيتحول إلى شعور . ويتساهل مع الشعور ، فيتحول إلى شهوة ، ويتساهل مع الشهوة فتحاول أن تجد منفذاً إلى الخارج تعبر به عن ذاتها بأشياء عملية . وإن تساهل مع هذه الأشياء العملية ، تتدرج به خطوة خطوة ، حتى تقتلع كل روحياته من جذورها .

قد تتساهل مع الفكر ، تقبله ، تناقشه ، ثم يتمكن منك ، فتحاول أن تتخلص منه ولا تستطيع ، لأنه ثبت اقدامه داخلك بتساهلك . ولاشك أنك كنت تقوى عليه فى بادئ الأمر.

* * *

هناك أشخاص فى منتهى الحزم ، لا يتساهلون مع أنفسهم .

لهم رقابة شديدة على أنفسهم ، رقابة على كل فكر ، على كل شعور ، على كل حس، على كل تصرف، على كل لفظ ...

وأحياناً يبدأ الإنسان بهذا الحزم ، فى أول علاقته مع الله ولكنه بعد حين يتساهل . يسمح لأشياء تدخل إلى نفسه ، وهذه الأشياء تكبر ، ويبحث عن روحياته فلا يجدها .

* * *

الإنسان الروحى لا يتساهل ، حتى مع الأشياء التى تبدو بسيطة .

إن الذى يحترس من الأشياء الصغيرة ، لا يقع فى الكبائر .

قالت القديسة سارة فى النسك " إن فماً تمنع عنه الماء ، لا يطلب خمراً . وبطناً تمنع عنها الخبز ، لا تطلب لحماً " ...

يحتاج الإنسان أن يكون مدققاً جداً فى كل تصرف ، لا يوسع ضميره ، ويقول : هذا الأمر بسيط ، ولا تأثير له ...

* * *

الشيطان يخاف أولاد الله الحقيقيين ، لأنهم صورة الله ومثاله ، ولأنهم هيكل للروح

القدس، ولأن الله يعمل فيهم ونعمته معهم. لهذا كان الشيطان يهرب خائفاً أمام القديسين... لما نفى القديس الأنبا مقاريوس إلى جزيرة فيلا ، فحالما رآه شيطان كان على إبنة كاهن الأصنام، صرخ الشيطان قائلاً " ويلاه منك يا مقارة، تركنا لك البرية ، فجئت إلى هذه الجزيرة لتطردنا منها أيضاً " .

* * *

وقصص خوف الشيطان من القديسين كثيرة جداً .

ولكنه يجس نبض المؤمن العادى ويختبره : من أى نوع هو : فإن وجده متراخياً أمامه ، ويقبل أفكاره ، ويفتح له أبوابه ، ويخون الرب بسببه ، حينئذ تسقط هيبة هذا الإنسان ، ويلعب به الشيطان !

وإذ يسلم الإنسان نفسه للشيطان ، إنما يبعد عنه الملائكة التى تحرسه ، ويرفض العمل الإلهى فيه .

* * *

كلما يتساهل الإنسان مع الخطية ، على هذا القدر تضعف إرادته ، وتفتر محبته ، ويقل إحتراسه ، ويفقد صلابته ...

إنك تكون فى ملء قوتك فى بداية الحرب الروحية ، وكلما تتساهل تضعف ، وتجد أن مقاومتك قد قلت ، وتجد أن تأثير الخطية قد زاد عليك . وعندما تحاول الهروب ، تجد عقبات فى داخلك، وتقع فى صراع ، ويبدأ الجو يرتبك معك .

* * *

سبب ضعفك عندما تتساهل مع الخطية ، هو وقوعك فى الخيانة ، وبخيانتك لله ومحبته ، وبخيانتك لعهودك الروحية ، تتنازل عن النعمة المعطاة لك ، وترفض السلاح الروحى ، بل تطفئ الروح ، وتحزن روح الله القدوس الذى فيك .. وتنهار فتسقط .

وعندما تتساهل مع الخطية ، تضعف مثالياتك وتهبط مستوياتك الروحية وتنسى الحزم الذى قال به يوسف " كيف أخطئ وأفعل هذا الشر العظيم أمام الله " .

وبتساهلك مع الخطية ، تفقد هيبتك الروحية أمام الشياطين .

لذلك ابعد عن الخطوة الأولى . كن حازماً ، واسلك بتدقيق .

الخطيئة الكبرى في حياتك

كثيراً ما يخطئ الإنسان ، وينسى ما قد ارتكبه . ولكن تقف خطية معينة أمامه ، لا يستطيع أن ينساها ...

مثال ذلك داود النبى : إنه يقول للرب فى صلاته " إن كنت للآثام راصداً يارب ، يارب من يثبت؟!" (مز١٣٠: ٣) " لا تدخل فى المحاكمة مع عبدك ، فإنه لن يتزكى قدامك أى حىّ " (مز١٤٣: ٣) . " خطايا شبابى وجهالاتى لا تذكر " (مز٢٥: ٦) .

كل هذه يطلب من الله ألا يذكرها ، لأنها كثيرة ، وجهالات ، ولن يتزكى منها أحد . وهى مثل السهوات التى يقول عنها " السهوات (الهفوات) من يشعر بها . من الخطايا المستترة ، يارب أبرئنى" (مز١٩: ١٢) .

* * *

ومع كل ذلك هناك خطية يقول عنها " خطيتى أمامى فى كل حين " (مز٥١: ٣) .

لقد تركت عمقاً معيناً فى مشاعره ، وعمقاً آخر فى ذاكرته ، بحيث لم يستطع أن ينساها، هي التى هزته هزاً فقال " تعبت فى تنهدى ، أعوّم كل ليلة سريرى ، وبدموعى أبل فراشى " (مز٦) .

كذلك شمشون: لاشك أنه ارتكب خطايا كثيرة ، شرحها فى سفر الخطاة . ولكن خطية كبرى هزت كيانه كله . وهى أنه باح بسرّه لدليلة ، مما أدى إلى كسر نذره ، وإنتصار أعدائه عليه ، وفقأ عينيه، وأخذه أسيراً يجر الطاحون (قض١٦) . هذه الخطية لم ينسها مطلقاً ...

* * *

ومثل داود وشمشون ، هناك سليمان .

لقد غرق فى الملاذ العالمية إلى أعماقه ، ولم يتعب ضميره شئ من ذلك كله (جا٢: ٩ ، ١٠) ثم ارتكب خطيته الكبرى التى ذهب فيها وراء عشتاروت إلهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين ، وبنى مرتفعة لكموش رجس الموآبيين .. ولمولك رجس بنى عمون (١مل١١: ٥ - ٧) .

هذه ليس فقط سليمان لم ينسها ..

بل الله نفسه ، لم يتركها له ...

وهكذا فرض الله عليه عقوبات " وغضب الرب على سليمان .. " (١مل١١: ٩-١٣). ونفذ الله وعده فيه ، حينما قال عنه " إن تعوّج أؤدبه بقضيب الناس ، وبضربات بنى آدم " (٢صم٧: ١٤) . وهكذا اقام الرب عليه خصوماً لتأديبه : هدد الأدومى، ورزون بن اليداع، ويربعام بن نباط .. " (١مل١١: ١٤، ٢٣، ٢٦) .

* * *

مثال ذلك فتاة تخطئ فى علاقاتها بشباب ...

ويمر ذلك عليها سهلاً ، تفيق من علاقة لتدخل فى أخرى ، بضمير نائم ، ثم تصحو منزعجة على خطية كبرى تفقد فيها بكارتها ، وقد تحبل . وتجد نفسها مساقة إلى عملية إجهاض لتقتل جنيناً . والعملية تحتاج إلى مال كيف تحصل عليه ؟ ويحتاج الأمر كله إلى مجموعة من الأكاذيب لتغطيته، فيحفر فى عقلها وفى أحاسيسها وقائع لا يمكن أن تنسى!!

* * *

إنها كالخطأ الذى يقع فيه الإنسان ، فيضيع مستقبله كله .

كطالب يضبط فى غش ، ويرفت سنتين من الكلية ، وتضيع سمعته ، وتلاحقه أنظار الناس وألسنتهم .. أو شاب آخر يقع فى إدمان المخدرات ، وتكون هى الخطية الكبرى فى حياته ، تحطم نفسيته وأعصابه وسمعته ، سواء شفى من الإدمان أو لم يشف .

وأصعب من هذين ، إنسان يصاب بمرض الأيدز الذى يحطم صحته وسمعته ، ويجره نحو الموت جراً . ويصرخ فى داخله : كيف سقطت ؟! وكيف ضعت ؟! إنها غلطة العمر ...

* * *

وغلطة البشرية كلها ، هى خطية آدم وحواء .

بكل ما جلبته من نتائج خطيرة استمرت دهوراً .

خطية فسدت بها الطبيعة البشرية كلها . وكان يلزم لعلاجها التجسد والفداء ... وبلغ من خطورتها أن ترك الله آثار باقية حتى الآن . بقوله لآدم " بعرق جبينك تأكل خبزاً ، حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها ، لأنك تراب وإلى التراب تعود " . وبقوله لحواء " تكثيراً أكثر أتعاب حبلك ، بالوجع تلدين أولاداً " (تك٣: ١٦- ١٩) ... واستمرت آثار هذه الخطية ، مهما حاول الإنسان أن يتمرد على ذلك ...

هناك خطايا تسببت فى هلاك مقترفيها .

وماتوا فى خطاياهم هالكين : مثل خطية يهوذا . ولاشك أن يهوذا كانت له خطايا كثيرة ، ومنها أنه " كان سارقاً . وكان الصندوق عنده ، وكان يحمل ما يُلقى فيه " (يو١٢: ٦) . ولكن خيانته لسيده ، كانت الخطية الكبرى التى لم يستطع أن يحتملها ، فمضى وخنق نفسه " (مت٢٧: ٥) .

كذلك خطية أولاد عالى الكاهن التى قال عنها الرب " لا يكفّر عن شر بيت عالى بذبيحة أو بتقدمة إلى الأبد " (١صم٣: ١٤) .. وبنفس الغضب حكم الرب على عالى نفسه " من أجل الشر الذى يعلم أن بنيه قد أوجبوا به اللعنة على أنفسهم ، ولم يردعهم " (١صم١٣: ١٣) .

أيضاً خطية حنانيا وسفيرا ، التى استحقا بها الموت مباشرة دون إعطائهما فرصة للتوبة (أع٥) .

* * *

وهناك خطايا امتدت آثارها أجيالاً طويلة .

مثل لعنة كنعان ، للإستهانة بكرامة الأب . ومع أنها خرجت من فم أبينا نوح (تك٩: ٢٥) إلا أنها استمرت إلى أيام السيد المسيح نفسه الذى استخدمها فى حديثه مع المرأة الكنعانية (مت١٥: ٢٦) .

ومثل عقوبة الله على الذين بنوا برج بابل ، جزاء لكبريائهم وغرورهم . فقال الرب "تبلبل ألسنتهم " (تك١١: ٧) . ولا تزال بلبلة الألسنة قائمة إلى يومنا هذا ...

* * *

هناك خطايا عديدة لم تسجل فى الكتاب المقدس ، الذى قال بصيغة إجمالية " الكل قد زاغوا معاً وفسدوا" . ليس من يعمل صلاحاً ، ليس ولا واحد " (مز١٤: ٣) .

ومع ذلك سجل الكتاب خطايا معينة . وسجل معها أيضاً عقوبات لها .

سجل خطايا الزنا الجماعى ، الذى أدّى إلى الطوفان (تك٦) . وسجّل الشذوذ الجنسى الذى أدى إلى حرق سادوم (تك١٩) وسجل محاولة إغتصاب سر الكهنوت التى وقع فيها قورح وداثان وأبيرام، ففتحت الأرض فاها وابتلعتهم (عد١٦) . وسجل خيانة أبشالوم لأبيه داود (٢صم١٦- ١٨) . وسجل إنكار بطرس (مت٢٦) ومسامحة الرب له (يو٢١) . وسجل طمع آخاب فى حقل نابوت اليزرعيلى (١مل٢١) . وسجل عبادة الأصنام على يد

يربعام بن ناباط ، وعلى يد آخاب وغيرهما (١مل١٢) . وسجل خطايا أخرى لا تُنسى ، حتى للأنبياء ...

* * *

إن شاول الطرسوسى لم ينس مطلقاً إضطهاده للكنيسة .

على الرغم من أنه فعل ذلك بجهل قبل إيمانه بالمسيح ، وعلى الرغم من توبته واختياره رسولاً، وصنع عجائب وآيات على يديه ، وتعبه الكثير فى نشر رسالة الإنجيل.. إلا أننا نراه يقول عن نفسه " أنا الذى كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً . ولكننى رُحمت لأننى فعلت ذلك بجهل فى عدم إيمان " (١تى١: ١٣) . ويقول عن ظهور السيد المسيح بعد قيامته " وآخر الكل ، كأنه للسقط ظهر لى أنا، لأنى أصغر الرسل. أنا الذى لست أهلاً لأن أدعى رسولاً ، لأنى إضطهدت كنيسة الله " (١كو١٥: ٨، ٩) . إنه لم يستطع مطلقاً أن ينسى اضطهاده للكنيسة .

* * *

خطورة الخطايا ليست فى كثرتها ، بل فى بشاعتها .

خطية سيمون الساحر ، لم تكن فى عددها ، إذ أنه لم يكررها . لكن خطورتها كانت فى بشاعتها ، إذ أنه أراد أن يشترى موهبة الله بدراهم (أع٨: ١٨- ٢٠) .

كذلك كانت خطية هيرودس الذى قبل من الناس قولهم له " هذا صوت إله ، لا صوت إنسان " فضربه فى الحال ملاك الرب، لأنه لم يعطِ المجد لله ، فصار يأكله الدود ومات" (أع١٢: ٢٢، ٢٣) .

وخطية بطرس فى إنكاره ، لم تتكرر . إنما بشاعتها فى نوعيتها .

حقاً إن الخطايا لا تعد ، إنما توزن .

* * *

فإذا أضيف إلى بشاعتها تكرارها ، يكون الأمر أصعب وأخطر . وبخاصة تلك الخطايا التى ترسخ فى العقل الباطن ، وتتعمق جذورها فيه . وتصبح مصدراً لأحلام ، وأفكار ، وظنون، وشهوات ، ويحاول الإنسان أن يتخلص منها فلا يستطيع ..! وقد أصبحت كأنها طبع فيه ، أو كأنها طبيعة له ، وجزء من تكوين شخصيته ... وعادة تعودها فلصقت به .

وكأنه قد ذاق شيئاً فإستطعمه ، وما عاد يستغنى عنه !!

وهو مستعد أن يتوب عن جميع خطاياه ، ويتركها ، ماعدا هذه!! .. هذه التى صارت تجرى فى دمه ، وفى عمق مشاعره وعمق شهواته ...

* * *

هناك من يذكر خطية ، ولا يستطيع أن ينساها، لأنها تتعب ضميره في توبته . لذلك هو يصرخ في داخله، فى ألم عميق : كيف وصل بى الحال أن أنحدر إلى هذا المستوى؟!

وهناك من يذكر خطيته الكبرى ، وهو أسير لها ، عاجز عن مقاومتها وهذا أصعب..

إنه يحتاج إلى دفعة كبيرة من الخارج ، تنقذه من الهوة التى هبط إليها ، وتمزق عنه الربط التى تقيد بها ... ويحتاج إلى عمل من النعمة ومن روح الله القدوس، لكى يكره هذه الخطية ، ولا يعود فينجذب إليها .

* * *

هناك خطايا أخرى تتعب الإنسان .

وتهز ضميره هزاً متى استيقظ ، مثل خطية الإرتداد ، وخطية التجديف ، وخطايا الشك .. نعم الشك الذى يقال عنه إنه من السهل أن يدخل إلى عقل الإنسان ، ومن الصعب جداً أن يخرج . الشك الذى يفقد به الشخص ما كان له من بساطة الإيمان، ويتوه ذهنه فى عقلانيات لا تنتهى . هذا إن كان شكاً فى الله . أما إن كان شكوكاً فى إنسان ، فإنه يفقد الثقة ويعجز عن استرجاعها ...

* * *

وخطايا أخرى لا ينساها الإنسان بسبب نتائجها .

مثل زوج أهان زوجته إهانة كبيرة جداً لم تستطع إحتمالها ، فتركت بيت الزوجية إلى بيت أبيها. وعجزت كل محاولات المصالحة من أجل عمق ما أحست به المرأة ، مما جعلها تفقد محبتها لذلك الزوج ، وما أخذت من فكرة عن طباعه ومعاملاته ... وهو نفسه يذكر ذلك الخطأ فى ندم ، معتبراً أنه الخطية الكبرى فى حياته الزوجية ... ويزداد الأمر خطورة وعمقاً ، إن كان قد وصل إلى قضايا ومحاكم ...

* * *

وقد تصبح الخطية هى الكبرى فى الحياة ، إن كان لا يمكن علاجها ...

كراهب مثلاً قد تزوج ، وفقد نذره ورهبنته وبتوليته وسمعته . وفقد كهنوته أيضاً إن

كان كاهناً ..! ولم يعد باستطاعته أن يسترجع كل هذا .. ثم فقد هذه الزوجة أو اختلف معها ، ووجد نفسه فى فراغ كامل .. فى فراغ روحى وجسدى وإجتماعى ، وعقيدى أيضاً .

★ ★ ★

من الجائز أن تكون خطية الإنسان الكبرى بسبب فيه :

كخطية محبة الأخبار مثلاً ، التى تفقده كل أصدقائه وغير الأصدقاء أيضاً .

فهو جوعان أخباراً ، يحب أن يعرف الأخبار ويبحث عنها ، ويسأل عنها الناس ، ويفتش ويسمع ويتسمع ، ويستنتج، ويسأل سؤالاً محرجاً ، لكى يعرف منه خبراً . ويتفاوض مع غيره من محبى الأخبار ، لكى يعطيهم خبراً مقابل معرفة خبر .

ثم يجد نفسه يحمل كنزاً كبيراً من الأخبار يثقل عليه حمله .

★ ★ ★

فيتحول من جامع أخبار إلى ناقل أخبار .

وتصبح سمعة الناس مضغة فى فمه ، يلقيها فى آذان الناس كعليم ببواطن الأمور ، ومتداخل فى أسرار الناس . وقد يسمعها الناس منه ، وقد يتهرب البعض خشية أن يسمع ما يؤذيه روحياً . وقد يتحاشاه البعض خشية أن يصبحوا هم أيضاً هدفاً له ولمحبته للأخبار... ويجد أن الأخبار قد أبعدت الناس عنه . وأيضاً قد أتعبت أفكاره ، فما عاد يثق بأحد ...

وقد يتحول من ناقل للأخبار إلى مؤلف للأخبار !!

★ ★ ★

أصعب خطية هى التى تلتصق بالإنسان ، أكثر مما يلصق جلده بلحمه .

كأنها جزء من كيانه ، ومن صفات شخصيته . وقد تتحول فى حياته إلى مرض نفسى، يتوالد فى داخله ، وتنشأ عنه أمراض أخرى خلقية وأجتماعية ، صعبة الشفاء ...

المحبّة الخاطئة للنفْس

كل إنسان يحب نفسه ، ولا يوجد أحد لا يحب نفسه .

ومحبة النفس ليست خطية ، إن كانت محبة روحانية .

والسيد الرب لما قال إن الوصية الأولى والعظمى هى " تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك " قال بعد ذلك " والثانية مثلها : تحب قريبك كنفسك " (مت٢٢: ٣٧- ٣٩) . أى أن أعظم مستوى تحب به القريب ، هو أن تحبه كما تحب نفسك ...

* * *

غير أن هناك محبة خاطئة للنفس ، وقال عنها الرب :

" **من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجلى يجدها** " (مت١٠: ٣٩) .

فكيف نفرّق بين الوصيتين ؟ وما معنى " من وجد حياته يضيعها " ؟

الحل هو أن هناك شئ يسمى حروب الذات ، أو عبادة الذات ، التى يتمركز فيها الإنسان حول نفسه . ويقول أريد أن أبنى نفسى ، أن أحقق ذاتى ، أن أرفع ذاتى ...

وهناك طرق خاطئة يلجأ إليها الإنسان فى بناء ذاته فتضيعه .

فما هى هذه الطرق ، التى بها يحب الإنسان نفسه محبة خاطئة .

المحبة الجسدانية :

هذه التى قال عنها الرسول " شهوة الجسد ، وشهوة العين ، وتعظم المعيشة" (ايو٢: ١٦) . وقال إنها جزء من محبة العالم الذى يبيد وشهوته معه ...

إنها المحبة الخاصة باللذة والمتعة والرفاهية .

لذة الحواس ، التى تقود إلى الشهوة وإلى الخطية . والتى جرّبها سليمان الحكيم ، وقال فيها " ومهما إشتهته عيناى لم أمسكه عنهما " (جا٢: ١٠) . وقال فى تفصيل ذلك "عظمت عملي. بنيت لنفسى بيوتاً ، غرست لنفسى كروماً . عملت لنفسى جنات وفراديس .. جمعت لنفسى أيضاً فضة وذهباً ، وخصوصيات الملوك والبلدان . أتخذت لنفسى مغنين ومغنيات، وتنعمات بنى البشر سيدة وسيدات . فعظمت وازددت أكثر من جميع الذين

كانوا قبلى فى أورشليم " (جا٢: ٤- ٩) .

★ ★ ★

فهل هذه المتعة نفعت سليمان أم أضاعته ؟

إنه لم ينتفع بها ، بل وجد أن كل ما عمله " الكل باطل وقبض الريح، ولا منفعة تحت الشمس " (جا٢: ١١) . بل هذه الرفاهية وهذه المتعة الجسدانية أضاعت سليمان ، أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى . ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه " (١مل١١: ٤) . وتعرض لعقوبة شديدة من الرب عليه ... وتمزقت دولته .

★ ★ ★

ومثال سليمان أيضاً الغنى الغبى :

أراد أن يبنى بمحبة مادية ، عن طريق الإتساع فى الغنى والمتعة الأرضية ، فقال "أهدم مخازنى ، وأبنى أعظم منها ، وأجمع هناك جميع غلاتى وخيراتى. وأقول لنفسى: يا نفسى لك خيرات كثيرة لسنين عديدة . استريحى وكلى واشربى وافرحى" . فهل تمكن بهذا من تحقيق ذاته وبناء نفسه؟! كلا ، بل قال له الله " يا غبى ، فى هذه الليلة تُطلب نفسك منك . فهذه التى أعددتها ، لمن تكون ؟!" (لو١٢: ١٦- ٢٠) .

★ ★ ★

إنها ليست محبة حقيقية للنفس ، التى تأتى عن طريق اللذة والمتعة .

ولهذا قال الرب إن من يحب نفسه يهلكها ، أى الذى يحبها محبة خاطئة تقودها إلى المتعة الجسدية أو إلى شهوات العالم ، فإنه يهلكها فيما يظن أنه قد وجد حياته .

هناك نوع آخر خاطئ ، فى إشباع النفس ، وهو :

محبة خيالية :

شخص لا يستطيع أن يمتّع نفسه مادياً ، فيسبح فى تصورات إسعادها بالفكر ، يلذذ نفسه بالفكر والخيال .

ويسعد نفسه بما يسمونه : أحلام اليقظة .

فكل ما يريد أن يمتع به نفسه من أمور العالم، يغمض عينيه ويتخيله.. ويؤلف حكايات وقصصاً ، عن متعة لا وجود لها فى عالم الحقيقة .. ويقول لنفسه سأصير وأصير،

وأعمل وأتمتع .. وقد يستمر فى هذا الفكر بالساعات ، وربما بالأيام ، ويستيقظ لنفسه، ، فإذا به فى فراغ . وقد أضاع وقته ...!

* * *

إن المحرومين عملياً ، يعوضون أنفسهم بالفكر .

دون أن يتخذوا أى إجراء عملى بناء ، يبنـون بـه أنفسـهم . وكمـا يقـول المثـل العـامى "المرأة الجوعانة تحلم بسوق العيش " .

مثال ذلك تلميذ ، لم يستذكر دروسه ، ولـم يستعد عملياً للإمتحـان. وإنمـا يجلس إلـى جوار كتبه ، ويسرح فـى الخيـال : يتخيـل أنـه نجـح بتفـوق كبير، وانفتحت أمامـه جميـع الكليات ، وصار وارتفع وارتقى وتخرج .. ثم يصحو إلى نفسه ، فيجد أنـه أضـاع وقتـه وأضاع نفسه . ويقف أمامه قول الرب " من وجد نفسه يضيعها "

* * *

إن المتعة بالخيال ، قد تكون أقوى من المتعة الحسية .

لأن الخيال مجاله واسع ، لا يقف عند حد . ويتصور تصورات لا يمكن أن تتحقق فـى الواقع . ويكون سعيداً بذلك سعادة وهمية .

وكثير من المجانين يقعون فى مثل هذا الخيال الذى يشبعون به أنفسـهم ، ويجـدون بـه أنفسهم فى مناصب ودرجات وألقاب . والفرق بينهم وبين العاقلين ، أنهم يصدّقون أنفسـهم فيما يتخيلونه . ويصيبهم نوع من المرض يسمى البارانويا، وحكاياته كثيرة ...

إنه خيال يظن به هذا النوع من الناس أنهم يجدون أنفسهم ، بالإشباع الفكرى والمتعـة الخيالية ، والأحلام والأوهام ...

هناك نوع ثالث يظن أنه يبنى ذاته بالعظمة .

العظمة :

هناك نوع يجد نفسه ، حينما يصير عظيماً ، بالمقاييس المادية :

وأول من وقع فى هذه المحبة الخاطئة للنفس : الشيطان .

وهكذا قال فى قلبه " أصعد إلى السموات . أرفع كرسى فوق كواكب الله.. أصعد فوق مرتفعات السحاب ، أصير مثل العلىّ " (أش١٤: ١٣، ١٤). وانطبق عليه قول الرب " من

وجد نفسه يضيعها" وإذ به قد انحدر إلى الهاوية ، إلى اسفل الجب .. ومصيره أسوأ بكثير من سقطته (رؤ٢٠: ١٠). لقد ظن أنه يجد نفسه بشهوة العظمة ، وبهذه الشهوة فقد كل شئ ...

* * *

وبهذه الشهوة أيضاً أضاع الشيطان أبوينا الأولين ، حينما قال لهما وهما فى الجنة "تنفتح أعينكما ، وتصيران مثل العلى ، عارفين الخير والشر " (تك٣: ٥) .

ووقع فى هذه المحبة الخاطئة أيضاً ، الذين أرادوا بناء برج بابل .

أولئك الذين قالوا " هلّم نبن لأنفسنا مدينة ، وبرجاً رأسه فى السماء. ونصنع لأنفسنا إسماً ، لئلا نتبدد على وجه كل الأرض " (تك١١: ٤) . فكانت النتيجة أنهم أضاعوا أنفسهم ، وبلبل الله ألسنتهم ، وبددهم على وجه كل الأرض . فلا بنوا مدينة ولا برجاً ...

* * *

فى شهوة العظمة العالمية ، محبة خاطئة للنفس . أما العظمة الحقيقية فيصل إليها الإنسان بالإتضاع ، حسب قول الرب " من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع" (مت٢٣: ١٢) .

أما الذى يحاول أن يجد نفسه بالرفعة العالمية ، ما أسهل أن يدخل فى حروب ومنافسات ، قد تضيعه على الأرض . وإن حصل على ما يريد على الأرض ، فهذه العظمة الأرضية تضيعه فى الأبدية .

* * *

ومن الأمثلة البارزة فى هذا المجال : أبشالوم بن داود .

ذلك الذى أحب نفسه محبة خاطئة عن طريق العظمة . فانشق على أبيه داود ، وأساء إليه إساءات بشعة ، وحاربه بجيش لكى يجلس على كرسيه فى حياته ، ويحقق لنفسه العظمة بأن يصير ملكاً !! فماذا كانت النتيجة ؟ لقد فقد كل شئ . ومات فى الحرب وهو خاطئ متمرد ، ففقد الأرض والسماء معاً .

* * *

هناك أشخاص لا يجدون أنفسهم بعظمة عالمية، فيحاولون أن يجدوا العظمة بالكلام.

بالمجد الباطل ، بالفرح بمديح الناس لهم . وإن لم يجدوا ذلك يمدحون أنفسهم ، ويتحدثون عن فضائلهم وأعمالهم المجيدة لكى ينالوا مجداً من الناس .

وعكس هؤلاء كان القديس يوحنا المعمدان ، الذى كان يخفى نفسه ليظهر المسيح ، ويقلل من شأن نفسه ممجداً سيده المسيح ، قائلاً " ينبغى أن ذاك يزيد وإنى أنا أنقص " (يو٣: ٣٠) .. وبهذا الإتضاع ارتفع يوحنا المعمدان . وقال عنه السيد الرب إنه أعظم من ولدته النساء (مت١١: ١١) .

حقاً ما أجمل ما نقوله عن الرب فى القداس الإلهى :

" الساكن فى الأعالى ، والناظر إلى المتواضعات " .

إن حروب العظمة قد ضيعت كثيرين ، والأمثلة كثيرة .

* * *

هناك نوع آخر من المحبة الخاطئة للنفس ، يظن بها البعض أنهم يبنون أنفسهم ، فيضعونها ، ذلك هو أسلوب المعارضة والصراع .

المعارضة والصراع :

تجد أشخاصاً وكأنهم شعلة من النار ، فى التفكير والحركة والعراك .

لا يقدرون على العمل البناء . فيظنون أنهم يجدون أنفسهم بهدم البنائين .

إنهم يعملون على هدم وتحطيم غيرهم . لا يسرّهم شئ مما يعمله العاملون ، فينتقدون كل شئ ، ويبحثون عن أخطاء لتكون مجالاً لعملهم من النقد والنقض والتشهير. كأنهم يعرفون ما لا يعرفه غيرهم .. وفى نفس الوقت الذى يحطمون فيه بناء غيرهم، لا يبنون شيئاً .

* * *

حياتهم كلها صراع . ويظنون الصراع بطولة .

يرون أنهم أبطال ويفرحون بذلك . ويفتخرون بأنهم هاجموا فلاناً وفلاناً من الأسماء المعرفة . ويقول الواحد منهم إن عنده الشجاعة التى بها " يقول للأعور أنه أعور فى عينه" . وقد تكون شهوة قلوبهم أن يفقأوا عيون المبصرين، ثم يعيروهم بما فعلوه بهم !!

* * *

لهم الطبع النارى . وشهوتهم أن يرتفعوا على جماجم الآخرين ! فهم قادرون – فى نظرهم – على تحطيم العاملين . ويفرحون بهذا . ولكن الله لا يقبلهم لأن قلوبهم خالية من المحبة . وفى صراعهم يفقدون أنفسهم . وفيما يتخيلون أنهم قد وجدوا أنفسهم ، يرون أنهم

قد ضيعوها .. كالطفل المشاكس فى الفصل ، الذى يشعر أنه قد وجد ذاته فى معاكسة المدرسين ! ويظن ذلك جرأة وشجاعة وقوة وبطولة يبنى بها نفسه التى يحبها . ولكنها محبة خاطئة للنفس .

* * *

والعجيب أن هذا النوع يفتخر بنفسه ويقول فى تحطيمه للغير : أنا إنسان مقاتل I am a fighter علماً بأن الهدم اسهل من البناء . وكما يقول المثل " البئر الذى يحفره العاقل فى سنة ، يمكن أن يردمه الجاهل فى يوم " .

هناك أشخاص يظنون أنهم يحققون ذواتهم بالحرية .

الحرية :

كالشاب فى بلاد الغرب : إذا كبر ، فلا سيطرة لأحد عليه ، لا أبوه ولا أمه فى البيت، ولا مدرسوه فى معاهد التعليم . بل يظن أنه يفعل ما يشاء بلا قيد . حتى المبادئ والقيم والتقاليد ، يجب أن يتخلص منها . ويعتبر أنه بهذا يصير حراً ويجد نفسه . والوجوديون يريدون – فى تمتعهم بالحرية – أن ينحلوا حتى من (قيود!) الله ووصاياه . ولسان حال كل منهم يقول " من الخير أن الله لا يوجد ، لكى أوجد أنا " !!

* * *

كل هؤلاء يقصدون بالحرية ، الحرية الخارجية .

وليست حرية القلب من الرغبات الخاطئة .

ولا يقصد التحرر من الخطايا والأخطاء والتحرر من العادات الفاسدة. كل ذلك الذى قال عنه السيد الرب " إن حرركم الإبن ، فبالحقيقة تكونون أحراراً (يو٨: ٣٦) . الإبن الضال ظن أنه يجد نفس بالحرية بتركه لبيت أبيه. ولكنه بذلك أضاع نفسه (لو١٥). وكذلك الذين يظنون أنهم يجدون أنفسهم بالحرية فى الإدمان والفساد والتسيب واللامبالاة! أو بالحرية فى الخروج من الحصون التى تحميه، إلى الفضاء الواسع الذى يهلكه !

* * *

العجيب أنه فى الحياة الروحية ، يظن أنه يجد الحرية فى التخلص من (قيود) الإرشاد الروحى !

فلا يستشير الأب الروحى ، إلا فى الأمور التى يعرف أنه سيوافق عليها . وأما ما

يشعر أنه سينهاه عنه ، فذلك يخفيه ! وهكذا يسير حسب هواه ، فيضل الطريق .. أو يقول " أبحث عن أب إعتراف آخر " .. حقاً إن الإستخدام الخاطئ للحرية يضر . وقد أوصل البعض إلى الإلحاد .

* * *

والأخطر من هؤلاء : الذين يعطون أنفسهم الحرية فى تفسير الكتاب ، وينشرون آراءهم كعقيدة !!

فيفسرون الكتاب حسب هواهم . يخضعونه لأفكارهم ، بدلاً من أن يخضعوا أنفسهم لنصوصه. من أجل هذه وجدت طوائف وكنائس متعددة تتعارض فى عقائدها ، ووجدت بدع وهرطقات . لأن كل واحد يفسر الكتاب حسبما يريد ، ويترجم الآيات أيضاً حسبما يشاء (كما فعل شهود يهوه وأمثالهم) . والعجيب أن كل هؤلاء يظنون أنفسهم أكثر معرفة من غيرهم . وهنا تدخل النفس فى حرب المعرفة .

المعرفة :

يظن البعض أنه يجد نفسه عن طريق المعرفة .

أو عن طريق حرية المعرفة ، أو المعرفة التى يقول عنها الكتاب إنها تنفخ (١كو٨ : ١) . ويحب الواحد منهم أن يكون مرجعاً فى المعرفة ، يقود غيره فى المعرفة . ويحاول أن يأتى بفكر جديد، ينسب إليه ، ويتميز به، وينفرد به، حتى يقولون " فلان قال .. " .. ومن هنا ظهرت البدع ، لأنها بها إبتدع أناس أفكاراً جديدة ضد التسليم العام ...

* * *

يظن بها الشخص أنه يجد نفسه ، كصاحب رأى وفكر وعقيدة ، ولا يتضع بالخضوع لتعليم الكنيسة ، بل يريد أن يخضع الكنيسة لتعليمه ... وهكذا يضيع نفسه .

إنسان آخر يظن أنه يبنى نفسه بالإعجاب بالنفس .

الإعجاب بالنفس :

فيكون باراً فى عينى نفسه و" حكيماً فى عينى نفسه " .

ويدخل فى عبادة النفس . ولا مانع أن يكون الكل مخطئين، وهو وحده الذى على صواب !.. وهذا النوع يبرر ذاته فى كل عمل وفى كل خطأ . وإن قال له أحد أنه

مخطئ، لا يقبل ذلك . ويرفض كل توجيه . وإن عوقب على خطأ ، يملأ الدنيا صراخاً: إنه مظلوم. ولا ينظر إلى الذنب الذى إرتكبه، وإنما يدعى قسوة من عاقبه !

★ ★ ★

وترتبك مقاييسه الروحية والأدبية والعقلية ، ويضيع نفسه .

ويمدح نفسه ، ويحب أن يمدحه الآخرون . وإن مدحوا غيره يستاء ! كما استاء قايين، لما قبل الله قربان هابيل أخيه ...

والكثير من هؤلاء الذين يقعون فى الإعجاب بالنفس ، يكون الله قد منحهم مواهب، ولكنهم استخدموا المواهب فى الإضرار بأنفسهم .

مجال آخر يظن الإنسان أنه يبنى نفسه فيه وهو الأنشطة :

الأنشطة :

قد تجد إنساناً كثير الحركة يعمل فى أنشطة متعددة ، وربما بلا عمق ، ويظن أنه يبنى بها نفسه !

يرى أننا نعيش فى عصر التكنولوجيا، فينبغى أن يكون هو أيضاً إنساناً تكنولوجى، يسير مثل الآلة ، حركة دائمة بلا توقف ، بعضوية فى كثير من الهيئات ، وفى نشاط دائم لا يعطى له فرصة للصلاة ولا القراءة ولا التأمل ، ولا الإهتمام بنفسه وروحياته، بلا عمق، مجرد نشاط فى كل مكان ، له مظهر العامل المجد ، ناسياً قول الكتاب :

" كل مجد إبنة الملك من داخل " (مز ٤٤) .

وكان الأجدر أن يعطى وقتاً وأهمية لروحياته ، لأنه يضر نفسه بهذه المشغوليات المستمرة، التى قد تتحول عنده إلى هدف ، ينسى فيه الهدف الأصلى وهو خلاص نفسه .

نوع آخر يحب نفسه محبة خاطئة ، ويجد نفسه عن طريق :

المركز والشهرة :

فيركز كل إهتمامه فى هذه الأمور التى يدخلها الرسول تحت عنوان تعظم المعيشة . وهكذا يفرح بالألقاب والمناصب والغنى . وكلما أضاف إلى نفسه لقباً جديداً ، ظن به أنه أوصلها إلى قمة المجد . بينما الفرح الحقيقى هو ببناء النفس من داخل مهما كانت "مشتملة

بأطراف موشاة بالذهب ومزينة بأنواع كثيرة " .

ليس المجد فى أن تكون عظيماً أمام الناس ، إنما فى أن تكون " عظيماً أمام الرب" كما قيل عن يوحنا المعمدان (لو ١: ١٥) . وهنا نتحدث عن الوضع السليم لبناء النفس .

المحبة الحقيقية للنفس :

إن كنت تحب نفسك حقاً ، حاول أن تبنيها من الداخل ، من حيث علاقتها بالله، والمحبة التى تربطها بالكل . بأن تتكر ذاتك ليظهر الله فى كل أعمالك . وتتكر ذاتك لكى يظهر غيرك . وتصلب ذاتك لكى يحيا الله فيك . وتقول " مع المسيح صلبت ، لكى أحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فىّ " (غل٢: ٢٠) . وهكذا تصلب الجسد مع الأهواء والشهوات (غل٥: ٢٤) .

* * *

تقهر ذاتك ، وتغلب ذاتك .. وبهذا الإنتصار على النفس ، تحيا نفسك مع الله . الذى يقودك فى موكب نصرته (٢كو٢: ١٤) . وهنا تكون المحبة الحقيقية للنفس أما المظاهر العالمية من عظمة وشهرة ولذة ومتعة وحرية خاطئة ، فلن توصلك إلى البناء الحقيقى للنفس .

* * *

المهم أن تجد نفسك فى الله ، وليس فى العالم .

تجدها لا فى هذا العالم الحاضر ، إنما فى الأبدية .

تبنى نفسك بثمار الروح (غل٥: ٢٢، ٢٣) . التى تظهر فى حياتك . وذلك بأن تكون غصناً ثابتاً فى الكرمة الحقيقية يعطى ثمراً، والرب ينقيه ليعطى ثمراً أكثر (يو١٥: ٢،١) أى ينقيه من الشهوات والرغبات المهلكة للنفس ، التى يجب أن تبغضها لتحيا مع الله، واضعاً أمامك قول الرب :

* * *

" **ومن يبغض نفسه فى هذا العالم ، يحفظها إلى حياة أبدية** " (يو١٢: ٢٥) .

وهنا كلمة " يبغض نفسه " تعنى يقف ضد رغباتها ، ولا يطاوعها فى كل ما تطلب ، ولا يجعلها تسير حسب هواها ، بل يقمعها ويستعبدها (اكو٩: ٢٧) ... حتى بهذا تتطهر من كل دنس . وتكون هذه هى المحبة الحقيقية للنفس .

النظرة البيضاء والنظرة السوداء

الحياة هى نفس الحياة بالنسبة إلى الكل ، بحلوها ومرّها .

وقد تتشابه الظروف الخارجية بالنسبة إلى كثيرين ، ولكن إنفعال البعض بها يختلف عن إنفعال البعض الآخر . ونظرة كل من الفريقين تختلف عن الآخر . البعض له نظرة بيضاء ، والبعض له نظرة سوداء ...

ولنأخذ مثالاً لذلك : المشاكل :

النظرة إلى المشكلة :

لا يوجد أحد لا تصادفه مشاكل . كل إنسان له مشاكله .

ولكن البعض ينظر إلى المشكلة بنظرة سوداء ، معقدة ، كما لو كانت المشكلة بلا حلّ ولا مخرج ، ولا منفذ ، كما لو كانت ألماً دائماً ، وضياعاً .

وقد صوّر داود النبى هذه المشاعر على أنها حرب خارجية ، فقال " كثيرون يقولون لنفسي ليس له خلاص بإلهه .. " (مز٣) . ولكنه لم يخضع لهذه الحرب ، بل قال فى رجاء " وأنت يارب هو ناصرى ، مجدى ورافع رأسى " .

★ ★ ★

وهذا يقودنا إلى النظرة البيضاء للمشكلة ...

فيها يرى الإنسان أن كل مشكلة لها حل ، وأن الأمر ليس خطيراً وليس مستحيلاً . وأن الله لابد أن يتدخل فى المشكلة ويحلها .

ووسط هذه المشاعر يضع أمامه قول الرسول " احسبوه كل فرح يا أخوتى، حينما تقعون فى تجارب متنوعة " (يع١: ٢) .

بالنظرة البيضاء يقابل المشكلة ليس فقط بأعصاب هادئة ، وإنما بفرح شاعراً أنه سينال بركة المشكلة ، وما فيها من خبرة روحية ، وكيف أنه سوف يلمس يد الله العاملة معه .. ويرى كيف سيحلها الله ...

المشكلة واحدة ، ولكن تختلف النظرة إليها والإنفعال بها ، ويختلف الـ Response .

هناك أناس تسبب لهم بعض المشاكل أمراضاً صعبة .

مثل ضغط الدم ، أو السكر ، أو قد يصاب بعضهم بإنهيار نفسى، أو بتعب فى أعصابه ، أو فى نفسيته ، أو قد يقع على الأرض مشلولاً، أو يصاب بذبحة ، أو بجلطة، أو بسكتة قلبية ... كل ذلك حسب درجة إنفعاله بالمشكلة ، وحسب ضغطها عليه .. وشعوره أنه قد إنتهى ولا خلاص ...!

* * *

أما صاحب النظرة البيضاء ، فيمزجها بالإيمان والرجاء ...

بالإيمان يثق بوجود الله أثناء المشكلة ، وبيد الله العاملة سواء رآها أو لم يرها .. فلا يأبه للمشكلة ، ولا تعصره ، ولا يسمح لها أن تضغط عليه .

* * *

إنه أكبر من المشكلة . أما صاحب النظرة السوداء ، فالمشكلة أكبر منه .

صاحب النظرة السوداء ، لا ينظر إلى ما فى المشكلة من ألم ومن ضيق وتعب . ويقابلها بخوف وإنزعاج . وقد تضغط على تفكيره فيتوقف ، ويترك الأمر إلى أعصابه المنهارة. وقد يصل به الأمر إلى اليأس، وربما يصل به إلى الإنتحار ، كما حدث ليهوذا..

القديس بطرس الرسول أنكر السيد المسيح ، والرب نفسه قال " من ينكرنى قدام الناس، أنكره أنا أيضاً قدام أبى الذى فى السموات " (مت١٠: ٣٣) . ولكنه لم يدع اليأس يسيطر عليه . وانتصر على المشكلة بالتوبة والرجاء ومحبة الله ...

النظرة إلى المادة :

نتناول نظرة الإنسان إلى المادة ، وإلى المال ، وإلى الجسد .

إنسان ينظر إلى المادة ، كأداة يخدم بها الله .

وإنسان آخر ينظر إليها ، كوسيلة لخدمة شهواته .

والمادة هى نفس المادة ، ولكن نوعية النظرة إليها ، تحدد نوعية العلاقة بها، والتصرف معها ... هل المادة تملكك ، أم أنت تملكها ؟

المال هو نفس المال . ولكنه فى يد البعض يستخدمه للخير ، وفى يد غيره يهلكه . لأن نظرة الواحد إليه غير نظرة الآخر ...

* * *

نفس الوضع مع الجسد ، هل تستخدمه لتمجيد الله وخدمته ؟ أم تنظر إليه كأنه شر في ذاته ، باستمرار يعثرك ويسقطك .. ؟!

شجرة معرفة الخير والشر كانت وسط الجنة ، يراها أبوانا ولا تعثرهما . فلما إختلفت النظرة إليها ، كان السقوط .

لأن حواء – بعد أن سمعت كلام الحية – فقدت نظرتها البسيطة، وتغيّرت نظرتها إلى الشجرة ، فإذا هى " جيدة للأكل، وبهجة للعيون، وشهية للنظر " (تك٣: ٦) . وبهذه النظرة المتغيرة ، وقعت فى الشهوة وسقطت ...

إذن لم تكن العثرة في الشجرة ، إنما في نوع النظرة .

بين الشكر والتذمر :

إنسان ينظر إلى الذى معه ، فيرضى ويشكر .

وآخر ينظر إلى الذى ينقصه ، فيشكو ويتذمر .

وقد يكون الإثنان فى نفس الظروف ونفس الأوضاع .

فما هى نوع نظرتك أنت ؟ هل إلى الذى معك ، أم إلى الذى ينقصك ؟!

كثير من الذين يتذمرون ويتعبون ، لو أنهم نظروا إلى ما معهم ، لوجدوا أنهم فى خير ، وقد أعطاهم الرب الكثير والكثير . ولكنهم لم ينظروا إلى الذى عندهم !

آدم وحواء كانت لهما الجنة بكل ما فيها .

ولكنهما نظرا إلى الشجرة الواحدة التى تنقصهما !!

وبهذه النظرة سقطا ، على الرغم من كل متعة الجنة .

* * *

ولعل من الأمثلة البارزة فى نوعية هذه السقطة ، الشيطان نفسه: كان الرب قد أعطاه الكثير: خلقه ملاكاً فى منتهى البهاء ، بطبيعة جميلة ، ومن الرؤساء . وكان من رتبة الكاروبيم ، ووصفه سفر حزقيال النبى بأنه الكاروب المظلل المنبسط (حز٢٨: ١٤، ١٦). ولكنه لم يقنع بما معه ، ونظر إلى ما ينقصه، أى أن يرفع كرسيه فوق كواكب الله ، ويصير مثل العلى ..! (أش١٤: ١٣، ١٤) .

وهكذا سقط الشيطان . ترك رفعته ، ونظر إلى ما ينقصه .. أن يصير مثل الله !!

★ ★ ★

وكثيرون من هذا النوع .. ما أكثر النعم التى تحيط بهم ، فلا ينظرون إليها ، إنما ينظرون إلى شئ آخر ينقصهم ! وإن حصلوا عليه لا يكتفون ، بل ينظرون إلى مستوى أعلى وأبعد ينقصهم ...

وقد يتذمرون وهم فى وضع يشتهيه غيرهم ولا يجده !

بنوع نظرة الإنسان يسعد نفسه ، وبنوع نظرته يشقيها .

ليست الظروف الخارجية هى التى تتعبك ، وإنما يتعبك أسلوبك فى التفكير ، نوع نظرتك إلى الحياة ...

النظرة إلى أعمال الآخرين :

إنسان ينظر إلى الخير الذى فى الناس ويمتدحهم .

وإنسان آخر لا ينظر إلاّ إلى النقائص والعيوب .

هذا النوع له نظرة نقادة ، لا يرى إلا الشئ الأسود . متخصص فى رؤية العيوب ، حتى بالنسبة إلى شخص يمدحه الكل وهو موضع رضى الكل . ومع ذلك ما أسهل أن يجد فيه عيباً ينتقده !!

هذا النوع تخصصه أن ينتقد ، ويعارض ، ويتكلم بالسوء على كل أحد ، ولا يعجبه أى تصرف .. على الأقل بالنسبة إلى شخص معين ، أو إلى مجموعة معينة من الناس ...

* * *

بينما السيد المسيح - حتى بالنسبة إلى المرأة السامرية الخاطئة - أمكنه أن يجد فيها شيئاً يمتدحها عليه .. فقال لها " حسناً قلت .. هذا قلت بالصدق " (يو٤: ١٧، ١٨). وحتى الشاب الغنى الذى مضى حزيناً .. أثناء حديث الرب معه ، وجد فيه شيئاً فاضلاً أنه يحفظ الوصايا منذ حداثته ، فيقول الكتاب إنه " نظر إليه وأحبه " (مر١٠: ٢١) .

* * *

لو كانت لك النظرة البيضاء ، سترى فى كثيرين شيئاً يحب ، وشيئاً يمتدح ...

درّب نفسك على هذه النظرة .. أى تنظر إلى محاسن الناس وليس إلى عيوبهم . هناك نظرة واقعية ، أن ترى ما فيهم من محاسن ومن عيوب ، ولكن أى النوعين له التأثير الأكبر عليك ؟

* * *

الذى لا ينظر إلاّ إلى العيوب ، قد تجده ساخطاً على المجتمع كله .

لا يعجبه شئ .. كل ما يراه هو موضع إنتقاد .. وبعض الذين ينادون بالإصلاح، لا ينظرون إلا إلى السواد فقط .. ويحتار البعض معهم كيف يرفضونهم .. هم باستمرار عدائيون Aggressive .. لابد أن يجدوا شيئاً يهاجمونه . وإن لم يجدوا ، يخترعون شيئاً يهاجمونه ...

* * *

وبعض هؤلاء بدلاً من الهجوم ، يتحولون إلى الإنعزال ...!

بسبب نظرتهم السوداء ينفرون من المجتمع ، وينطوون على ذواتهم ، إذ لا يجدون شيئاً يعجبهم ، ولا شيئاً يرضيهم .. بل هم ساخطون على كل شئ ...

وأحياناً يصاب هؤلاء بأمراض نفسية ...

قد يصاب بعضهم بمرض الكآبة Depression ، وباستمرار تجده حزيناً كئيباً ، ينتظر الشر إن لم ير الشر أمامه ، ويحزنه كل شئ ...

وأحياناً يخاف المجتمع ، ويرى أن الغالبية ضده تدبر له ما يتعبه ، فيصاب بعقدة الاضطهاد Persecution Complex ويخيل إليه أن كثيرون يريدون الإضرار به يقاعه في مشاكل .

أو قد يصاب بالعصبية ، فتجده غضوباً باستمرار ، حاد الطبع ، عالى الصوت ، يحتد وربما بلا سبب يدعو إلى ذلك ، وفى غضبه يثور ، ويتكلم بما لا يليق . إنه لا يرى سوى سواد يثيره .

* * *

وربما يُحارب بالشكوك فى كل شئ .

فى كل ما يحيط به ، يفترض أسباباً سوداء تدعوه إلى الشك . وإن بدأ الشك يحاربه ، يلتقطه الشيطان لكى يضيف إليه مخترعات واسباباً تزيد من شكه ، حتى يصبح من شكه فى جحيم . وكل هذا بسبب نظرته السوداء التى تفترض الشر ، بعكس الذى يؤول نفس الأمور تأويلاً طيباً ولا يحزن نفسه ...

إن كثيراً من الشكوك ، ليس سببها الأسباب الخارجية ، إنما حالة القلب والفكر من الداخل .

* * *

قد تكون النظرة السوداء إذن مرضاً نفسياً تنتج عنه هذه النظرة . وربما تؤدى هذه النظرة إلى مرض نفسى ... أى قد تكون سبباً أو نتيجة .

أى أنه إذا بدأ بالنظرة السوداء يصل إلى المرض النفسى . أو إذا بدأ بالمرض النفسى يصل إلى النظرة السوداء .

وبالنظرة السوداء يفقد الإنسان سلامه القلبى ، بعكس الإنسان الذى باستمرار يحيا فى بشاشة وفى فرح .

والعجيب أن النظرة السوداء تأتى حتى فى العلاقة مع الله .

فى العلاقة مع الله :

الشيطان قد يحارب الإنسان صاحب النظرة السوداء حتى فى علاقته مع الله ، فيصور له أن الله لا يهتم به ، وأن االه قد أهمله ، ولا يستجيب لصلواته ، بل يصل به الأمر إلى أن الله يضطهده !

* * *

وهكذا بالنظرة السوداء يوصله إلى التجديف .

ونفس هذا الوضع قاله الشيطان لله عن أيوب الصديق . قال للرب " ولكن أبسط يدك الآن ، وأمسس كل ما له ، فإنه فى وجهك يجدف عليك " (أى١: ١١) . " ولكن أبسط الآن يدك، وأمسس عظمه ولحمه، فإنه فى وجهك يجدف عليك" (أى٢: ٥) .

لقد كرر عبارة " فى وجهك يجدف عليك " مرتين .

وذلك لأن حرب التجديف هى من الشيطان نفسه ...

يهمس فى أذن الإنسان المتضايق ، أو صاحب النظرة السوداء ، ويقول له " لماذا يعاملك الله هكذا؟!" " لماذا تثقل يده عليك " ؟!

* * *

فصاحب النظرة السوداء ، قد لا يشعر فقط أن الناس ضده ، وإنما الله نفسه ضده !! السماء مغلقة أمامه ! " **لماذا يقولون لنفسى : ليس له خلاص بإلهه" (مز٣)** .

صاحب النظرة السوداء : يرى أن كل نهار ، بعده ليل مظلم . أما صاحب النظرة البيضاء : فيرى أن كل ليل مظلم ، بعده نهار مضئ ...

النظرة السوداء تتعب من كل خطأ موجود ...

والنظرة البيضاء تقول إن كل خطأ يمكن تصحيحه ...

يكون عائقاً للفضيلة
إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره

(عب ٢: ٤)

البعض لا يريد :

فى ميلاد السيد المسيح ، نتذكره إنه جاء لخلاصنا . وقال إنه :

" جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك " (لو١٩: ١٠) .

ولهذا فإن سمعان الشيخ ، لما رأى في ميلاد الرب تباشير الخلاص ، قال " الآن يارب تطلق عبدك بسلام ، لأن عينيّ قد أبصرتا خلاصك " (لو٢: ٣٠) . مع أن الخلاص لم يكن قد تم ، لكنه رأى فى الميلاد تباشير أو بداية هذا الخلاص .

وبهذا الخلاص بشر الملاك الرعاة قائلاً " إنه قد ولد لكم اليوم مخلص هو المسيح الرب " (لو٢: ١١) . ولهذا فى ميلاد المسيح ، دعى إسمه يسوع أى مخلص، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم (مت١: ٢١) .

* * *

ومع أن السيد المسيح جاء لخلاص العالم كله ، فإن العالم كله لم يخلص ، لأن البعض رفضوا هذا الخلاص !!

" إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله " " أضاء النور فى الظلمة والظلمة لم تدركه" (يو١: ١١، ٥) ... إذن أمامنا موضوعان هامان :

الخلاص الذى جاء المسيح ليقدمه ، وقبول أو رفض هذا الخلاص .

" الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله " (يو١: ١٢) .

* * *

وفى نفس الوقت رُفض هذا الخلاص من الكتبة والفريسيين والصدوقيين والناموسيين ، والكهنة ورؤساء الشعب وغيرهم ...

لما سمع هيرودس الملك بميلاد المسيح " اضطرب وجميع أورشليم معه " (مت٢: ٣).

ودبر مؤامرة لقتله ، ولو أدى الأمر أن يقتل كل أطفال بيت لحم . إنه لم يفرح بهذا الخلاص الآتى ، ولم يؤمن به !! وهكذا يحذرنا الرسول قائلاً :

" **كيف ننجو ، إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره ؟!" (عب٢: ٤) .**

هذا الخلاص الذى تنبأ عنه أنبياء كثيرون ، ووردت عنه العديد من الرموز ، وانتظرته أجيال طويلة .. حينئذ يقف أمامنا سؤال هام : ما موقفنا من هذا الخلاص ؟

★ ★ ★

لا تقل : هل الله يريدنى أن أخلص أم لا ؟

فالله يريد أن الجميع يخلصون ، وإلى معرفة الحق يرجعون " (١تى٢: ٤) . والمهم هو أنك تريد أن تخلص .. كما كان الرب يسأل المريض أحياناً " أتريد أن تبرأ " (يو٥ : ٦) ... لأن هناك مرضى يحبون المرض ولا يريدون الشفاء ، كما قيل :

" **أحب الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة " (يو٣: ١٩) .**

الذين يحبون الظلمة ، لا يحبون أن يخلصوا . إن أراد الرب أن يخلصهم من خطاياهم، يرفضون ويتمسكون بها بالأكثر !!

★ ★ ★

وهذا يذكرنا ببكاء المسيح على أورشليم ، وحينما قال لها " يا أورشليم يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، ولم تريدوا .." (مت٢٣: ٢٧) . أنظروا ماذا يقول ؟

كم مرة أردت .. ولم تريدوا !!

ولذلك كانت النتيجة " هوذا بيتكم يترك لكم خراباً " .

إنه العتاب الذى عاتب به الرب شعبه منذ القديم ، وأشهد عليه السماء والأرض ، وأنشد له نشيد الكرمة ، وقال " أحكموا بينى وبين كرمى . ماذا يُصنع أيضاً لكرمى، وأنا لم أصنعه ؟! (أش٥: ٣، ٤) .

★ ★ ★

إنها قاعدة يجب أن نعرفها فى الخلاص الذى يقدمه الرب .

الرب يقدم الخلاص . ولكن لا يرغم أحداً على قبوله .

الله يريد القلب ، يريد الحب ، ولا يجذب أحداً إليه بالعنف إطلاقاً . إنه يترك الأمر لإختيار البشر ، ويقول " قد جعلت قدامك الحياة والموت ، البركة واللعنة ، فاختر الحياة لكى تحيا " (تث٣٠: ١٩، ١٥) .

الله يرشد وينصح ، وتبقى الإرادة كلها فى يدك ، تعمل أو لا تعمل ، تقبل أو لا تقبل.

هو واقف على الباب يقرع (رؤ ٣: ٢٠) . وأنت حر ، تفتح أو لا تفتح ...

وهكذا حدث مع عذراء النشيد ، قرع على بابها طويلاً ، وانتظر حتى إمتلأ رأسه من الطل ، وقصصه من ندى الليل ، وخاطبها بأرق العبارات ، ولكنها اعتذرت عن فتح بابها ، وتأخرت ، فكانت النتيجة أنه " تحول وعبر " (نش٥: ٢- ٦) . وهكذا نتيجة حريتها فقدت الحياة مع الله فترة ، ثم عادت بعدها ورجعت إليه .

★ ★ ★

إن دم السيد المسيح كفارة غير محدودة ، كافٍ لمغفرة جميع الخطايا ، لجميع الناس ، فى جميع العصور . ومع ذلك لم يخلص الكل . والسبب راجع إليهم هم .

النعمة مستعدة أن تعمل مع كل أحد ، ولكن ليس الجميع يستسلمون لعمل النعمة ... الروح القدس مستعد أن يهب القوة للكل ويعمل فيهم ، ولكن ليس الكل يشتركون مع الروح القدس فى العمل . الخلاص مقدم للجميع . ولكن كثيرون لاهون عن خلاصهم ... فلماذا كل هذا ؟

أسباب من الإنسان :

أول سبب يضيع خلاص الإنسان هو محبته للخطية .

محبة الجسد والمادة والأشياء التى فى العالم . الناس يهتمون بأجسادهم أكثر مما يهتمون بأرواحهم . عقلهم ينشغل بالعالم وليس بالسماويات . فتتعلق قلوبهم بالدنيا وما فيها، ويركزون فيها رغباتهم . وهكذا لا يصبح القلب لله .. وتتدرج علاقتهم بالخطية : وقد تصبح الخطية عادة ، وتسيطر . وقد تصبح شهوة ويستعبد الإنسان لها .

★ ★ ★

ويتدرج الإنسان من محبة الخطية إلى العبودية لها .

يدخل فى حالة من السبى ، حتى أنه يفقد إرادته تماماً ...

وقد شرح القديس بولس الرسول هذه الحالة فقال " .. الشر الذى لست أريده ، إياه أفعل .. فلست بعد أفعله أنا، بل الخطية الساكنة فىّ .. أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى، ويسبينى إلى ناموس الخطية ... " (رو٧: ١٩- ٢٣) .

★ ★ ★

إذن ليس المهم فقط ، الخلاص من العقوبة ،

إنما الأصل والأهم هو الخلاص من الخطية .

ضع أمامك إذن كيف تخلص من الخطية ، وتصل إلى التوبة ، وإلى النقاوة ، وإلى محبة الله . هذا ما ينبغى أن تفكر فيه من بداية سنة جديدة ، فتكون لك حياة مع الله ...

* * *

كثيرون يفقدون الخلاص لأن نظرتهم تغيرت .

نظرته للروحيات تغيرت ، نظرته إلى الله نفسه تغيرت ... لم يعد له الإهتمام الأول ، ولا الحماس السابق .. بل لم تعد له لذة فى العشرة مع الله . وقد يصلى ، ويقرأ الكتاب، ويحضر القداسات والإجتماعات ... ولكن بغير روح .

* * *

وربما نظرته إلى الخطية أيضاً قد تغيرت :

وأصبح الضمير واسعاً ، ويبتلع أشياء كثيرة .. وهكذا صار فى أعمال عديدة يفقد حرصه وإحتراسه ، ويفقد تدقيقه ، وبالوقت يصل إلى الإستهانة واللامبالاة . أى يرتكب الخطية بلا مبالاة ، ونفس الإستهانة فى صلواته وعبادته ...

* * *

وبمرور الوقت تختفى مخافة الله من قلبه .

وإذا بعبارات الله حنون محب غفور طيب ، تجعله لا يبالي ، كأنما يستغل محبة الله استغلالاً سيئاً فى كسر وصايا الله بدون خوف . وهنا يقف أمامه قول الرسول عن العلاقة بالرب " أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته ، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة " (رو٢: ٤) ...

* * *

وهذه الإستهانة تجعله يفقد الجدية فى حياته الروحية .

لا ينظر إلى وصايا الله فى جدية ، ولا يعترف ويتناول فى جدية . ويمكن أن يتناول ويخطئ مباشرة ، بلا خجل ، بغير مخافة لله ، ولا هيبة ولا خشية !! وبلا إهتمام ... لا يضع فى ذهنه أن الله يراه ، وأن أرواح الملائكة وأرواح معارفه الذين انتقلوا تراه !!

يصاب ببرودة فى حواسه الروحية ، فتتبلد !

وهذا النوع ربما يسمع العظات فلا يتأثر ، ويقرأ عن الروحيات فلا يتأثر .. بل تتحول

الروحيات عنده إلى معلومات تزيد معارفه ، وليست إلى مناخس تنخس قلبه وضميره ...

* * *

ويفقده الواعز الداخلى ، تفقد الدوافع الخارجية تأثيرها .

لأنها لا تجد فى داخله ما يقبلها وينفعل بها ، أو لأنه تعودها .. كما يتعود مريض دواء معيناً ، فيفقد الدواء تأثيره عليه .. وهكذا تدخل حياته فى فتور روحى ، أو فى برودة روحية ، وقد يبعد عن حياة الروح تماماً ... ولا يعود يفكر مطلقاً فى خلاص نفسه. وإن ناداه الرب ، لا يجد فى قلبه صدى ، إذ قد وصل إلى قساوة القلب التى حذر منها الرسول قائلاً :

" **إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم** " (عب٣: ٧، ١٥) .

وحتى هذا الإنسان ، تحاول النعمة أن تجتذبه . وقد يسمع صوت الله فيتأثر به ، ويود أن يرجع إلى الحياة مع الله . ولكنه يدخل فى صراع داخلى . ويصبح مثل إنسان مشلول يريد أن يقف ، فلا تقوى قدماه على ذلك .

* * *

وهكذا يبرر رفضه للخلاص بعنصر التأجيل .

تماماً مثل فيلكس الوالى ، الذى إرتعب لما سمع بولس الرسول يتحدث عن البر والدينونة والتعفف . ولكنه قاوم التأثير الروحى بقوله للرسول " اذهب الآن ، ومتى حصلت على وقت استدعيك " (أع٢٤: ٢٥) .

* * *

بالإضافة إلى كل هذا ، توجد الحروب الخارجية .

التى تنتهز الضعف الداخلى ، فتهجم وتضغط . وتفتح أمامه أبواباً واسعة للخطية طالما اشتهاها من قبل وما كان يجدها ...

وإن حاول أن يضع أمامه قول الرسول " لا تشاكلوا أهل هذا الدهر ، بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم " (رو١٢: ٢) ... يصور له العدو صعوبة التغيير ، وردود الفعل فى الوسط الذى يعيش فيه .. وماذا يقول الناس عنه ، وقد تعودوا عليه فى صورة معينة!!

من عوائق الفضيلة
سوء الفهم أو عدم الفهم

للخطأ أو للخطيئة أو للشر أسباب متعددة ، من أهمها :

الجهل ، أو سوء الفهم ، أو عدم الفهم . قال السيد الرب :

" قد هلك شعبى من عدم المعرفة " (هو٤: ٦) .

* * *

فكثيراً ما يكون سبب الخطية الجهل . فممكن أن إنساناً يخطئ بسبب عدم المعرفة ، ولا نقصد عدم المعرفة بصفة مطلقة ، وإنما ممكن بصفة جزئية ...

وفى سفر أشعياء النبى فى الإصحاح الأول ، يقول الرب " الثور يعرف قانيه ، والحمار معلف صاحبه . أما إسرائيل فلا يعرف ، شعبى لا يفهم " (أش١: ٣) .

* * *

ومن أمثلة الجهل الذى يخطئ به البعض : أهل نينوى .

قال عنهم الرب ليونان النبى " أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التى يوجد فيها أكثر من إثنتى عشرة ربوة من الناس لا يعرفون يمينهم من شمالهم" (يون٤: ١١) . والربوة عشرة آلاف . أى يوجد فى نينوى العظيمة أكثر من ١٢ ألف نسمة لا يعرفون يمينهم من شمالهم .

* * *

كثير جداً من الناس لا يعرفون يمينهم من شمالهم .

مثل بعض القرى والأحياء غير المخدومة . لا يعرفون شيئاً . فتأتى إحدى الطوائف تتلقفهم. ومثلما تقول لهم ، هكذا يرددون وراءها ... بدون فهم .. وينحرفون من مذهبهم الأصلى . واستلمتهم جماعات شكلتهم كما تريد .. وما أسهل عمل شهود يهوه مثلاً فى أمثال هؤلاء الناس .. ليس فقط فى القرى ، بل حتى فى قلب المدينة ، حيث توجد عائلات لا يزورها أحد من رجال الكهنوت ... وكما قال الرب " هلك شعبى من عدم المعرفة"...

وسبب عدم الفهم يقدمه السيد المسيح عذراً لصالبيه فيقول :

" اغفر لهم يا أبتاه ، لأنهم لا يعرفون ماذا يفعلون " (لو٢٣: ٣٤) .

ويقول الرسول عن هذا ، " لأنهم لو عرفوا ، لما صلبوا رب المجد " (١كو٢: ٨)... حتى الشيطان نفسه ما كان متأكداً هل هذا هو إبن الله أم لا . هل صلبه ينفعه كشيطان للتخلص من تعليمه .. أم أن صلبه يخلص العالم . هو نفسه كان عنده عدم معرفة !

* * *

حقاً ما أكثر الناس الذين لا يدرون ماذا يفعلون ! يظن الخير حيث يوجد الشر ! وربما يوجد أناس كبار فى مراكزهم العلمانية ، أو فى مراكزهم الدينية ، وهم لا يدرون ماذا يقولون أو ماذا يفعلون !

الكتبة والفريسيون كانوا من قادة الشعب فى معرفة الدين ، ومع ذلك قال عنهم السيد المسيح إنهم :

" يغلقون ملكوت السموات قدام الناس ، فلا هم دخلوا ، ولا جعلوا الداخلين يدخلون " (مت٢٣: ١٣) .

* * *

وقال إنهم قادة عميان : الذى يرشدونه ، يجعلونه إبناً لجهنم أكثر منهم مضاعفاً (مت٢٣: ١٥، ١٦) !! كانوا ينصحون الشعب بطرق خاطئة ، ويشرحون الوصايا بطريقة حرفية ، مثل كلامهم عن وصية السبت .. الرجل المولود أعمى الذى منحه السيد المسيح بصراً: قالوا له إن السيد المسيح الذى شفاه هو رجل خاطئ (يو٩: ٢٤) . لأنه شفاه فى يوم سبت !!

* * *

وفى العهد القديم يقول الرب لإسرائيل " مرشدوك مضلون " (أش٣: ١٢) .

وعن أمثال هؤلاء المرشدين المضلين قال الرب :

" أعمى يقود أعمى ، كلاهما يسقطان فى حفرة " (مت١٥: ١٤) .

* * *

ولاشك أن المذاهب الدينية المتعددة سببها عدم الفهم .

إنهم يفهمون الكتاب بطريقة خاطئة ، وينقلون هذا الفهم الخاطئ إلى الناس فتتكون مذاهب ، وربما تتكون أيضاً بدع وهرطقات ، نتيجة لعدم الفهم ، وإنتشار سوء الفهم بين الناس .

ونحن فى القداس الإلهى نسمى خطايا العامة جهالات .

فعند تقديم الذبيحة ، يقول الكاهن للرب سراً " لتكن مقبولة عن خطاياى وجهالات شعبك" . بالنسبة إليه ككاهن لا يعتبرها جهالات ، لأنه من فم الكاهن تُطلب الشريعة (ملا٢: ٧) ... أما الشعب فله جهالات ...

★ ★ ★

من أجل هذا كله أوجد الله التعليم فى الكنيسة .

وأرسل رسلاً وأنبياء وعين كهنة ومعلمين .

ومن أجل التوعية والإرشاد والإنقاذ من الخطأ، منحنا الله الوحى الإلهى فى كتابه المقدس . وقيل " كل الكتاب موحى به من الله ، ونافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب " (٢تى٣: ١٦) .

★ ★ ★

وعن التعليم وأهميته يقول بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس :

لاحظ نفسك والتعليم ، وداوم على ذلك " (١تى٤: ١٦) .

ويكمل قائلاً " لأنك إن فعلت هذا ، تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً " ...

ويقول لتلميذه تيطس " وأما أنت فتكلم بما يليق بالتعليم الصحيح " (تى٢: ١) .

وهنا يشير الرسول إلى التعليم الصحيح ، لأن هناك معلمين مخطئين .

يعلمون وهم لا يعرفون الحق كما ينبغى أن يكون . ولذلك " يأخذون دينونة أعظم " (يع٣: ١) . لأنهم فى أشياء كثيرة يعثرون ... مع أنهم معلمون .. ولهذا نجد القديس بولس الرسول يقول لتلميذه تيموثاوس " وما تسلمته منى بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء، يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً " (٢تى٢: ٢) .

★ ★ ★

نلاحظ هنا فى التعليم عبارة أمناء ، وعبارة أكفاء .

لأن الذى لم يصل بعد إلى الفهم السليم ، لا يجوز له أن يعلّم ، مهما ظن فى نفسه أنه ذو معرفة ، ومهما كان حكيماً فى عينى نفسه " (أم٢٦: ٥، ١٢) ، لئلا يرتئى فوق ما ينبغى ، ولا يرتئى إلى التعقل (رو١٢: ٣) .

★ ★ ★

والتوعية والتعليم لازمان أيضاً فى محيط الأسرة .

وهذه بلاشك مسئولية الوالدين والأقارب والأشابين ...

من الجائز أن إبنك يكون محتاجاً إلى إرشادك فى كثير من الأمور . وإذ لا يجد هذا الإرشاد يتلقاه من صحبة شريرة أو بيئة خاطئة ، ويضل ، إذ يستقبل المعلومات بعقلية لا أساس لديها من الفهم ، ولا قواعد ثابتة تعتمد عليها ...

وحينئذ لا يكفى من جهتك أن تقابله بمجرد الأوامر والنواهى ، أو باستخدام الشدة فى المنع والقمع . إنما يحتاج إلى تعليم ، حتى يفهم الأمور بمعناها السليم . وما أجمل ما قيل فى تعاليم آبائنا الرسل :

* * *

أمحُ الذنب بالتعليم (الدسقولية) .

قد يتزوج شابان ، وهما لا يعلمان إطلاقاً ما هى الحياة الزوجية ، ولا ما هى العلاقات الأسرية، ولا يعرفان كيف يحلان مشاكلهما ... وهكذا يفشلان نتيجة لعدم المعرفة ، أو نتيجة الفهم الخاطئ من أم أو من صديقة أو من جارة ، أو من أى مصدر آخر ...

حقاً ما أعمق قول الرب " هلك شعبى من عدم المعرفة " .

إذن كيف يمكن أن توجد إستنارة فىعقل كل واحد ؟

* * *

الله من أجل التعليم ، أوجد فى أعماق كل إنسان الضمير .

يهديه إلى الخير ، ويمنعه عن الخطأ بصفة عامة ... ولكن الضمير قد يحيطه ضباب أحياناً ، فيرتبك أين الخير وأين الشر ؟ وبخاصة فى الأمور غير الواضحة . فكيف يستنير الضمير ؟

يستنير الضمير بالوصية ، وبعمل الروح القدس .

ولذلك يقول المرنم فى المزمور " سراج لرجلى كلامك ، ونور لسبيلى " (مز١١٩) ويقول " وصية الرب مضيئة تنير العينين عن بعد " (مز١١٩) ويقول " لو لم تكن شريعتك هى تلاوتى ، لهلكت حينئذ فى مذلتى " (مز١١٩) ...

* * *

من أجل هذا نضئ الشموع عند قراءة الإنجيل فى الكنيسة .

لأنه يضئ لنا الطريق ، وبه ننال الإستنارة .

وعن عمل الروح القدس ، يقول لنا السيد الرب عنه إنه روح الحق (يو١٥: ٢٦) وأنه يعلمكم كل شئ ، ويذكركم بكل ما قلته لكم " (يو١٤: ٢٦) . وأنه " يرشدكم إلى جميع الحق " (يو١٦: ١٣) .

كثير من الأخطاء الروحية أيضاً سببها عدم المعرفة ...

لا تظنوا أن كل إنسان يعرف الله معرفة سليمة . ما أكثر الآباء والأمهات الذين يهددون الطفل بأن الله " يزعل منه " . فى كل تصرف يتصرفه ، فينشأ الطفل يرتعب من الله، ولا توجد بينه وبين الله علاقة طيبة .. وهكذا المعرفة الخاطئة تشوه عقولهم .

السيد المسيح جاء يعرفنا بالله بطريقة جميلة .

جاء يعلمنا أنه "هكذا أحب الله العالم .. " (يو٣: ١٤) . وقيل عن السيد نفسه إنه كان قد أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى " (يو١٣: ١) ورسوله يوحنا علمنا أن الله محبة . ومن يثبت فى المحبة ، يثبت فى الله ، والله فيه " (١يو٤: ١٦) .

* * *

صدقونى ، إننا لم نعرف الله بعد كما ينبغى .

وبولس الرسول فى كل ما عمله ، يقول " لأعرفه ... " (فى٣: ١٠) . والسيد المسيح يقول للآب " هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك .. " (يو١٧: ٣). يا ليتنا نبدأ أن نعرف الله المعرفة الحقيقية ...

* * *

بل لابد أن نعرف أنفسنا حتى لا نخطئ .

لأنه إن عرفنا أننا صورة الله ومثاله، وإن عرفنا أننا أبناء الله، وينبغى أن الإبن يشبه أباه ، وإن عرفنا أننا هياكل للروح القدس ، وروح الله ساكن فينا "(١كو٣: ١٦) .. إن عرفنا كل ذلك ، قد نستحى من الخطية ونخجل ولا نخطئ ... كذلك إن عرفنا أن الله يرانا فى كل ما نفعله ، قد نخجل أيضاً ولا نخطئ .

نتناول الآن بعض نقاط الخطية ونرى كيف يعمل فيها عدم الفهم . ولنبدأ بأعمق الخطايا : الإلحاد .

الإلحـــاد :

يقول الكتاب " قال الجاهل فى قلبه ليس إله " (مز١٤: ١) .

إذن الإلحاد جهل .. جهل بالله ، وجهل بالطبيعة التى حولنا التى كل ما فيها يشير إلى وجود الله " السماء تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه " (مز١٩: ١) . حقاً إن الذى يتأمل فى قوانين الفلك العجيبة ، والعلاقة بين الشموس والأقمار والكواكب والنجوم والشهب والمجرات ، لابد أن يبهر ويذهل ويؤمن بوجود الله ...

ولذلك كانوا يعلمون الفلك فى كليات اللاهوت ، وكذلك الطب ...

لأن الذى يتأمل فى تشريح جسم الإنسان ، وفى وظائف الأعضاء ، لابد أن يدرك قدرة الله الخالق العظيم الذى صنع كل ذلك . لذلك فالملحد جاهل ، مهما أدعى العلم والفلسفة ، لأن كل علمه جهالة عند الله ...

الحرية :

كثير من الناس يقعون فى الخطأ ، لأنهم لا يفهمون مطلقاً معنى الحرية ، كما أخطأ الإبن الضال فى فهم الحرية .

إن الحرية الحقيقية هى تحرر الإنسان فى الداخل .

يتحرر الإنسان من العادات الخاطئة ، ومن الرغبات والشهوات الشريرة . والذى يتحرر من الخطايا ومن الجهل ، هذا يمكنه أن يستخدم حريته بطريقة سليمة . والحرية بمعناها الحقيقى هى التى قال عنها السيد المسيح " إن حرركم الإبن ، فبالحقيقة تكونون أحراراً " (يو٨: ٣٦) .

* * *

ولابد أن تعرف أنه لا توجد حرية مطلقة .

معنى الحرية أنك تستخدم حريتك ، بحيث لا تتعدى على حرية غيرك ، ولا تعتدى على حقوق الإنسان ، ولا على النظام العام ... ولا على وصايا الله ...

إن فهمت هذا ، لا تخطئ .

السعادة :

كثير من الناس لا يفهمون معنى السعادة ، ولا معنى الفرح . نفس سليمان الحكيم فى مبدأ حياته ، خلط بين الفرح واللذة ، وظن أن الفرح مصدره كثرة المقتنيات والجوارى والنساء، والقصور والأشجار ، والمغنين والمغنيات ، وكثرة الغنى ، فقال "ومهما اشتهته عيناى لم أمنعه عنهما " (جا٢: ١٠) . **وأخيراً وجد أن الكل باطل وقبض الريح .**

* * *

يوجد فرح روحى من نوع آخر ، أكثر عمقاً .

الذى قال عنه الكتاب إنه من ثمر الروح (غل٥: ٢٢) . يوجد فرح بالرب وفى الرب ،

كما قال الرسول " افرحوا فى الرب كل حين ، وأقول أيضاً أفرحوا " (فى٤: ٤) .

يوجد فرح فى الإنتصار على النفس ، وعلى فخاخ الشيطان .

إنه فرح الغالبين الذين إنتصروا ، ليس على غيرهم ، وإنما على أنفسهم ، وانتصروا على الإغراءات والشهوات وكل الضعفات ... الفرح بالنمو الروحى ، الفرح بمعرفة الله، ومذاقة الحياة معه . **إنه فرح دائم . إن نلتموه لا ينزع منكم . أما افراح العالم فكلها مؤقتة وزائلة ومادية .**

العظمة :

كثيرون لا يعرفون معنى العظمة الحقيقية ، ويظنونها فى المظهر الخارجى ، والتباهى، والمال، والمناصب والقوة ...

إنها عظمة من الخارج ، وليس عظمة النفس من الداخل .

* * *

العظمة الحقيقية هى الشخصية الكاملة ، المتجملة بالفضائل ، التى هى على صورة الله ومثاله .

يوحنا المعمدان كان عظيماً ، بل أعظم من ولدته النساء . بل قيل إنه يكون عظيماً أمام الرب. لماذا؟ لأنه من بطن أمه يمتلئ من الروح القدس (لو١: ١٥). هذه هى العظمة الحقيقية . أتراك أدركتها أو ذقتها . أم تتمسك بعظمة العالم الذى يبيد وشهوته معه ...

أعرف نفسك :

من أهم مظاهر عدم الفهم ، أن الإنسان لا يفهم نفسه . ويظن أنه مجرد جسد ، فيسلك حسب الجسد ، لكى يتمتع بالجسد ومتطلباته . وفى كل ذلك يجهل أن فى داخله روحاً لها مطالبها ، وهى التى يكون لها شركة مع الروح القدس .

* * *

وإذا عرف الإنسان أهمية روحه ، يهتم بها .

الروح تحتاج أن تتغذى بكل الأغذية الروحية ، وتحتاج أن تتزين وتتجمل بالفضيلة، وتحتاج أن تنمو فى المعرفة وفى محبة الله ... وإذ هى أهم من الجسد يجب أن يبذل الإنسان جهده من أجلها . من أجل السلوك بالروح ... ولكن من ذا الذى يعرف ؟ حقاً كما قال الله : " **قد هلك شعبى من عدم المعرفة** " (هو٤: ٦) .

الشـــرّ هــو فـى سـُـوء الاسـتخدام

هناك أسباب تؤدى إلى الخطية وإلى الشر ، ولعل فى مقدمة هذه الأسباب : سوء الإستخدام . فما المقصود بهذا ؟

إن الله قد وهبنا عطايا كثيرة . ولكننا نسئ استخدامها .

وهناك فى الحياة أشياء كثيرة، يمكن أن تستخدم فى الخير، ويمكن أن تستخدم فى الشر **هى فى ذاتها ليست خطية ، إنما الخطية هى فى سوء إستخدامها .**

* * *

فما تفسير هذا كله ؟ .. فلنحاول معاً أن نتفهم الأمور جيداً ، حتى نستطيع أن نحدد أين يوجد الخطأ ؟ وما هو مصدره ؟ ولنبدأ ببعض المواهب ، ونتدرج أيضاً إلى المادة ، وإلى الغرائز ، وإلى المخترعات ، ونفحص الأمور جيداً .

الحـب :

أعطانا الله عاطفة الحب . وهى ليست خطأ . بل الخطأ هو أننا لا نحب . وقيل عن الله تبارك إسمه " الله محبة " (١يو ٤: ٨) . وقال الرسول " كل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله " (١يو٤: ٧) .

الخطأ هو أن نسئ استخدام الحب ، ونوجهه توجيهاً غير سليم .

* * *

الحب أصلاً يكون موجهاً إلى الله ، وإلى الناس داخل نطاق محبة الله . ويكون موجهاً إلى الخير والمثاليات ، وإلى السماء والأبدية .

وقد قال الوحى الإلهى " تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قدرتك" (تث٦: ٥) هذه هى الوصية العظمى فى الناموس . والثانية مثلها " تحب قريبك كنفسك " (مت٢٢: ٣٩) .

* * *

ولكن نخطئ إذا أسأنا استخدام الحب، فأصبحنا نحب العالم أو الجسد أو المادة أو الذات .

وفى هذا قال الكتاب " محبة العالم عداوة لله " (يع٤: ٤) . وقيل " لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم . إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب . لأن كل ما فى العالم: شهوة الجسد وشهوة العين ، وتعظم المعيشة " (١يو٢: ١٥، ١٦) .

* * *

كذلك يخطئ الإنسان إن أحب ذاته محبة خاطئة .

فليس خطأ أن يحب الإنسان ذاته محبة روحية ، كما قيل " تحب قريبك كنفسك" . لكن إذا أساء استخدام محبته لنفسه ، بحيث توجهت هذه المحبة إلى الجسد والذات ، أو إلى العظمة والكبرياء حينئذ تصبح محبة الذات خطية .

ومن ضمن محبة العالم : محبة المال .

المـــال :

المال ليس شراً فى ذاته ، إنما الشر فى سوء إستخدامه .

فقد كان أبونا ابراهيم أبو الآباء غنياً ، وكان كاملاً أمام الله. وأيوب الصديق كان أغنى بنى الشرق ، ومع ذلك كان رجلاً كاملاً ومستقيماً يتقى الله ويحيد عن الشر (أى١: ٨) . "وكان أباً للفقراء ، وعيوناً للأعمى ، وأرجلاً للعرج . وكم أنقذ المسكين المستغيث ، واليتيم الذى لا معين له . وكم جعل قلب الأرملة يسر " (أى٢٩: ١٢- ١٦) . لقد استخدم ماله بطريقة سليمة .

وبالمثل كان يوسف الرامى رجلاً غنياً (مت٢٧: ٥٧) . وهو الذى كفن السيد المسيح ودفنه .. وفى الجيل السابق لنا كان ابراهيم الجوهرى رجلاً غنياً . وكان إنساناً باراً ينفق على الكنائس والأديرة ، ويعول الفقراء والمعوزين .

* * *

ولكن يصير المال شراً ، إذا اسئ إستخدامه ، فى اللهو ، وملاذ الدنيا، أو اعتمد الإنسان عليه ، وصار مجالاً للكبرياء ...

وليس عيباً أن يمتلك الإنسان مالاً ، إنما العيب أن يمتلك المال هذا الإنسان ...

الغضب :

ليس الغضب شراً فى ذاته ، فهناك غضب مقدس .

والغضب المقدس هو الذى يمنح الإنسان الغيرة المقدسة ، والنخوة والشهامة، والدفاع عن الحق . ويبقى الغضب مقدساً ، إن كانت وسيلته مقدسة ، ودوافعه مقدسة . وهنا نفرق بين الغضب والنرفزة ، فالنرفزة هى تعب فى الأعصاب . وقد يغضب الإنسان ، ويبقى فى وقاره ، متزناً ، محتفظاً بأعصابه .

وقد غضب موسى النبى ، عندما عبد الإنسان العجل الذهبى ، وأحرق هذا التمثال بالنار ، وطحنه وذراه على وجه الماء ، وبكت أخاه هرون (خر٣٢: ٢٠، ٢١) .

* * *

ولكن إذا إسئ استخدام الغضب ، يصبح خطية .

وذلك إذا استخدم من أجل كرامة شخصية ، أو بقسوة وبغير سبب يدعو إليه ، أو إذا خلط هذا الغضب بألفاظ غير لائقة ، أو باعتداء ، أو بإهانات وجرح للشعور ، أو بعنف ، أو بظلم .. ففى كل هذا يصبح الغضب خطية ، لأنه قد أسئ استخدامه .

الفـن :

ليس الفن خطيئة ، لأنه يمكن استخدامه فى الخير .

نقول هذا عن الشعر ، والموسيقى ، والرسم ، والنحت ، ونقوله أيضاً عن التمثيل فى المسرح أو السينما ، وسائر الفنون الأخرى إذا كان استخدامها فى الخير .

* * *

كان داود النبى شاعراً ، وكان موسيقياً ...

كان ينظم المزامير شعراً ، ويغنيها على مزماره وكان " يحسن الضرب على العود " (١صم١٦: ١٦، ١٨) . وكان آساف أيضاً شاعراً ومغنياً ، ومريم النبية أخت هرون ، كانت تضرب على الدف ، وتغنى للرب . وقد فعلت ذلك فى معجزة شق البحر الأحمر، وهى تقود النساء فى التسبيح (خر١٥: ٢٠، ٢١) .

* * *

والرسول يقول " بمزامير وتسابيح وأغانى روحية ، مترنمين فى قلوبكم للرب " (أف٥: ١٩) . والغناء الروحى موجود فى الكنيسة فى الألحان والتراتيل والتسابيح، بل فى القداس الإلهى نفسه. والمزمور يقول " غنوا للرب أغنية جديدة " " رنموا للرب " (مز ٩٥-٩٨). وسفر نشيد الأناشيد يمكن أن يترجم أغنية الأغنيات The Song of the Songs .

* * *

إذن الغناء ليس خطأ فى ذاته ، ولكن إذا أسئ استخدامه فى المجون والعبث، حينئذ يصبح خطية .

ونفس الوضع بالنسبة إلى الشعر ، وإلى الموسيقى ، يتوقف الخير أو الشر فيهما على حسن الإستخدام أو سوء الاستخدام . ونفس الكلام نقوله عن الرسم والنحت . فلوقا الإنجيلى كان رساماً . ولا ننسى ميشيل انجلو وأيقوناته فى الكنائس . أما الرسامون الذين يسيئون استخدام الموهبة إلى إثارة الغرائز الجسدية ، فهؤلاء يخطئون بسوء الإستخدام . وتبقى الموهبة صالحة إذا استخدمت حسناً ، كما قيل :

" كل شئ طاهر للطاهرين " (تى١: ١٥) .

الخيال :

هو أيضاً يتوقف خيره أو شره على استخدامه .

فالخيال الخير هو مصدر القصص النافع المفيد ، والشعر الروحى المؤثر ، بل قد يكون مصدراً صالحاً للتأمل . ويمكن للإنسان أن يسرح خياله فى السماء والملائكة والأبدية ، بل وفى صفات الله نفسه .

ويصبح الخيال شراً ، إذا أسئ استخدامه ، كما فى أحلام اليقظة وتصور الشرور فى الذهن .

أى إذا سرح خياله فى خطية ...

الطموح :

الطموح يكون خيراً إن كان سعياً وراء الكمال .

وفى ذلك قال الرسول " إذن أنسى ما هو وراء ، وأمتد إلى ما هو قدام " (فى٣:

١٣) . ولولا الطموح ، ما كان النمو الروحى فى الفضيلة ، وما كان السعى إلى استرجاعنا لصورة الله فينا . ويكون الطموح خيراً إذا سعى الإنسان إلى أن يكون ناجحاً فى كل عمل تمتد إليه يده (مز١: ٣) . كما كان يوسف الصديق ناجحاً فى كل شئ (تك٣٩: ٣) .

* * *

أما إذا أسئ استخدام الطموح ، وصار طموحاً فى العظمة والماديات ، وفى الانتصار على الآخرين ، حينئذ يصبح خطية .

كذلك إذا قاد الطموح إلى الحسد أو إلى الكراهية ، أو إلى التآمر على الآخرين لأخذ مراكزهم .. هنا نكون قد أسأنا استخدام الطموح .

العقل :

العقل موهبة من الله ، يمكن أن تستخدم فى الخير وفى الشر .

العقل إذا استخدم فى خير الإنسان روحياً ، وفى خير البشرية ، وفى التوصل إلى السلوك السليم ، حينئذ يتحول إلى حكمة طاهرة نافعة .

* * *

ولكن العقل قد يسئ البعض استخدامه ، كالخطاة والمجرمين وكالشيطان نفسه .

ومن هنا قد يستخدم العقل فى تدبير المؤامرات ، مثلما كان يفعل اخيتوفل . ومثلما استخدمت الملكة إيزابل عقلها فى الفتك بنابوت اليزرعيلى (١مل٢١) . ومثلما يدبر الشيطان لإهلاك البشر ، ومثلما يفعل العظماء فى إختراع أسلحة تدميرية فتاكة ... وكما يفعل أصحاب الحيل والدهاء والمكر ...

هنا يكون الإنسان قد أساء استخدام عقله ، فى ضرر الآخرين أو ضرر نفسه .

الإختراعات :

يمكن استخدام الإختراعات فى الخير أو فى الشر .

الطاقة الذرية مثلاً التى استخدمت فى تدمير هيروشيما ، يمكن أن تستخدم سلمياً من أجل خير البشرية . هى ليست شراً فى ذاتها ، ولكن الشر يكمن فى سوء إستخدامها .

يسأل البعض أحياناً : هل الراديو والتلفزيون حلال أم حرام ، خير أم شر؟ وكذلك التمثيل ؟

يمكن استخدام هذه المخترعات في الخير ، إذا اشرف عليها أناس روحيون يهتمون بنقاوة القلب والفكر ، وبقيادة الإنسان فى طريق الخير .

والكنيسة تستخدم المخترعات الحديثة .

مثل الميكروفونات ، ومكبرات الصوت ، والفيديو ، وأجهزة التسجيل ، وكل المخترعات النافعة .

* * *

ويمكن أن يستخدم المسرح والتمثيل فى متعة الناس روحياً .

وذلك بتقديم روايات دينية من الكتاب المقدس ، أو من تاريخ الكنيسة ، أو حتى من الخيال ، المهم أن تترك تأثيرها الروحى العميق فى نفوس مشاهديها .

القـوة :

يمكن استخدامها فى الخير ، وإذا اسئ استخدامها تصبح شراً .

والدين يدعونا أن نكون أقوياء . والإنسان القوى الشخصية ، هو إنسان نافع للمجتمع، ونافع لأسرته ، ونافع لنفسه في الإنتصار على كل إغراءات الشر . وهنا أحب ألا يفهم الناس التواضع فهماً خاطئاً ، يكون مظهره الضعف والتخاذل .

* * *

فالسيد المسيح كان متواضعاً جداً ، وفى نفس الوقت كان قوى الشخصية ، وكان يفحم الكتبة والفريسيين والصدوقيين وغيرهم فى كل حواره معهم . وكانوا يشعرون بقوته . وكان الجميع يبهرون بشخصه ...

* * *

ولكن إذا اسئ أستخدام القوة ، وتحولت إلى البطش والعنف ، أو الاستبداد والتسلط، أو تحولت إلى الإرهاب والظلم ، حينئذ تصبح شراً .

وهنا نميز بين القوى العادل النافع ، وبين القوى المغلوب من نفسه المتسلط على غيره كل شئ نافع إذا اسئ استخدامه يتحول إلى شر .

الحريـــة :

لا أظن أن أحداً في العالم يقول إن الحريـة شر . ولكن لاشك أن سـوء إسـتخدام الحرية هو خطية بلاشك .

كأن يستخدم إنسان حريته فى فعل ما لا يليق ، أو بغير ضابط خلقى .. أو أن يسـتخدم حريته فى إقلاق الآخرين وإزعاجهم ، أو فى أن يكون عثرة لهم ، وسبباً فى سقوطهم .

أو أن يستخدم حريته فى إهلاك نفسه ، كمن يدمن الخمر أو التدخين أو المخدرات ... أو كالطالب الذى يستخدم حريته فى اللعب واللهو ويترك دروسه فيفشل .

أو أن يستخدم الإنسان حريته في الإعتداء على حريات الاخرين أو علـى حقوقهـم ، أو فى إنتهاك النظام العام ...

هنا يكون الإستخدام السئ للحرية خطية .

الغريزة :

ليست الغريزة خطأ فى ذاتها ، وإلا ما خلقها الله فينا .

كما أن المادة ليست خطأ فى ذاتها ، وإلا ما كان الله قـد خلقهـا . إنمـا المهـم أن تسـير الغريزة فى مجراها الطبيعى ، ولا يساء استخدامها ...

وموضوع الغرائز موضوع طويل ليس الآن مجاله ...

ونفس الكلام نقوله على الرغبات .

المـادة :

المادة ليست شراً فى ذاتها ، إذا أسئ إستخدامها تتحول إلى شر .

كذلك إذا أحبها الناس أكثر من الله ، أو إذا سيطرت محبتها فى قيـادة الإنسـان، بحيـث يقولون عنه إنه إنسـان مـادى ... أى أن المـادة استخدمت باسلوب قضـى علـى روحياتـه ومثالياته ومحبته للخير ...

ومن منطلق هذا المفهوم نتكلم أيضاً على الخمر .

الخمر - كمادة ليست شراً . لكن الإستخدام السئ للخمر هو الشر . ونحن لا نحرّم الخمر كمادة ، ولكن نحرم استخدامها السئ .

أخطر ما فى الخمر هو الكحول ، هو الذى يتلف الصحة والإرادة ، ويقود إلى السكر ، ويضيع هيبة الإنسان ، إن زاد مقدار الكحول عن الحد ...

ولكن الكحول ليس شراً فى ذاته ، ونحن لا نحرمه .

وكثيراً ما نستخدم الكحول فى عديد من الأدوية ، وفى العطور ، وفى الصناعات وفى الوقود ... ولكن الإستخدام السئ للكحول فى إتلاف صحة الإنسان ، أو فى إشعال الحرائق، وما يماثل ذلك ، هذا هو الخطأ .



فهرست الكتاب

صفحة

صفحة

الباب الرابع :

في هذا الكتاب

بسم الآب والإبن والروح القدس

الإله الواحد آمين

يشمل هذا الكتاب أربعة أبواب :

١ - ما هى الفضيلة ؟ وما تعريفها ونوعياتها ، وروحياتها ومصادرها ، وكيف تكون ؟

٢ - مستويات الفضيلة ، ومقاييسها ، والهدف والوسيلة ، وأنواع إهتمامات الإنسان .

٣ - الثمر فى حياة الفضيلة ، والإختبارات والأكاليل، وضبط النفس ، والإستجابة لعمل الروح ، والتكامل فى الفضيلة ، وتفاصيل أخرى كثيرة .

٤ - عوائق فى حياة الفضيلة ، ولكنها ليست موانع . وقد تحدثنا فى هذا الباب عن ١١ عائقاً مع كيفية التخلص منها ...

٥ - نتركك بين ضفتى هذا الكتاب الكبير . وإلى اللقاء فى كتاب آخر ، إن أحبت نعمة الرب وعشنا،

البابا شنوده الثالث

قرشاً